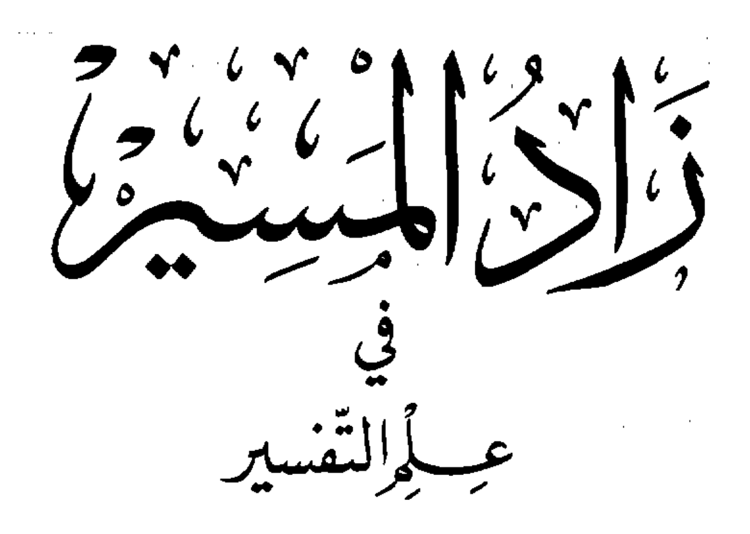


زاد المسير
في
علم التفسير

تأليف

الامام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي

٥٠٨ - ٥٩٧ هـ

الجزء التاسع

المكتب الاسلامي

الطبعة الثالثة

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: اسلاميا
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

سورة النبأ

ويقال لها : سورة التساؤل

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ . ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ . كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ . أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً . والجِبَالَ أَوْتَاداً . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً . وَجعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً . وَجعلَنَا اللَّيْلَ لِبَاساً . وَجعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشاً . وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً . وَجعلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً . وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً . إِنَّ يَوْمَ ٱلفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً . يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً . وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً . وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً . إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً . لِلطَّاغِينَ مَآباً . لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً . لاَيَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً . إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً . جَزَآءً وِفَاقاً . إِنَّهُمْ كَانُوا لاَيَرْجُونَ حِسَاباً . وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً . وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً . فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً . إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً . حَدَآئِقَ وَأَعْنَاباً . وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً . وَكَأْساً دِهَاقاً . لَايَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً . جَزَآءً مِنْ رَبِّكَ عَطَآءً حِسَاباً . رَبِّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ لَايَمْلِكُونَ

مِنْهُ خِطَاباً . يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفّاً لاَ يَتَكَلَّمُونَ إلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَقَالَ صَوَاباً . ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ مَآباً . إنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَاقَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ﴾

قوله تعالى : (عم يتساءلون) أصله « عنْ ما » فأدغمت النون في الميم ، وحذفت ألف « ما » كقولهم : فيم ، وبم . قال المفسرون : لما بُعِثَ رسولُ الله ﷺ جَعَلَ المشركون يتساءلون بينهم ، فيقولون : ما الذي أتى به؟ ويتجادلون ، ويختصمون فيما بعث به ، فنزلت هذه الآية [1] . واللفظ لفظ استفهام ، والمعنى : تفخيم القصة ، كما يقولون : أيُّ شيء زيد ؟ إذا أردت تعظيم شأنه . ثم بيَّن ما الذي يتساءلون عنه ، فقال تعالى : (عن النبإ العظيم) يعني : عن الخبر العظيم الشأن . وفيه ثلاثة أقوال .

أحدها : القرآن ، قاله مجاهد ، ومقاتل ، والفراء . قال الفراء : فلما أجاب صارت « عم » كأنها في معنى : لأي شيء يتساءلون عن القرآن .

والثاني : البعث ، قاله قتادة .

والثالث : أنه أمر النبي ﷺ ، حكاه الزجاج .

قوله تعالى : (الذي هم فيه مختلفون) من قال : إنه القرآن ، فإن المشركين اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : هو سحر ، وقال بعضهم : هو شعر ، وقال بعضهم :

---

(١) روى ابن جرير الطبري سبب النزول هذا عن الحسن ٣٠/١ وأورده السيوطي في « الدر » ٣٠٥/٦ وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن الحسن .

أساطير الأولين ، إلى غير ذلك . وكذلك من قال : هو أمر النبي ﷺ . فأما من قال : إنه البعث والقيامة ، ففي اختلافهم فيه قولان .

أحدهما : أنهم اختلفوا فيه لما سمعوا به ، فمنهم من صدَّق وآمن ، ومنهم من كذَّب ، وهذا معنى قول قتادة .

والثاني : أن المسلمين والمشركين اختلفوا فيه ، فصدَّق به المسلمون ، وكذَّب به المشركون ، قاله يحيى بن سلام .

قوله تعالى : (كلا) قال بعضهم : هي ردع وزجر . وقال بعضهم : هي نفي لاختلافهم ، والمعنى : ليس الأمر على ما قالوا (سيعلمون) عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الأمر (ثم كلا سيعلمون) وعيد على إثر وعيد . وقرأ ابن عامر « ستعلمون » في الحرفين بالتاء . ثم ذكر صنعه ليعرفوا توحيده ، فقال تعالى : (ألم نجعل الأرض مِهاداً) أي : فراشاً وبساطاً (والجبال أوتاداً) للأرض لئلا تميد (وخلقناكم أزواجاً) أي : أصنافاً ، وأضداداً ، ذكوراً ، وإناثاً ، سوداً ، وبيضاً ، وحمراً (وجعلنا نومكم سباتاً) قال ابن قتيبة : أي : راحة لأبدانكم . وقد شرحنا هذا في (الفرقان : ٤٧) وشرحنا هناك قوله تعالى : (وجعلنا الليل لباساً) .

قوله تعالى : (وجعلنا النهار معاشاً) أي : سبباً لمعاشكم . والمعاش : العيش ، وكل شيء يُعَاشُ به ، فهو مَعَاشٌ . والمعنى : جعلنا النهار مطلباً للمعاش . وقال ابن قتيبة : معاشاً ، أي : عيشاً ، وهو مصدر (وبَنَيْنَا فوقكم سبعاً شداداً) قال مقاتل : هي السموات ، غِلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماءين مثل ذلك ، وهي فوقكم يا بني آدم . فاحذروا أن تَعْصُوا فَتَخِرَّ عليكم .

قوله تعالى : (وجعلنا سراجاً) يعني : الشمس (وهَّاجاً) قال ابن عباس : هو المضيء . وقال اللغويون : الوهَّاج : الوقَّاد . وقيل : الوهَّاج يجمع النور والحرارة .

قوله تعالى : (وأنزلنا من المعصرات) فيها ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها السموات ، قاله أُبَيّ بن كعب ، والحسن ، وابن جبير .

والثاني : أنها الرّياح ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، ومقاتل . وقال زيد بن أسلم : هي الجنوب . فعلى هذا القول تكون « مِنْ » بمعنى « الباء » ، فتقديره : بالمعصرات . وإنما قيل للرياح : معصرات ، لأنها تستدرُّ المطر .

والثالث : أنها السحاب ، رواه الوالبي عن ابن عباس ، وبه قال أبو العالية . والضحاك ، والربيع . قال الفراء : السحابة المعصر : التي تتحلَّب بالمطر ولما يجتمع ، مثل الجارية المعصر ، قد كادت تحيض ، ولما تحضْ . وكذلك قال ابن قتيبة : شبِّهت السحاب بمعاصير الجواري ، والمُعصِرُ : الجارية التي قد دنت من الحيض . وقال الزجاج : إنما قيل للسحاب : معصرات ، كما قيل : أجزَّ الزرع ، فهو مُجزٌ ، أي : صار إلى أن يُجَزّ ، فكذلك السحاب إذا صار إلى أن يمطر ، فقد أعصر .

قوله تعالى : (ماءً ثجاجاً) قال مقاتل : أي : مطراً كثيراً مُنْصباً يتبع بعضُه بعضاً . وقال غيره : يقال : ثجَّ الماء يثج : إذا انصبَّ (لِنُخْرِجَ به) أي : بذلك الماء (حباً ونباتاً) وفيه قولان .

أحدهما : أن الحب : ما يأكله الناس ، والنبات : ما تنبته الأرض مما يأكل

الناس والأنعـام ، هذا قول الجمهور . وقال الزجاج : كلُّ ما حُصِدَ حَبٌّ ، وكلُّ ما أكَلَتْهُ الماشية من الكلإ ، فهو نبات .

والثاني : أن الحب : اللؤلؤ ، والنبات : العشب . قال عكرمة : ما أنزل الله من السماء قطراً ، إلا أنبت به في البحر لؤلؤاً ، وفي الأرض عشباً .

قوله تعالى : (وَجَنَّاتٍ) يعني : بساتين (ألفافاً) قال أبو عبيدة : أي : ملتفَّة من الشجر ليس بينها خلال ، الواحدة : لَفَّاء ، وجنّات لُفٌ ، وجمع الجمع : ألْفَافٌ . قال المفسرون : فدلّ بذكر المخلوقات على البعث . ثم أخبر عن يوم القيامة فقال تعالى : (إن يوم الفصل) أي : يوم القضاء بين الخلائق (كان ميقاتاً) لما وعد الله من الثواب والعقاب . (يوم ينفخ في الصور فتأتون) من قبوركم (أفواجاً) أي : زُمَراً زُمَراً من كل مكان (وفُتِحَت السماء) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر « وفُتِّحت » بالتشديد . وقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي بالتخفيف ، وإنما تفتح لنزول الملائكة (فكانت أبواباً) أي : ذات أبواب (وسُيِّرت الجبال) عن أماكنها (فكانت سراباً) أي : كالسراب ، لأنها تصير هباء منبثاً فيراها الناظر كالسراب بعد شِدّتها وصلابتها (إن جهنم كانت مرصاداً) قال المبرد : مرصاداً يرصدون به ، أي : هو مُعَدٌّ لهم يَرْصُد بها خزنتها الكفارَ . وقال الأزهري : المرصاد : المكان الذي يَرصُد فيه الراصد العدُوَّ . ثم بين لمن هي مرصاد فقال تعالى : (للطاغين) قال ابن عباس : للمشركين (مآباً) أي : مرجعاً .

قوله تعالى : (لابثين) وقرأ حمزة « لَبِثين » والمعنى : فيهما واحد . يقال : هو لابث بالمكان ، ولبث . ومثله طَامِع ، وطَمِع ، وفَارِه ، وفَرِه . وأما الأحقاب فجمع حقب ، وقد ذكرنا الاختلاف فيه في (الكهف : ٦٠) .

فإن قيل : ما معنى ذكر الأحقاب ، وخلودهم في النار لا نفاد له ؟ فعنه جوابان .

أحدهما : أن هذا لا يدل على غاية ، لأنه كلما مضى حقب تبعه حقب . ولو أنه قال « لابثين فيها عشرة أحقاب أو خمسة » دل على غاية ، هذا قول ابن قتيبة ، والجمهور . وبيانه أن زمان أهل الجنة والنار يُتَصوَّرُ دخوله تحت العدد ، وإن لم يكن لها نهاية [1] .

والثاني : أن المعنى : أنهم يلبثون فيها أحقاباً (لا يذوقون) في الأحقاب (برداً ولا شراباً) فأما خلودهم في النار فدائم . هذا قول الزجاج . وبيانه أن الأحقاب حدٌّ لعذابهم بالحميم والغَسّاق ، فإذا انقضت الأحقاب عُذِّبوا بغير ذلك من العذاب . وفي المراد « بالبرد » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه برد الشراب . روى أبو صالح عن ابن عباس قال : لا يذوقون فيها برد الشراب ، ولا الشراب .

والثاني : أنه الرَّوْح والراحة ، قاله الحسن ، وعطاء .

والثالث : أنه النوم ، قاله مجاهد ، والسدي ، وأبو عبيدة ، وابن قتيبة ، وأنشدوا :

فَإِنْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِوَاكُمُ
وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعَمْ نُقَاخاً وَلاَ بَرْداً [2]

قال ابن قتيبة : النقاخ : الماء ، والبرد : النوم ، سمي بذلك لأنه تبرد فيه الحرارة .

---

(١) في النسخة الاستنبولية : وإن لم يكن لها غاية .

(٢) البيت لعبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي ، وهو في ديوانه ١٠٩ و « غريب القرآن » : ١٤٦ ، ٥٠٩ ، و « شواهد الكشاف » ٣٤ ، والقرطبي ١٧٨/١٩ و « البحر » ٤١٤/٨ .

وقال مقاتل : لا يذوقون فيها برداً ينفعهم من حرها ، ولا شراباً ينفعهم من عطش (إلا حميماً وغساقاً) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر « غَسَاقاً » بالتخفيف . وقرأ حمزة ، والكسائي ، والمفضل ، وحفص عن عاصم بالتشديد . وقد تقدم ذكر الحميم ، والغساق [ص : ٥٧] (جزاءً وفاقاً) قال الفراء : وِفْقاً لأعمالهم . وقال غيره : جُوزوا جزاءً وفاقاً لأعمالهم على مقدارها ، فلا ذنب أعظم من الشرك ، ولا عذاب أعظم من النّار .

(إنهم كانوا لا يرجون حساباً) فيه قولان .

أحدهما : لا يخافون أن يحاسبوا ، لأنهم لا يؤمنون بالبعث ، قاله الجمهور .

والثاني : لا يرجون ثواب حساب ، لأنهم لا يؤمنون بالبعث ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (وكذَّبوا بآياتنا كذاباً) قال الفراء : الكِذّاب بالتشديد لغة يمانية فصيحة ، يقولون : كذَّبت به كِذّاباً ، وخرَّقت القميص خِرّاقاً ، وكل « فَعَّلْتُ » فمصدره في لغتهم مُشَدَّد . قال لي أعرابي منهم على المروة يستفتيني : الحَلْقُ أحب إليك ، أم القِصّار ؟ وأنشدني بعض بني كلاب :

لَقَدْ طَالَ مَا ثَبَّطَتني عن صَحَابَتي
وَعَنْ حوَجٍ قِضَّاؤها من شِفَائِيَا [1]

وأما أهل نجد ، فيقولون : كذَّبت به تكذيباً . وقال أبو عبيدة : الكِذّاب أشد من الكِذَاب ، وهما مصدر المكاذبة . قال الأعشى :

---

(١) البيت من شواهد الفراء في « معاني القرآن » (الورقة ٣٥٥) وهو في الطبري ١٦/٣٠ والقرطبي ١٧٩/١٩ و « اللسان » « قضى » . والشاهد فيه تشديد « قضاؤها » .

فَصَدَّقْتُهَا وكَذَّبْتُها وَالمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهْ [1]

قوله تعالى : (وكلّ شيء أحصيناه) قال الزجاج : « كلّ » منصوب بفعل مضمر تفسيره : أحصيناه ، والمعنى : أحصينا كل شيء ، و (كتاباً) توكيد [2] لـ« أحصيناه » ، لأن معنى «أحصيناه» و«كتبناه» فيما يحصل ويثبت واحد . فالمعنى : كتبناه كتاباً . قال المفسرون : وكلّ شيء من الأعمال أثبتناه في اللوح المحفوظ (فذوقوا) أي : فيقال لهم : ذوقوا جزاء فعالكم (فلن نزيدكم إلا عذاباً . إن للمتقين) الذين لم يشركوا (مفازاً) وفيه قولان .

أحدهما : متنزّهاً ، قاله ابن عباس ، والضحاك .

والثاني : فازوا بأن نَجَوْا من النار بالجنة ، ومن العذاب بالرحمة ، قاله قتادة . قال ابن قتيبة : « مفازاً » في موضع « فوز » (حدائق) قال ابن قتيبة : الحدائق : بساتين نخل ، واحدها : حديقة .

قوله تعالى : (وكواعب) قال ابن عباس : الكواعب: النواهد . قال ابن فارس : يقال : كعبت المرأة كعابة ، فهي كاعب : إذا نتأ ثديُها . وقد ذكرنا معنى « الأتراب » في (ص : ٥٢) .

قوله تعالى : (وكأساً دهاقاً) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها الملأى ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال الحسن ، وقتادة ، وابن زيد .

---

(١) البيت في ملحق ديوان الأعشى ٢٣٨ ، و « مجاز القرآن » ٢/٢٨٣ و « الكامل » للمبرد (٥٦٤) قال المبرد : وأنشد المازني للأعشى ، وليس مما روت الرواة متصلاً بقصيدة :

فصَدَّقْتُهم وكذبتُهم والمرءُ ينفعهُ كِذَابُهْ

وهو في الطبري ٢٠/٣٠ والقرطبي ١٧٩/١٩ و « اللسان » و « التاج » : صدق .

(٢) في الأصل : توكيداً .

والثاني : أنها المتابعة . رواه مجاهد عن ابن عباس ، وبه قال ابن جبير .
وعن مجاهد كالقولين .

والثالث : أنها الصافية ، قاله عكرمة .

قوله تعالى : (لا يسمعون فيها) أي : في الجنة إذا شربوها (لغواً) وقد ذكرناه في (الطور : ٢٣) وغيرها (ولا كِذّاباً) أي : لا يكذّب بعضهم بعضاً ، لأن أهل الدنيا إذا شربوا الخمر تكلّموا بالباطل ، وأهل الجنة مُنَزَّهون عن ذلك . قال الفراء : وقراءة علي رضي الله عنه «كِذَاباً» بالتخفيف ، كأنه ـ والله أعلم ـ لا يتكاذبون فيها . وكان الكسائي يخفّف هذه ويشدّد ، «وكذّبوا بآياتنا كذّاباً» لأن «كذّبوا» يقيد «الكذاب» بالمصدر ، وهذه ليست مقيدة بفعل يصيّرها مصدراً . وقد ذكرنا عن أبي عبيدة أن الكِذاب بالتشديد والتخفيف مصدر المكاذبة . وقال أبو علي الفارسي : «الكِذَاب» بالتخفيف مصدر «كَذَب» ، مثل «الكِتَاب» مصدر «كَتَبَ» .

قوله تعالى : (جزاءً) قال الزجاج : المعنى : جازاهم بذلك جزاءً ، وكذلك «عطاءً» ، لأن معنى أعطاهم وجازاهم واحد . و (حساباً) معناه : ما يكفيهم ، أي : فيه كل مايشتهون . يقال : أحسبني كذا بمعنى كفاني . (ربِّ السموات) قرأ نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، والمفضل «ربُّ السموات والأرض وما بينهما الرحمنُ» برفع الباء من «رب» والنون من «الرحمن» على معنى : هو ربُّ السموات . وقرأ عاصم ، وابن عامر بخفض الباء والنون على الصفة من «ربك» . وقرأ حمزة والكسائي بكسر الباء ورفع النون ، واختار هذه القراءة الفراء ، ووافقه على هذا جماعة ، وعلّلوا بأن الربّ قريب من المخفوض ، والرحمن بعيد منه .

قوله تعالى : (لا يملكون منه خطاباً) فيه قولان .

أحدهما : لا يملكون الشفاعة إلا بإذنه قاله ابن السائب . والثاني : لا يقدر الخلق أن يكلّموا الربَّ إلا بإذنه ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : (يوم يقوم الروح) فيه سبعة أقوال .

أحدها : أنه جند من جند الله تعالى ، وليسوا بملائكة ، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ [1] . وقال مجاهد : هم خلق على صورة بني آدم يأكلون ويشربون .

والثاني : أنه ملَك أعظم من السموات والجبال ، والملائكة ، قاله ابن مسعود ، ومقاتل بن سليمان [2] . وروى عطاء عن ابن عباس قال : الروح : ملَك ما خلق الله أعظم منه ، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صَفّاً ، وقامت الملائكة كلهم صفاً واحداً ، فيكون عِظَمُ خَلْقِهِ مِثْلَ صفوفهم .

والثالث : أنها أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن تُرَدَّ إلى الأجسام ، رواه عطية عن ابن عباس .

والرابع : أنه جبريل عليه السلام قاله الشعبي ، وسعيد بن جبير ، والضحاك .

---

(١) ذكره السيوطي في « الدر » ٦/٣٠٩ من رواية ابن أبي حاتم وأبي الشيخ في « العظمة » وابن مردويه عن ابن عباس ، والله أعلم بصحة سنده . وقد ذكر ابن كثير هذا المعنى عن ابن عباس موقوفاً عليه ، وذكره ابن كثير والشوكاني عن مجاهد وأبي صالح ، ولعله مما تلقاه ابن عباس من الاسرائيليات . والله أعلم .

(٢) روى هذا المعنى ابن جرير الطبري في « تفسيره » ٣٠/٢٢ عن ابن مسعود . قال ابن كثير : وهذا قول غريب جداً .

والخامس : أنهم بنو آدم ، قاله الحسن ، وقتادة .

والسادس : أنه القرآن ، قاله زيد بن أسلم .

والسابع : أنهم أشرف الملائكة ، قاله مقاتل بن حيان [١] .

قوله تعالى : (والملائكةُ صفاً) قال الشعبي : هما سماطان ، سماط من الروح ، وسماط من الملائكة . فعلى هذا يكون المعنى : يوم يقوم الرُّوحُ صفاً ، والملائكة صفاً . وقال ابن قتيبة : معنى قوله تعالى : (صفاً) صفوفاً .

قوله تعالى : (لا يتكلَّمون) يعني : الخلق كلهم (إلا من أذن له الرحمن) في الكلام (وقال صواباً) أي : قال في الدنيا صواباً ، وهو الشهادة بالتوحيد عند أكثر المفسرين . وقال مجاهد : قال حقاً في الدنيا ، وعمل به (ذلك اليوم الحق) الكائن الواقع بلا شك (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً) أي : مرجعاً إليه بطاعته . ثم خَوَّفَ كفَّار مكة ، فقال تعالى : (إنا أنذرناكم عذاباً قريباً) وهو عذاب الآخرة ، وكل آتٍ قريبٌ (يوم ينظر المرء ماقدَّمت يداه) أي : يرى عمله مثبَتاً في صحيفته خيراً كان أو شراً (ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً) يا ليتني لم أبعث . وحكى الثعلبي عن بعض أشياخه أنه رأى في بعض التفاسير أن الكافر هاهنا : إبليس ، وذلك أنه عاب آدم ، لأنه خُلِقَ من التراب ، فتمنَّى يوم القيامة أنه كان بمكان آدم ، فقال : يا ليتني كنت تراباً [٢] .

---

(١) توقف ابن جرير الطبري فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها ، وقال ابن كثير : والأشبه عندي — والله أعلم — أنهم بنو آدم .

(٢) والصحيح أنها عامة في كل كافر ، وإبليس داخل بطريق الأولى .

سورة النازعات

مكية كلّها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلنَّازِعَاتِ غَرْقاً . وَٱلنَّاشِطَاتِ نَشْطاً . وَٱلسَّابِحَاتِ سَبْحاً . فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً . فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً . يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ . قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ . أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ . يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ . أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً . قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ . فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾

قوله تعالى : (والنازعات) فيه سبعة أقوال .

أحدها : أنها الملائكة تَنْزِعُ أرواح الكفّار ، قاله علي ، وابن مسعود . وروى عطية عن ابن عباس قال : هي الملائكة تَنْزِع نفوسَ بني آدم ، وبه قال مسروق .

والثاني : أنه الموت يَنْزِع النفوسَ ، قاله مجاهد .

والثالث : أنها النفس حين تُنْزَعُ ، قاله السدي .

والرابع : أنها النجوم تَنْزِع من أُفق إلى أُفق تطلع ثم تغيب ، قاله الحسن ، وقتادة ، وأبو عبيدة ، والأخفش ، وابن كيسان .

والخامس : أنها القِسِيّ تَنْزِع بالسَّهم ، قاله عطاء ، وعكرمة .

والسادس : أنها الوحوش تنزع وتنفر ، حكاه الماوردي .

والسابع : : أنها الرُّماةُ ، حكاه الثعلبي [١] .

قوله تعالى : (غرقاً) اسم أقيم مقام الإغراق . قال ابن قتيبة : والمعنى : والنازعات إغراقاً ، كما يغرق النازع في القوس ، يعني : أنه يبلغ به غاية المد .

قوله تعالى : (والناشطات نشطاً) فيه خمسة أقوال .

أحدها : أنها الملائكة [٢] . ثم في معنى الكلام قولان . أحدهما : أنها حين تنشط أرواح الكفار حتى تخرجها بالكرب والغمّ ، قاله علي رضي الله عنه . قال مقاتل : ينزع ملك الموت روح الكافر ، فإذا بلغت ترقوته غرقها في حلقه ، فيعذّبه في حياته ، ثم ينشطها من حلقه — أي : يجذبها — كما ينشط السفّود من الصوف المبتل . والثاني : أنها تنشط أرواح المؤمنين بسرعة ، كما ينشط العقال من يد البعير إذا حل عنها ، قاله ابن عباس . وقال الفراء : الذي سمعته من العرب : كما أُنْشِط من عِقَال بألف . تقول : إذا ربطت الحبل في يد البعير : نشطته ، فإذا حللته قلت : أنشطته .

والقول الثاني : أنها أنفس المؤمنين تنشط عند الموت للخروج ، وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً . وبيانه أن المؤمن يرى منزله من الجنة قبل الموت فتنشط نفسه لذلك .

---

(١) ذكر ابن كثير أن الصحيح في قوله : (والنازعات غرقاً) : الملائكة ، قال : يعنون حين تنزع أرواح بني آدم ، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرقه في نزعها ، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته من نشاط ، وهو قوله : (والناشطات نشطاً) .

(٢) وهو الأقرب .

والثالث : أن الناشطات : الموت ينشط نفس الإنسان ، قاله مجاهد .

والرابع : النجوم تنشط من أفق إلى أفق ، أي : تذهب ، قاله قتادة ، وأبو عبيدة ، والأخفش . ويقال لبقر الوحش : نواشط ، لأنها تذهب من موضع إلى موضع . قال أبو عبيدة : والهموم تنشط بصاحبها . قال هميان بن قحافة :

أَمْسَتْ هُمُومي تَنْشِطُ المَنَاشِطَا الشَّامَ بي طَوْراً وطَوْراً وَاسِطَا[1]

والخامس : أنها النفس حين تَنْشط بالموت ، قاله السدي .

قوله تعالى : (والسابحات سبحاً) فيه ستة أقوال .

أحدها : أنها الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين ، قاله علي رضي الله عنه . قال ابن السائب : يقبضون أرواح المؤمنين كالذي يسبح في الماء . فأحياناً ينغمس ، وأحياناً يرتفع ، يسلُّونها سلاً رفيقاً ، ثم يَدَعُونها حتى تستريح .

والثاني : أنهم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين ، كما يقال للفرس الجواد : سابح : إذا أسرع في جريه ، قاله مجاهد ، وأبو صالح ، والفراء .

والثالث : أنه الموت يسبح في نفوس بني آدم ، روي عن مجاهد أيضاً .

والرابع : أنها السفن تسبح في الماء ، قاله عطاء .

والخامس : أنها النجوم ، والشمس ، والقمر ، كل في فلك يسبحون ، قاله قتادة ، وأبو عبيدة .

والسادس : أنها الخيل ، حكاه الماوردي[2] .

---

(١) البيت في « اللسان » نشط لهميان بن قحافة راجز إسلامي . وهو في « مجاز القرآن » ٢/٢٨٤ والطبري ٣٠/٢٩ والقرطبي ١٩/١٩٠ و « روح المعاني » ٣٠/٢٤ ومعنى البيت : يقول : صارت همومي تنقلني من بلد إلى بلد ، فمرة إلى الشام ، ومرة إلى واسط .

(٢) والقول الأول أقرب إلى الصواب .

قوله تعالى : (فالسابقات سبقاً) فيه خمسة أقوال ·

أحدها : أنها الملائكة . ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال . أحدها : أنها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء ، قاله علي ، ومسروق . والثاني : أنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ، قاله مجاهد ، وأبو رَوْق . والثالث : أنها سبقت بني آدم إلى الإيمان ، قاله الحسن .

والقول الثاني : أنها أنفس المؤمنين تسبق الملائكة شوقاً إلى لقاء الله ، فيقبضونها وقد عاينت السرور ، قاله ابن مسعود .

والثالث : أنه الموت يسبق إلى النفوس ، روي عن مجاهد أيضاً .

والرابع : أنها الخيل ، قاله عطاء .

والخامس : أنها النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير ، قاله قتادة .

قوله تعالى : (فالمدبِّرات أمراً) قال ابن عباس : هي الملائكة . قال عطاء : وُكِّلتْ بأمور عَرَّفهم الله العمل بها . وقال عبد الرحمن بن سابط : يُدَبِّر أمر الدنيا أربعة أملاك : جبريل ، وهو موكل بالرِّياح والجنود . وميكائيل ، وهو موكل بالقطر والنبات . وملك الموت ، وهو موكل بقبض الأنفس . وإسرافيل ، وهو يَنزل بالأمر عليهم . وقيل : بل جبريل للوحي ، وإسرافيل للصور . وقال ابن قتيبة : فالمدبِّرات أمراً : تنزل بالحلال والحرام ·

فإن قيل : أين جواب هذه الأقسام ، فعنه جوابان ·

أحدهما : أن الجواب قوله تعالى : (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) ، قاله مقاتل ·

والثاني : أن الجواب مضمر ، تقديره : لَتُبْعَثُنَّ ، وَلَتُحاسَبُنَّ ، ويدل على هذا قوله تعالى : (أئذا كنا عِظَاماً نَخِرَةً) قاله الفراء .

قوله تعالى : (يوم ترجُف الراجفة) ، وهي النفخة الأولى التي يموت منها جميع الخلائق. و « الراجفة » صيحة عظيمة فيها تردُّدٌ واضطراب كالرعد إذا تمحض . و « ترجف » بمعنى : تتحرَّك حركة شديدةً (تتبعها الرادفة) وهي : النفخة الثانية ردفت الأولى ، أي : جاءت بعدها . وكل شيء جاء بعد شيء فهو يردفه (قلوب يومئذ واجفة) أي : شديدة الاضطراب لما عاينت من أهوال القيامة (أبصارها خاشعة) أي : ذليلةٌ لمعاينة النار . قال عطاء : وهذه أبصار من لم يمت على الإسلام . ويدل على هذا أنه ذكَرَ منكري البعث ، فقال تعالى : (يقولون أئنا لمردودون في الحافرة) قرأ ابن عامر وأهل الكوفة « أئنا » بهمزتين مخففتين على الاستفهام ، وقرأ الباقون بتخفيف الأولى وتليين الثانية ، وفصل بينهما بألف نافع وأبو عمرو .

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال .

أحدها : أن الحافرة : الحياة بعد الموت . فالمعنى : أنرجع أحياءً بعد موتنا ؟! وهذا قول ابن عباس ، وعطية ، والسدي . قال الفراء : يعنون : أنُردُّ إلى أمرنا الأول إلى الحياة ؟! والعرب تقول : أتيت فلاناً ، ثم رجعت على حافرتي ، أي : رجعت من حيث جئت . قال أبو عبيدة : يقال : رجع فلان في حافرته ، وعلى حافرته : إذا رجع من حيث جاء ، وهذا قول الزجاج .

والثاني : أنها الأرض التي تحفر فيها قبورهم ، فَسُمِّيت حافرةً ، والمعنى : محفورة ، كما يقال : (ماء دافق) [الطارق : ٦] و (عيشة راضية) [الحاقة : ٢١] وهذا قول مجاهد والخليل . فيكون المعنى : أئنا لمردودون إلى الأرض خلقاً جديداً ؟!

قال ابن قتيبة : « في الحافرة » أي : إلى[1] أول أمرنا . ومَنْ فَسَّرها بالأرض ، فإلى هذا يذهب ، لأنا منها بُدِئْنَا . قال الشاعر :

أَحَافِرَةً على صَلَعٍ وَشَيْبٍ ... مَعَاذَ اللهِ مِنْ سَفَهٍ وَعَارِ[2]

[كأنه قال : أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغــزل والصبا[3] « بعد ما شِبْتُ وَصَلَعْتُ ؟! »[4] .

والثالث : أن الحافرة : النار ، قاله ابن زيد][5] .

قوله تعالى : (أئذا كنا عظاماً نَخِرَةً) وقرأ حمزة ، وأبو بكر عن عاصم « نَاخِرَةً » . قال الفراء : وهما بمعنى واحد في اللغة . مثل طَمِع ، وطَامِع وَحَذِر ، وَحاذِر . وقال الأخفش : هما لغتان . وقال الزجاج : يقال : نَخِرَ العظم يَنْخَرُ ، فهو نَخِرٌ . مثل عَفِنَ الشيء يَعْفَنُ ، فهو عَفِنٌ . وناخرة على معنى : عظاماً فارغةً ، يجيء فيها من هبوب الريح كالنخير . قـال المفسرون : والمراد أنهم أنكروا البعث ، وقالوا : نُرَدُّ أحياءً إذا متنا وبليت عظامنا ؟! (**تلك** إذن كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ) أي : إن رُدِدْنَا بَعْدَ الموت لَنَخْسَرَنَّ بما يصيبنا مما يَعِدُنا به محمد ، فأعلمهم الله بسهولة البعث عليه ، فقال تعالى : (فإنما هي) يعني النفخة الأخيرة (زَجْرَةٌ واحدة) أي : صيحة في الصور يسمعونها من إسرافيل وهم في الأرض فيخرجون (فإذا هم بالساهرة) وفيها أربعة أقوال .

---

(١) في الأصل : « في » والتصحيح من « غريب القرآن » .

(٢) البيت في « غريب القرآن » ٥١٣ ، والطبري ٣٠/٣٣ ، والقرطبي ١٩/١٩٥ ، وهو في « اللسان » حفر قال : وأنشد ابن الأعرابي .... فذكره .

(٣) في الأصل : أرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من القول في الصبا . والتصحيح من « لسان العرب » .

(٤) زيادة من « اللسان » .

(٥) ما بين المعقفين زيادة من النسخة الاستنبولية .

أحدها : أن الساهرة : وجه الأرض ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة والضحاك ، واللغويون[١] . قال الفراء : كأنها سميت بهذا الاسم ، لأن فيها نوم الحيوان وسهرهم .

والثاني : أنه جبل عند بيت المقدس ، قاله وهب بن منبه .

والثالث : أنها جهنم ، قاله قتادة .

والرابع : أنها أرض الشام ، قاله سفيان .

﴿ هَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ . إِذْ نَادَٰهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى . إِذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ . فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰٓ أَنْ تَزَكَّىٰ . وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ . فَأَرَىٰهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ . فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ . ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ . فَحَشَرَ فَنَادَىٰ . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ . فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ . ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَىٰهَا . رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا . وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَىٰهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

قوله تعالى : (هل أتاك حديث موسى) أي : قد جاءك . وقد بيَّنّا هذا في (طه : ٩) وما بعده إلى قوله تعالى : (طوى اذهب) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو « طوى اذهب » غير مُجراةٍ . وقرأ الباقون « طوىً » منونة (فقل هل لك إلى أن تَزَكَّى) وقرأ ابن كثير ، ونافع « تَزَّكَّى » بتشديد الزاي ، أي : تطَّهَّر من الشرك (وأَهْدِيَكَ إلى ربك) أي : أدعوك إلى توحيده ، وعبادته (فتخشى) عذابه (فأراه الآية الكبرى) وفيها قولان :

---

(١) وهذا هو الصحيح كما قال ابن كثير ، وبقية الأقوال غريبة .

أحدهما : أنها اليد والعصا ، قاله جمهور المفسرين . والثاني : أنها اليد ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (فكذب) أي بأنها من الله ، (وعصى) نبيَّه (ثم أدبر) أي : أعرض عن الإيمان (يسعى) أي : يعمل بالفساد في الأرض (فحشَر) أي : فجمع قومه وجنوده (فنادى) لما اجتمعوا (فقال أنا ربكم الاعلى) أي : لا ربَّ فوقي . وقيل : أراد أن الاصنام أرباب ، وأنا ربُّها وربُّكم . وقيل : أراد : أنا ربُّ السادة والقادة .

قوله تعالى : (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) فيه أربعة أقوال .

أحدها : أن الاولى قوله: « ما علمت لكم من إله غيري » [القصص : ٣٨] والآخرة قوله : « أنا ربكم الاعلى » ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، والشعبي ، ومقاتل ، والفراء . ورواه ابن أبي نجيح عن مجاهد . قال ابن عباس : وكان بينهما أربعون سنة . قال السدي : فبقي بعد الآخرة ثلاثين سنة . قال الفراء : فالمعنى : أخذه الله أخذاً نكالاً للآخرة والاولى .

والثاني : المعنى : جعله الله نكال الدنيا والآخرة ، أغرقه في الدنيا ، وعذَّبه في الآخرة ، قاله الحسن ، وقتادة . وقال الربيع بن أنس : عذَّبه الله في أول النهار بالغَرَق ، وفي آخره بالنَّار .

والثالث : أن الأولى : تكذيبه وعصيانه . والآخرة قوله : « أنا ربكم الأعلى » ، قاله أبو رزين .

والرابع : أنها أول أعماله وآخرها ، رواه منصور عن مجاهد . قال الزجاج : النكال : منصوب مصدر مؤكد ، لأن معنى أخذه الله : نكل الله به نكال الآخرة

والأولى : فأغرقه في الدنيا ويعذّبه في الآخرة [١] .

قوله تعالى : (إن في ذلك) الذي فُعِل بفرعون (لعبرةً) أي : لعظـةً (لمن يخشى) الله .

ثم خاطب منكري البعث ، فقال تعالى : (أأنتم أشد خلقاً أم السماءُ بناها) قال الزجاج : ذهب بعض النحويين إلى أن قوله تعالى : (بناها) من صفة السماء ، فيكون المعنى : أم السماء التي بناها . وقال قوم : السماء ليس مما توصل ، ولكن المعنى : أأنتم أشد خلقاً ، أم السماءُ أشد خلقاً . ثم بيّن كيف خلقها ، فقال تعالى : (بناها) قال المفسرون : أخَلْقُكم بعدَ الموت أشدُّ عندكم ، أم السماءُ في تقديركم ؟ وهما في قدرة الله واحد . ومعنى : « بناها » رفعها . وكل شيء ارتفع فوق شيء فهو بناءٌ . ومعنى (رفع سَمْكها) رفع ارتفاعها وعلوّها في الهواء (فسوّاها) بلا شقوق ، ولا فُطور ، ولا تفاوت ، يرتفع فيه بعضها على بعض (وأغطش ليلها) أي : أظلمه فجعله مظلماً . قال الزجاج : يقال : غطش الليل وأغطش ، وغبش وأغبش ، وغسق وأغسق ، وغشي وأغشى ، كله بمعنى أظلم .

قوله تعالى : (وأخرج ضحاها) أي : أبرز نهارها . والمعنى : أظهر نورها بالشمس . وإنمـا أضاف النور والظلمة إلى السماء لأنهما عنها يصدران (والأرض بعد ذلك) أي : بعد خلق السماء (دحاها) أي : بسطها . وبعض من يقول : إن الأرض خلقت قبل السماء يزعم أن « بعد » هاهنا بمعنى « قبل » ، كقوله

---

(١) قال ابن كثير : (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) أي : انتقم الله منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من المتمردين في الدنيا (ويوم القيامة بئس الرفد المرفود) كما قال تعالى : (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لاينصرون) قـال : وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله : (نكال الآخرة والأولى) أي الدنيا والآخرة .

تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذّكر) [الأنبياء : ١٠٥] . وبعضهم يقول : هي بمعنى « مع » ، كقوله تعالى : (عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم) [القلم : ١٣] ، ولا يمتنع أن تكون الأرض خلقت قبل السماء ، ثم دحيت بعد كمال السماء ، وهذا مذهب عبد الله بن عمرو بن العاص . وقد أشرنا إلى هذا الخلاف في (البقرة : ٢٩) [1] . ونصبت الأرض بمضمر تفسيره قوله تعالى : (دحاها) .

(أخرج منها ماءها) أي : فجّر العيون منها (ومرعاها) وهو ما يأكله الناس والأنعام (والجبال أرساها) قال الزجاج : أي : أثبتها (متاعاً لكم) أي : للإمتاع ، لأن معنى أخرج منها ماءها ومرعاها : أمتع بذلك . وقال ابن قتيبة : « متاعاً لكم » أي : منفعة [لكم] .

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَى . يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَانُ مَا سَعَى . وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَى . فَأَمَّا مَن طَغَى . وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا . فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَى . فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَى . يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَٰهَا . فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَا . إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَا . إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا . كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾

قوله تعالى : (فإذا جاءت الطامة الكبرى) والطامة : الحادثة التي تطمُّ على ما سواها ، أي : تعلو فوقه . وفي المراد بها هاهنا ثلاثة أقوال .

أحدها : النفخة الثانية التي فيها البعث .

(١) قال ابن كثير ٩٢/٤ : أما خلق الأرض ، فقبل خلق السماء بالنص ، وبهذا أجاب ابن عباس رضي الله عنهما فيما ذكره البخاري . انظر «صحيح البخاري» ٤٢٧/٨ ، ٤٢٨ . ثم قال ابن كثير ٤٦٨/٤ : ولكن إنما دحيت الأرض بعد خلق السماء ، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل ، قال : وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد ، واختاره ابن جرير .

والثاني : أنها حين يقال لأهل النار : قوموا إلى النار .

والثالث : أنها حين يساق أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار .

قوله تعالى : (يتذكَّر الإنسان ما سعى) أي : ما عمل من خير وشر (وبُرِّزت الجحيم لمن يرى) أي : لأبصار الناظرين . قال مقاتل : يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق . وقرأ أبو مجلز ، وابن السميفع « لمن ترى » بالتاء . وقرأ ابن عباس ، ومعاذ القارىء « لمن رأى » بهمزة بين الراء والألف .

قوله تعالى : (فأما من طغى) في كفره (وآثر الحياة الدنيا) على الآخرة (فإن الجحيم هي المأوى) قال الزجاج : أي هي المأوى له . وهذا جواب « فإذا جاءت الطامة » فإن الأمر كذلك .

قوله تعالى : (وأما من خاف مقام ربه) قد ذكرناه في سورة (الرحمن : ٤٦) .

قوله تعالى : (ونهى النفس عن الهوى) أي : عما تهوى من المحارم . قال مقاتل : هو الرجل يَهُمّ بالمعصية ، فيذكر مقامه للحساب ، فيتركها .

قوله تعالى : (يسألونك عن الساعة أيّان مرساها) قد سبق في (الأعراف : ١٨٧) (فيم أنت مِن ذِكراها) أي : لست في شيء من علمها وذِكْرِها . والمعنى : إنك لا تعلمها (إلى ربك منتهاها) أي : منتهى علمها (إنما أنت منذر من يخشاها) وقرأ أبو جعفر « منذرٌ » بالتنوين . ومعنى الكلام : إنما أنت مُخَوِّفٌ من يخافها . والمعنى : إنما ينفع إنذارك من يخافها ، وهو المؤمن بها . وأما من لا يخافها فكأنه لم يُنْذَر (كأنهم) يعني : كفار قريش (يوم يرَونها) أي : يعاينون القيامة (لم يلبثوا) في الدنيا . وقيل : في قبورهم (إلا عشية أو ضحاها) أي : قَدْرَ آخر النهار من بعد العصر ، أو أوله إلى أن ترتفع

الشمس . قال الزجاج : والهاء والألف في « ضحاها » عائدان[1] إلى العشية . والمعنى : إلا عشية ، أو ضحى العشية . قال الفراء :

فإن قيل : للعشية ضحى ، إنما الضحى لصدر النهار ؟

فالجواب : أن هذا ظاهر في كلام العرب أن يقولوا : آتيك العشيــة ، أو غداتَها ، أو آتيك الغداةَ ، أو عَشيّتَها ، فتكون العشية في معنى « آخر » ، والغداة في معنى « أول » . أنشدني بعض بني عقيل :

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِراً في دَارِها عَشِيَّةَ الهِلاَلِ أو سِرارِها[2]

أراد : عشيــة الهلال ، أو عشية سرار العشية ، فهذا أشد من قولهم : آتيك الغداة أوْ عشيتها .



(١) في الأصل : عائد .

(٢) البيت لبعض بني عقيل ، أنشده الفراء في « معاني القرآن » (٣٥٧) عند قوله تعالى : (إلا عشية أو ضحاها) وهو في الطبري ٣٠/٥٠ والقرطبي ١٩/٢٠٨ .

سورة عبس

مكية كلُّها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ . أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ . أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ . فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ . وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ . وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ . وَهُوَ يَخْشَىٰ . فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ . كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ . فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ . فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ . كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾

قوله تعالى : (عبس وتولَّى) قال المفسرون : كان رسول الله ﷺ يوماً يناجي عتبة بن ربيعة ، وأبا جهل بن هشام ، وأُمية وأُبَيّاً ابني خلف ، ويَدْعوهم إلى الله تعالى ، ويرجو إسلامهم ، فجاء ابن أم مكتوم الأعمى ، فقال : علِّمني يا رسول الله مما علَّمك الله ، وجعل يناديه ، ويكرِّر النداء ، ولا يدري أنه مشتغل بكلام غيره ، حتى ظهرت الكراهية في وجهه ﷺ لقطعه كلامه ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، وأقبل على القوم يكلِّمهم ، فنزلت هذه الآيات ، فكان رسول الله ﷺ يكرمه بعد ذلك ، ويقول : مرحباً بمن عاتبني فيه

ربي[1] . وذهب قوم ، منهم مقاتل ، إلى أنه إنما جاء ليؤمن ، فأعرض عنه النبي ﷺ اشتغالاً بالرؤساء ، فنزلت فيه هذه الآيات .

ومعنى « عبس » قطَّب وكَلَح « وتولَّى » أعرض بوجهه (أن جاءه) أي : لأن جاءه . وقرأ أُبَيُّ بن كعب ، والحسن ، وأبو المتوكل ، وأبو عمران ، « آن جاءه » بهمزة واحدة مفتوحة ممدودة . وقرأ ابن مسعود ، وابن السميفع « أأَن » بهمزتين مقصورتين مفتوحتين . و (الأعمى) هو ابن أم مكتوم ، واسمه عمرو بن قيس . وقيل : اسمه عبد الله بن عمرو (وما يدريك لعلَّه يَزَّكَّى) أي : يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح ، وما يتعلَّمه منك . وقال مقاتل : لعله يؤمن (أو يَذَّكَّرُ) أي : يتعظ بما يتعلمه من مواعظ القرآن (فتنفعهَ الذكرى) قرأ حفص عن عاصم « فتنفعه » بفتح العين ، والباقون برفعها . قال الزجاج : من نصب ، فعلى جواب « لعل » ، ومن رفع ، فعلى العطف على « يزَّكَّى » .

قوله تعالى : (أما من استغنى) قال ابن عباس : استغنى عن الله وعن الإيمان بماله . قال مجاهد : « أما من استغنى » : عتبة ، وشيبة ، (فأنت له تَصَدَّى) . قرأ ابن كثير ، ونافع « تصَّدَّى » بتشديد الصاد . وقرأ عاصم ، وأبو عمرو ،

(١) ذكره الواحدي في « أسباب النزول » ص ٣٣٣ بغير سند ، وقال الحافظ في « تخريج أحاديث الكشاف ١٨١ ذكره الثعلبي بلا إسناد ، وأخرجه ابن أبي حاتم من رواية العوفي عن ابن عباس نحوه . وأخرج الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه ، وابن حبان عن عائشة قالت : أُنزلت سورة « عبس وتولى » في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول : يا رسول الله أرشدني ، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ، ويقبل على الآخر ، ويقول : أترى بما أقول بأساً ؟ فيقول : لا ، ففي هذا أُنزلت .

وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي « تَصَدّى » بفتح التاء ، والصاد وتخفيفها ، وقرأ أُبَيُّ بن كعب ، وأبو الجوزاء ، وعمرو بن دينار : « تَتَصَدّى » بتاءين مع تخفيف الصاد . قال الزجاج : الأصل : تتصدى ، ولكن حذفت التاء الثانية لاجتماع تاءين . ومن قرأ « تَصَّدّى » بإدغام التاء ، فالمعنى أيضاً : تتصدى ، إلا أن التاء أدغمت في الصاد لقرب مخرج التاء من الصاد . قال ابن عباس : « تَصَدّى » تقبل عليه بوجهك . وقال ابن قتيبة : تتعرض[1] . وقرأ ابن مسعود ، وابن السميفع ، والجحدري « تُصْدَى » بتاء واحدة مضمومة ، وتخفيف الصاد .

قوله تعالى : (وما عليك) أي : أي شيء عليك في أن لا يُسْلِمَ مَنْ تدعوه إلى الإسلام ؟ يعني : أنه ليس عليه إلا البلاغ .

(وأمّا من جاءك يسعى) فيه قولان .

أحدهما : يمشي .

والثاني : يعمل في الخير ، وهو ابن أم مكتوم (وهو يخشى) الله (فأنت عنه تلهّى) وقرأ ابن مسعود ، وطلحة بن مصرف ، وأبو الجوزاء « تتلهى » بتاءين . وقرأ أُبَيّ بن كعب ، وابن السميفع ، والجحدري « تُلْهَى » بتاء واحدة خفيفة مرفوعة . قال الزجاج : أي : تتشاغل عنه . يقال : لهيت عن الشيء ألهى عنه : إذا تشاغلتَ عنه .

قوله تعالى : (كلا) أي : لا تفعل ذلك . (إنها) في المكني عنها قولان .

أحدهما : آيات القرآن ، قاله مقاتل .

والثاني : هذه السورة ، قاله الفراء « والتذكرة » بمعنى التذكير (فمن شاء ذكره) مفسر في آخر (المدثر : ٥٥) . ثم أخبر بجلالة القرآن عنده ، فقال تعالى :

(١) وفي « غريب القرآن » تعرّض .

(في صُحُفٍ مُكَرَّمة) أي : هو في صحف ، أي : في كتب مكرَّمة ، وفيها قولان .

أحدهما : أنها اللوح المحفوظ ، قاله مقاتل .

والثاني : كتب الأنبياء ، ذكره الثعلبي . فعلى هذا يكون معنى « مرفوعة » عالية القدر . وعلى الأول يكون رفعها كونها في السماء .

وفي معنى « المطهرة » أربعة أقوال .

أحدها : مطهرة من أن تنزل على المشركين ، قاله الحسن . والثاني : مطهرة من الشرك والكفر ، قاله مقاتل . والثالث : لأنه لا يمسها إلا المطهرون ، قاله الفراء . والرابع : مطهرة من الدنس ، قاله يحيى بن سلام .

قوله تعالى : (بأيدي سفرة) فيهم قولان .

أحدهما : أنهم الملائكة ، قاله الجمهور .

والثاني : أصحاب محمد ﷺ ، قاله وهب بن منبه .

وفي معنى « سفرة » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنهم الكَتَبَة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والزجاج . قال الزجاج : واحدهم : سَافِر ، وسَفَرَة ، مثل كَاتِب ، وكَتَبَة ، وكافِر ، وكَفَرَة . وإنما قيل للكتاب : سفر ، وللكاتب : سافر ، لأن معناه أنه يبين الشيء ويوضحه . يقال : أسفر الصبح : إذا أضاء . وسفرت المرأة : إذا كشفت النقاب عن وجهها . ومنه : سفرتُ بين القوم ، أي : كشفتُ ما في قلب هذا ، وقلب هذا ، لِأُصْلِحَ بينهم .

والثاني : أنهم القراء ، قاله قتادة .

والثالث : أنهم السفراء ، وهم المصلحون . قال الفراء : تقول العرب : سفرتُ بين القوم ، أي : أصلحتُ بينهم ، فجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله ، كالسفير الذي يصلح بين القوم . قال الشاعر :

وَمَا أَدَعُ السِّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي وَمَا أَمْشِي بِغِشٍّ إنْ مَشَيْتُ [١]

قوله تعالى : (كِرَامٍ) أي : على ربهم (بَرَرَةٍ) أي : مطيعين . قال الفراء : واحد « البررة » في قياس العربية : بَارٌّ ، لأن العرب لا تقول : فَعَلَة ينوون به الجمع إلا والواحد منه فاعل ، مثل كافر ، وكَفَرة ، وفاجر ، وفَجَرَة .

﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ . مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ . مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ . ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ . ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ . ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ . كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ . فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً . فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً . وَعِنَباً وَقَضْباً . وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً . وَحَدَائِقَ غُلْباً . وَفَاكِهَةً وَأَبّاً . مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

قوله تعالى : (قتل الإنسان) أي : لعن . والمراد بالإنسان هاهنا : الكافر . وفيمن عنى بهذا القول ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه أشار إلى كل كافر ، قاله مجاهد . والثاني : أنه أُمية بن خلف ، قاله الضحاك . والثالث : عتبة بن أبي لهب ، قاله مقاتل .

وفي قوله تعالى : (ما أكفره) ثلاثة أقوال .

أحدها : ما أشد كفره ، قاله ابن جريج .

---

(١) البيت من شواهد الفراء في « معاني القرآن » (٣٥٨) وفي « اللسان » سفر ، وهو في الطبري ٣٠/٥٤ والقرطبي ١٩/٢١٤ وابن كثير ٤/٤٧١ .

والثاني : أي شيء أكفَره ؟ قاله السدي . فعلى هذا يكون استفهام توبيخ .

الثالث : أنه على وجه التعجُّب ، وهذا التعجب يؤمر به الآدميون والمعنى : اعجبوا أنتم من كفره ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (من أيِّ شيءٍ خَلَقَه) ثم فسره فقال تعالى : (من نطفةٍ خَلَقه) .

وفي معنى « فقدره » ثلاثة أقوال .

أحدها : قدَّر أعضاءه : رأسه ، وعينيه ، ويديه ، ورجليه ، قاله ابن السائب .

والثاني : قدَّره أطواراً : نطفة ، ثم علقة ، إلى آخر خلقه ، قاله مقاتل .

والثالث : فقدَّره على الاستواء ، قاله الزجاج .

(ثم السبيل يسَّره) فيه قولان .

أحدهما : سهَّل له العلم بطريق الحق والباطل ، قاله الحسن ، ومجاهد . قال الفراء : والمعنى : ثم يسره للسبيل .

والثاني : يسر له السبيل في خروجه من بطن أمه ، قاله السدي ، ومقاتل[1]

قوله تعالى : (فأقبرَه) قال الفراء : أي جعله مقبوراً ، ولم يجعله ممن يلقى للسباع والطير ، فكأنَّ القبر مما أُكْرِم به المسلم . ولم يقل : قبره ، لأن القابر هو الدافن بيده . والمُقْبِرُ الله ، لأنه صيَّره مقبوراً ، فليس فعله كفعل الآدمي . والعرب تقول : بَتَرْتُ ذَنَبَ البعير ، والله أبتره . وعَضَبْتُ قَرْنَ الثور ، والله أَعْضَبَه . وطردتُ فلاناً عني ، والله أطرده ، أي : صيَّره طريداً . وقال أبو عبيدة : أقبره : أي أمر أن يقبر ، وجعل له قبراً . قالت بنو تميم لعمر بن هبيرة لما قتل

(١) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري وغيره .

صالح بن عبد الرحمن : أقبرنا صالحاً ، فقال : دونكموه . والذي يدفن بيده هو القابر . قال الأعشى :

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتاً إلى نَحْرِها عاش وَلَمْ يُسْلَم إلى قَابِرِ [١]

قوله تعالى : (ثم إذا شاء أنشره) أي : بعثه . يقال : أنشر الله الموتى ، فَنُشِرُوا ، ونَشَر الميْتُ : حَيِيَ [هو] بِنَفْسه ، وواحدهم ناشر . قال الأعشى :

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا يَا عَجَبَاً لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ [٢]

قوله تعالى : (كلا) قال الحسن : حقاً (لمّا يقضِ ما أمره) به ربُّه ، ولم يؤدِّ ما فرض عليه . وهل هذا عام ، أم خاص ؟ فيه قولان .

أحدهما : أنه عام . قال مجاهد : لا يقضي أحد أبداً كُلَّ ما افترض الله عليه [٣] .

---

(١) البيت للأعشى الكبير ميمون بن قيس ، ديوانه ١٣٩ من قصيدة يهجو بها علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل في المنافرة التي جرت بينهما ، وهو في « مجاز القرآن » ٢٨٦/٢ والطبري ٥٦/٣٠ والقرطبي ٢١٧/١٩ .

ورواية البيت فيها : عاش ولم يُنْقَل إلى قابر .

(٢) هو أيضاً للأعشى الكبير من القصيدة نفسها (١٤١) وبعد البيت السابق بلا فاصل بينها ، وهو في « مجاز القرآن » لأبي عبيد ٢٨٦/٢ والطبري ٥٦/١٠ والقرطبي ٢١٧/١٩ .

(٣) قال ابن كثير : وحكاه البغوي عن الحسن البصري بنحو من هذا ، قال : ولم أجد للمتقدمين فيه كلاماً سوى هذا ، والذي يقع لي في معنى ذلك ـ والله أعلم ـ أن المعنى : (ثم إذا شاء أنشره) أي : بعثه (كلا لما يقضِ ما أمره) أي : لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب الله أن سيوجد منهم ويخرج إلى الدنيا ، وقد أمر به تعالى كوناً وقدراً ، فاذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم .

والثاني : أنه خاص للكافر لم يقض ما أُمِرَ به من الإيمان والطاعة ، قاله يحيى بن سلام . ولما ذَكَر خلْق ابن آدم ، ذكر رزقه ليعتبر وليستدلَّ بالنبات على البعث ، فقال تعالى : (فلينظر الإنسان إلى طعامه) قال مقاتل : يعني به عتبة بن أبي لهب . ومعنى الكلام : فلينظر الإنسان كيف خلق الله طعامه الذي جعله سبباً لحياته ؟ ثم بين فقال تعالى : (أنّا) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر « إنا » بالكسر . وقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي (أنا صببنا) بفتح الهمزة في الوصل وفي الابتداء ، ووافقهم رويس على فتحها في الوصل ، فإذا ابتدأ كسر . قال الزجاج : من كسر « إنا » فعلى الابتداء والاستئناف ، ومن فتح ، فعلى البدل من الطعام ، المعنى : فلينظر الإنسان أنا صببنا . قال المفسرون : أراد بصب الماء : المطر (ثم شققنا الأرض) بالنبات (شقاً فأنبتنا فيها حباً) يعني به جميع الحبوب التي يُتَغَذّى بها (وعِنَباً وقَضْباً) قال الفراء : هو الرَّطبة . وأهل مكة يسمون القَتّ : القضب[1] . قال ابن قتيبة : ويقال : إنه سمي بذلك ، لأنه يُقْضَبُ مرة بعد مرة ، أي : يقطع ، وكذلك القَصيل ، لأنه يُقْصَلُ ، أي : يقطع .

قوله تعالى : (وزيتوناً ونخلاً وحدائق غُلْباً) قال الفراء : كل بستان كان عليه حائط ، فهو حديقة ، وما لم يكن عليه حائط لم يقل : حديقة . والغُلْب : ما غلظ من النخل . قال أبو عبيدة : يقال : شجرة غَلْباء : إذا كانت غليظة . وقال ابن قتيبة : الغُلب : الغِلاظ الأعناق . وقال الزجاج : هي المتكاثفةُ ، العظامُ .

(١) القضب : الرَّطبة ، ويقال لها : الفِصْفِصة ، وهي التي تأكلها الدواب رَطْبةً ، ويقال لها : القَتُّ أيضاً ، وكلها بمعنى واحد .

قوله تعالى : (وفاكهة) يعني : ألوان الفاكهة (وأبّاً) فيه قولان .

أحدهما : أنه ما ترعاه البهائم ، قاله ابن عباس ، وعكرمة ، واللغويون . وقال الزجاج : هو جميع الكلأ التي تعتلفه الماشية .

والثاني : أنه الثمار الرطبة ، رواه الوالي عن ابن عباس[1] .

(متاعاً لكم ولأنعامكم) قد بيَّنَّاه في السورة التي قبلها [النازعات : ٣٣] .

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ ٱلصَّآخَّةُ . يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ . تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ . أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾

قوله تعالى : (فإذا جاءت الصاخة) وهي الصيحة الثانية . قال ابن قتيبة : الصاخة تصِخُّ صَخّاً ، أي : تُصِمُّ . يقال : رجل أصخ ، وأصلخ : إذا كان

---

(١) وما ورد من أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سئل عن قوله تعالى : (وفاكهة وأبّاً) فقال : أي سماء تظلني وأي أرض تقلّني إن قلت في كتاب الله مالا أعلم ، فقد رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في « فضائل القرآن » ، من رواية محمد بن زيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي عن أبي بكر رضي الله عنه ، وهو منقطع بين إبراهيم التيمي وبين أبي بكر رضي الله عنه . وقد روى ابن جرير قال : حدثنا بشار ، حدثنا ابن أبي عدي ، حدثنا حميد ، عن أنس قال : قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (عبس وتولى) حتى أتى على هذه الآية (وفاكهة وأبّاً) قال : قد عرفنا ما الفاكهة فما الأب ؟ فقال : لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف . قال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح ، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقد رواه غير واحد عن أنس به ، ولكن هذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه ، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض ، لقوله تعالى : (فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأبّاً) .

لا يسمع . والداهية صاخة أيضاً . وقال الزجاج : هي الصيحة التي تكون عليها القيامة ، تصخ الأسماع ، أي : تصمها ، فلا تسمع إلا ما تدعى به لإحيائها . ثم فسر في أي وقت تجيء ، فقال تعالى : (يوم يَفِرُّ المرء من أخيه) قال المفسرون : المعنى : لا يلتفت الإنسان إلى أحد من أقاربه ، لِعِظَم ما هو فيه . قال الحسن : أول من يَفِرُّ من أخيه هابيل ، ومن أمه وأَبيه إبراهيم ، ومن صاحبته نوح ولوط ، ومن ابنه نوح . وقال قتادة : يفر هابيل من قابيل ، والنبي ﷺ من أُمه ، وإبراهيم من أبيه ، ولوط من صاحبته ، ونوح من ابنه [1] .

قوله تعالى : (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يُغنيه) قال الفراء : أي : يَشْغَلُه عن قرابته . وقال ابن قتيبة : أي : يَصْرِفه ويصدُّه عن قرابته ، يقال : اغْنِ عني وجهك ، أي : اصرفه ، واغْن عني السفيه . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ، والزهري ، وأبو العالية ، وابن السميفع ، وابن محيصن ، وابن أبي عبلة « يَعنيه » بفتح الياء والعين غير معجمة . قال الزجاج : معنى الآية : له شأن لا يقدر مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره . وكذلك قراءة من قرأ « يعنيه » بالعين ، معناه : له شأن لا يهمه معه غيره .

(١) والصحيح أن الآية عامة . قال الخازن : وفائدة الترتيب : كأنه قيل : يوم يفر المرء من أخيه ، بل من أبويه لأنهما أقرب من الإخوة ، بل من الصاحبة والولد ، لأن تعلقه بهما أشد من تعلقه بالأبوين . قال ابن كثير : يراهم ويفر منهم ، لأن الهول عظيم ، والخطب جليل . ثم قال : وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول : نفسي نفسي ، لا أسألك اليوم إلا نفسي ، حتى إن عيسى بن مريم يقول : لا أسأله اليوم إلا نفسي ، لا أسأله مريم التي ولدتني .

وقد روى أنس بن مالك قال : قالت عائشة للنبي ﷺ : أنحشر عراةً ؟ قال : نعم . قالت : واسوءتاه ، فأنزل الله تعالى : (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) [١] .

قوله تعالى : (وجوه يومئذ مُسْفِرة) أي : مضيئة قد علمت ما لها من الخير (ضَاحِكةٌ) لسرورها (مستبشرة) أي : فرحة بما نالها من كرامة الله عز وجل (ووجوه يومئذ عليها غَبَرة) أي : غبار . وقال مقاتل : أي : سواد وكآبة (ترهقها) أي : تغشاها (قَتَرة) أي : ظلمة . وقال الزجاج : يعلوها سواد كالدخان . ثم بيَّن مَنْ أَهْلُ هذه الحال ، فقال تعالى : (أولئك هم الكَفَرة الفَجَرة) وهو جمع كافر وفاجر .

---

(١) رواه بنحوه الطبري ٣٠/٦١ من رواية الحسين بن حريث عن الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس ، ورواه ابن أبي حاتم من رواية أزهر بن حاتم عن الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح به ، وعائذ بن شريح ، قال أبو حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » : في حديثه ضعف . وروى الترمذي في « سننه » ١٦٨/٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « تحشرون حفاة عراة غُرلاً » فقالت امرأة : أيُبصر أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ ! قال : يافلانة (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، قد روي من غير وجه عن ابن عباس . وروى مسلم في « صحيحه » ٢١٩٤/٤ عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً (غير مختونين) قلت : يارسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال ﷺ : « ياعائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض » .

سورة التكوير

وهي مكية كلُّها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ . وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ . وإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ . وَإِذَا ٱلْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ . وإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ . وَإِذَا ٱلسَّمَاءُ كُشِطَتْ . وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ . وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ . عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾

روى أبو عبد الله الحاكم في « صحيحه » من حديث عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ قوله تعالى : (إذا الشمس كورت) [1] .

وفي قوله تعالى : (كُوِّرَتْ) أربعة أقوال .

---

(١) أخرجه أحمد في « المسند » رقم ٤٨١٦ و ٤٩٣٤ و ٤٩٤١ و ٥٧٥٥ وإسناده صحيح ، والترمذي ٢/١٦٨ ، والحاكم ٢/٥١٥ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وأورده السيوطي في « الدر » ٦/٣١٩ وزاد نسبته لابن المنذر وابن مردويه .

أحدهـا : أظلمت ، رواه الوالبي عن ابن عبـاس ، وكذلك قال الفراء : ذهب ضوؤها ، وهذا قول قتادة ، ومقاتل .

والثاني : ذَهَبَتْ ، رواه عطية عن ابن عباس ،وكذلك قال مجاهد : اضمحلّتْ .

والثـالث : غُوِّرَتْ ، روي عن ابن عبـاس ، وسعيد بن جبير ، وابن الأنباري ، وهذا من قول الناس بالفارسية :كُوْربكرد[١] . وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال : هو بالفارسية كورُبورْ .

والرابع : أنها تُكَوَّرُ مثل تكوير العمامة ، فتلفُّ وتمحى ، قاله أبو عبيد. قال الزجاج : ومعنى « كُوِّرت » جمع ضوؤها ، ولُفَّتْ كما تلف العمامة . ويقال : كَوَّرْتُ العمامة على رأسي أكوِّرُها : إذا لَفَفْتَها . قال المفسرون : تُجمع الشمس بعضُها إلى بعض ، ثم تُلَفُّ ويرمى بها في البحر . وقيل : في النار[٢] . وقيل : تعاد إلى ما خلقت منه .

قوله تعالى : (وإذا النجوم انكدرَتْ) أي : تناثرت ، وتهافتت . يقال : انكدر الطائر في الهواء : إذا انقضَّ (وإذا الجبال سُيِّرت) عن وجه الأرض ، فاستوت مع الأرض (وإذا العشار عُطِّلَتْ) قال المفسرون وأهل اللغة : العشار : النوق الحوامل ، وهي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر فقيل لها : العشـار لذلك ، وذلك الوقت أَحْسَنُ زَمَانِ حَمْلِها ، وهي تضع إذا وَضَعَتْ لتمامٍ في سنة ، فهي أنفس ما للعرب عندهم ، فلا يعطلونها إلا لإتيان مايَشْغَلهم عنها ، وإنما

(١) أخرجه عن سعيد بن جبير الطبري ، ونقله عنه ابن كثير ، والسيوطي في « الدر المنثور » بألفاظ مختلفة .

(٢) وقد ورد في المرفوع من حديث أبي هريرة « الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة) رواه الطحاوي في « مشكل الآثار » وإسناده صحيح . ورواه بنحوه أبو يعلى والبزار من حديث أبي هريرة ، والطيالسي من حديث أنس . وذلك تبكيتاً لمن عبدهما في الدنيا .

خوطبت العرب بأمر العشار ، لأن أكثر عيشهم ومالهم من الإبل . ومعنى « عُطِّلت » سُيِّبَتْ وأُهْمِلَتْ ، لاشتغالهم عنها بأهوال القيامة .

قوله تعالى : (وإذا الوحوش) يعني : دوابّ البحر (حشرت) وفيه قولان .

أحدهما : ماتت ، قاله ابن عباس .

والثاني : جمعت إلى القيامة ، قاله السدي . وقد زدنا هذا شرحاً في (الأنعام : ١١١) .

قوله تعالى : (وإذا البِحار سُجِّرت) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو « سُجِرَتْ » بتخفيف الجيم ، وقرأ الباقون بتشديدها .

وفي المعنى ثلاثة أقوال .

أحدها : أُوقِدَتْ فاشتعلت ناراً ، قاله علي وابن عباس .

والثاني : يبست ، قاله الحسن .

والثالث : ملئت بأن صارت بحراً واحداً ، وكثر ماؤها ، قاله ابن السائب ، والفراء ، وابن قتيبة .

قوله تعالى : (وإذا النُّفوس زُوِّجَتْ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : قرنت بأشكالها ، قاله عمر رضي الله عنه . الصالح مع الصالح في الجنة ، والفاجر مع الفاجر في النار ، وهذا قول الحسن ، وقتادة [1] .

والثاني : رُدَّت الأرواح إلى الأجساد ، فَزُوِّجَت بها ، قاله الشعبي . وعن عكرمة كالقولين .

والثالث : زُوِّجت أنفس المؤمنين بالحور العين ، وأنفس الكافرين بالشياطين ، قاله عطاء ، ومقاتل .

---

(١) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري وابن كثير ، وهو الصحيح .

قوله تعالى : (وإذا الموؤودة سئلت) قال اللغويون : الموؤودة : البنت تُدْفَن وهي حَيَّةٌ ، وكان هذا من فعل الجاهلية . يقال : وَأَدَ وَلَدَهُ ، أي : دفنه حياً . قال الفرزدق :

وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الوَائِدَا تِ فَأَحْيَا الوَئِيدَ وَلَمْ يُوأَدِ [1]

يعني : صعصعة بن صوحان ، وهو جَدّ الفرزدق . قال الزجاج : ومعنى سؤالها : تبكيت قاتليها في القيامة ، لأن جوابها : قتلت بغير ذنب . ومثل هذا التبكيت قوله تعالى : (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين ؟ !) [المائدة : ١١٦] . وقرأ علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وأبو عبد الرحمن ، وابن يعمر ، وابن أبي عبلة ، وهارون عن أبي عمرو « سَأَلَتْ » بفتح السين ، وألف بعدها (بأيِّ ذنب قُتِلْتُ) بإسكان اللام ، وضم التاء الأخيرة . وسؤالها هذا أيضاً تبكيت لقاتليها . قال ابن عباس : كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت ، فكان أوان ولادها حفرت حفيرة ، فتمخَّضت على رأس الحفيرة ، فإن ولدت جارية رَمَتْ بها في الحفيرة ، وإن ولدت غلاماً حبسته .

قوله تعالى : (وإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ) قرأ نافع ، وعاصم ، وأبو جعفر ، وابن عامر ، ويعقوب « نُشِرَتْ » بالتخفيف ، والباقون بالتشديد . والمراد بالصحف : صحائف أعمال بني آدم تنشر للحساب (وإذا السماء كشطت) قال الفراء : نُزِعَتْ ، فطُوِيَتْ . وفي قراءة عبد الله « قُشِطَتْ » بالقاف ، وهكذا تقوله قيس ، وتميم ، وأسد ، بالقاف . وأما قريش ، فتقوله بالكاف ، والمعنى واحد .

---

(١) ديوانه ٢٠٣/١ . وفي « الاغاني » و « الكامل » و « معاهد التنصيص » : وجدي الذي منع الوائدات ، وهو في « اللسان » وأد ، و « مجاز القرآن » ٢٨٧/٢ ، والقرطبي ٢٣١/١٩ ، و « شواهد الكشاف » ١٠٢ .

والعرب تقول : القافور ، والكافور ، والقسط ، والكسط . وإذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات ، كما يقال : حَدَثٌ ، وحَدَتٌ . قال ابن قتيبة : كُشِطَتْ كما يُكْشَطُ الغِطَاء عن الشيء ، فطُوِيَتْ . وقال الزجاج : قلعت كما يقلع السقف . و (سُعِرت) أُوقدت . وقرأ نافع ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم « سُعِّرت » مشددة . قال الزجاج : المعنى واحد . إلا أن معنى المشدد : أُوقدت مرة بعد مرة . و (أُزْلِفَتْ) قُرِّبَتْ من المتقين . وجواب هذه الأشياء (علمت نفس ما أحضرت) أي : إذا كانت هذه الأشياء عَلِمَتْ في ذلك الوقت كلُّ نفس ما أحضرت من عمل ، فأثيبتْ على قدر عملها . وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال في قوله تعالى : (علمت نفس ما أحضرت) : لهذا جرى الحديث[1]. وقال ابن عباس : من أول السورة إلى هاهنا اثنتا عشرة خصلة ، ستة في الدنيا ، وستة في الآخرة .

﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ . وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وَمَاصَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ . وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ . وَمَاهُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ . وَمَاهُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ . فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ . إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ . لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ . وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

قوله تعالى : (فلا أقسم) لا زائدة ، والمعنى : أقسم (بالخُنَّس) وفيها خمسة أقوال .

---

(١) في تفسير ابن كثير : أجرى الحديث .

أحدها : أنها خمسة أنجم تَخْنُس بالنهار فلا تُرى ، وهي : زُحَل ، وعُطَارد ، والمشتري ، والمرّيخ ، والزُّهرة ، قاله علي ، وبه قال مقاتل ، وابن قتيبة . وقيل : اسم المشتري : البرجس . واسم المريخ : بهرام .

والثاني : أنها النجوم ، قاله الحسن وقتادة على الإطلاق ، وبه قال أبو عبيدة .

والثالث : أنها بقر الوحش ، قاله ابن مسعود .

والرابع : الظباء ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال سعيد بن جبير .

والخامس : الملائكة ، حكاه الماوردي . والأكثرون على أنها النجوم [١] . قال ابن قتيبة : وإنما سماها خُنَّساً ، لأنها تسير في البروج والمنازل ، كسير الشمس والقمر ، ثم تَخْنُس ، أي : ترجع ، بينا يرى أحدها في آخر البروج كَرَّ راجعاً إلى أوله ، وسماها كُنَّساً ، لأنها تكنس ، أي : تسير كما تكنس الظباء . وقال الزجاج : تخنس ، أي : تغيب ، وكذلك تكنس ، أي : تغيب في المواضع التي تغيب فيها . وإذا كان المراد الظباء فهو يدخل الكناس ، وهو الغصن من أغصان الشجر . ووقف يعقوب على « الجواري » بالياء .

قوله تعالى : (والليل إذا عسعس) فيه قولان .

أحدهما : ولّى ، قاله ابن عباس ، وابن زيد ، والفراء .

والثاني : أقبل ، قاله ابن جبير ، وقتادة . قال الزجاج : يقال : عسعس الليل : إذا أقبل . وعسعس : إذا أدبر . واستدل من قال : إن المراد : إدباره

---

(١) وهو الاقرب إلى الصواب .

بقوله تعالى (والصبح إذا تنفَّس) وأنشد أبو عبيدة لعلقمة بن قرط :

حتى إذا الصُّبْحُ لهـا تَنَفَّسا   وانجاب عنها لَيْلُها وعَسْعَسَا[1]

وفي قوله تعالى : (تَنَفَّس) قولان .

أحدهما : أنه طلوع الفجر ، قاله علي وقتادة .

والثاني : طلوع الشمس ، قاله الضحاك . قال الزجاج : معناه : إذا امتد حتى يصير نهاراً بَيِّناً . وجواب القسم في قوله : (فلا أقسم بالخُنَّس) ومابعده قوله : (إنه لقول رسول كريم) يعني : أن القرآن نزل به جبريل . وقد بيَّنَّا هذا في (الحاقة : ٤٠) . ثم وصف جبريل بقوله تعالى : (ذي قوة) وهو كقوله تعالى : (ذو مرة) وقد شرحناه في (النجم آية : ٦) (ذي قوة عند ذي العرش مكين) يعني : في المنزلة (مُطَاع ثَمَّ أمين) أي : في السموات تطيعه الملائكة . فمِنْ طَاعَةِ الملائكة له : أنه أَمَرَ خازن الجنة ليلة المعراج حتى فتحها لمحمد ﷺ فدخلها ورأى ما فيها ، وأمر خازن جهنم ففتَح له عنها حتى نظر إليها . وقرأ أُبَيُّ بن كعب ، وابن مسعود ، وأبو حيوة « ثُمَّ » بضم الثاء . ومعنى « أمين » على وحي الله ورسالاته . قال أبو صالح : أمين على أن يدخل سبعين سرادقاً من نور بغير إذن .

قوله تعالى : (وما صاحبكم بمجنون) يعني محمداً ﷺ ، والخطاب لأهل مكة . قال الزجاج : وهذا أيضاً من جواب القسم ، وذلك أنه أقسم أن القرآن نزل به جبريل ، وأن محمداً ليس بمجنون كما يقول أهل مكة .

---

(١) مجاز القرآن « ٢/٢٨٨ ، والطبري ٣٠/٧٩ ، والقرطبي ١٩/٢٣٦ .

قوله تعالى : (ولقد رآه بالأفق المبين) قال المفسرون : رأى محمد ﷺ جبريل على صورته بالأُفق . وقد ذكرنا هذا في سورة (النجم : ٧) .

قوله تعالى : (وما هو) يعني : محمداً ﷺ (على الغيب) أي : على خبر السماء الغائب عن أهل الأرض (بضنين) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي ، ورويس « بظنين » بالظاء ، وقرأ الباقون بالضاد . قال ابن قتيبة : من قرأ بالظاء ، فالمعنى : ماهو بمُتَّهم على مايخبر به عن الله ، ومن قرأ بالضاد ، فالمعنى : ليس ببخيل عليكم بعلم ما غابَ عنكم مما ينفعكم . وقال غيره : ما يكتمه كما يكتم الكاهن ليأخذ الأجر عليه .

قوله تعالى : (وما هو) يعني : القرآن (بقول شيطان رجيم) قال مقاتل : وذلك أن كفار مكة قالوا : إنما يجيء به الشيطان ، فيلقيه على لسان محمد .

قوله تعالى : (فأين تذهبون ؟) قال الزجاج : معناه : فأيَّ طريق تسلكون أَبْيَنَ من هذه الطريقة التي قد بَيَّنَتْ لكم ؟ (إن هو) أي : ما هو ، يعني : القرآن (إلا ذكر للعالمين) أي : موعظة للخلق أجمعين (لمن شاء منكم أن يستقيم) على الحق والإيمان . والمعنى : أن القرآن إنما يتعظ به من استقام على الحق . وقد بيَّنَّا سبيل الاستقامة ، فمن شاء أخذ في تلك السبيل . ثم أعلمهم أن المشيئة في التوفيق إليه بما بعد هذا ، وقد بَيَّنَّا هذا في سورة (الإنسان : ٣٠) قال أبو هريرة : لما نزلت (لمن شاء منكم أن يستقيم) قالوا : الأمر إلينا ، إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم ، فنزل قوله تعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) وقيل : القائل لذلك أبو جهل . وقرأ أبو بكر الصديق ، وأبو المتوكل ، وأبو عمران : « وما يشاؤون » بالياء .

فصل

وقد زعم بعض ناقلي التفسير أن قوله تعالى : (لمن شاء منكم أن يستقيم) وقوله تعالى في (عبس : ١٢) : (فمن شاء ذكره) ، وقوله تعالى في سورة (الإنسان : ٢٩) وفي سورة (المزمل : ١٨) : (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) كله منسوخ بقوله تعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) ولا أرى هذا القول صحيحاً ، لأنه لو جاز وقوع مشيئتهم مع عدم مشيئته توجّه النسخ . فأما إذ أخبر أن مشيئتهم لا تقع إلا بعد مشيئته ، فليس للنسخ وجه .



سورة الانفطار

وهي مكية كلّها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنفَطَرَتْ . وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ . وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ . وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ . عَلِمَتْ نَفْسٌ مَاقَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ . يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَاغَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ . ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَاشَاءَ رَكَّبَكَ . كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ . وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ . إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ . يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ . وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . ثُمَّ ما أَدْرَاكَ مَايَوْمُ الدِّينِ . يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾

قوله تعالى : (إذا السماء انفطرت) انفطارها : انشقاقها . و (انتثرت) بمعنى تساقطت . و (فُجِّرت) بمعنى فُتح بعضها في بعض فصارت بحراً واحداً . وقال الحسن : ذهب ماؤها ، و (بُعْثِرَتْ) بمعنى أثيرت . قال ابن قتيبة : قُلِبَتْ فأُخْرِج ما فيها . يقال : بَعْثَرْتُ المتاع وبَحْثَرْتُه : إذا جعلتَ أسفله أعلاه .

قوله تعالى : (علمت نفس ما قدَّمت وأخَّرت) هذا جواب الكلام . وقد شرحناه في قوله تعالى : (يُنَبَّأُ الإنسان يومئذ بما قدَّم وأخَّر)[القيامة : ١٣] .

قوله تعالى : (ياأيها الإنسان) فيه أربعة أقوال .

أحدها : أنه عُنِيَ به أبو الأشدين[1] ، وكان كافراً ، قاله ابن عباس ، ومقاتل . وقد ذكرنا اسمه في (المدثر : ٣٠) .

والثاني : أنه الوليد بن المغيرة ، قاله عطاء .

والثالث : أُبيّ بن خلف ، قاله عكرمة .

والرابع : أنه أشار إلى كل كافر ، ذكره الماوردي[2] .

قوله تعالى : (ما غَرَّكَ) قال الزجاج : أي : ما خدَعك وسوَّلَ لك حتى أضعتَ ما وجب عليك ؟ . وقال غيره : المعنى : ما الذي أمَّنك من عقابه وهو كريم متجاوز إذْ لم يعاقبك عاجلاً ؟ وقيل للفضيل بن عياض : لو أقامك الله سبحانه يوم القيامة ، وقال : ما غرَّك بربك الكريم ، ماذا كنت تقول ؟ قال : أقول : غرني سُتورك المرخاة . وقال يحيى بن معاذ : لو قال لي : ما غرك بي ؟ قلت : بِرُّك سالفاً وآنفاً . قيل : لما ذكر الصفة التي هي الكرم هاهنا دون سائر صفاته ، كان كأنه لقَّن عبده الجواب ، ليقول : غَرَّني كرم الكريم .

قوله تعالى : (الذي خلقك) ولم تك شيئاً (فسوَّاك) إنساناً تسمع وتبصر

---

(١) قد تقدم الكلام عليه في سورة المدثر .

(٢) وهذا هو الصواب أنه عام لكل كافر .

(فَعَدلك) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر « فعـدَّلك » بالتشديد . وقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي « فَعَدَلك » بالتخفيف . قال الفراء : من قرأ بالتخفيف ، فوجهه — والله أعلم — : فصوَّركَ إلى أي صورة شاء ، إما حَسَن ، وإما قبيح ، وإما طويل ، وإما قصير . وقيل : في صورة أب ، في صورة عم ، في صورة بعض القرابات تشبيها . ومن قرأ بالتشديد ، فإنه أراد — والله أعلم — : جعلك معتدلاً ، معدَّل الخلقة . وقال غيره : عدَّل أعضاءك فلم تفضل يد على يد ، ولا رِجل على رجل ، وعدل بك أن يجعلك حيواناً بهيماً .

قوله تعالى : (في أي صورة ما شاء ركَّبك) قال الزجاج : يجوز أن تكون « ما » زائدة . ويجوز أن تكون بمعنى الشرط والجزاء ، فيكون المعنى : في أي صورة ما شاء أن يركِّبك فيها ركبك . وفي معنى الآية أربعة أقوال .

أحدها : في أي صورة من صور القرابات ركَّبك ، وهو معنى قول مجاهد .

والثاني : في أي صورة ، من حسن ، أو قبح ، أو طول ، أو قصر ، أو ذَكَر ، أو أنثى ، وهو معنى قول الفراء .

والثالث : إن شاء أن يركِّبك في غير صورة الإنسان ركبك ، قاله مقاتل . وقال عكرمة : إن شاء في صورة قرد ، وإن شاء في صورة خنزير .

والرابع : إن شاء في صورة إنسان بأفعال الخير . وإن شاء في صورة حمار بالبلادة والبله ، وإن شاء في صورة كلب بالبخل ، أو خنزير بالشره ، ذكره الثعلبي .

قوله تعالى : (بل تكذِّبون بالدِّين) وقرأ أبو جعفر « باليـاء » أي : بالجزاء والحساب ، تزعمون أنه غير كائن . ثم أعلمهم أن أعمالهم محفوظة ، فقال

تعالى : (وإن عليكم لحافظين) أي : من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم (كراماً) على ربِّهم (كاتبين) يكتبون أعمالكم (يعلمون ماتفعلون) من خير وشر ، فيكتبونه عليكم .

قوله تعالى : (إن الأبرار لفي نعيم) وذلك في الآخرة إذا دخلوا الجنة (وإن الفجار) وفيهم قولان .

أحدهما : أنهم المشركون .

والثاني : الظَّلَمة . ونقل عن سليمان بن عبد الملك أنه قال لأبي حازم : يا ليت شعري ما لنا عند الله ؟ فقال له : اعرض عملك على كتاب الله ، فإنك تعلم ما لك عنده ، فقال : وأين أجده ؟ قال : عند قوله تعالى : (إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم) قال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال : قريب من المحسنين .

قوله تعالى : (يصلونها) يعني : يدخلون الجحيم مقاسين حرَّها (يوم الدِّين) أي : يوم الجزاء على الأعمال (وما هم عنها) أي : عن الجحيم (بغائبين) وهذا يدل على تخليد الكفار . وأجاز بعض العلماء أن تكون « عنها » كناية عن القيامة ، فتكون فائدة الكلام تحقيق البعث . ويشتمل هذا على الأبرار والفجار . ثم عظَّم ذلك اليوم بقوله تعالى : (وما أدراك ما يوم الدِّين) ثم كرَّر ذلك تفخيماً لشأنه ، وكان ابن السائب يقول : الخطاب بهذا للإنسان الكافر ، لا لرسول الله ﷺ .

قوله تعالى : (يوم لا تملك نفس لنفس) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو « يوم »

بالرفع ، والباقون : بالفتح . قال الزجاج : من رفع « اليوم » ، فعلى أنه صفة لقوله تعالى : « يوم الدين » . ويجوز أن يكون رفعه[١] بإضمار « هو » ، ونصبه على معنى : هذه الأشياء المذكورة تكون (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً) قال المفسرون : ومعنى الآية أنه لا يملك الأمرَ أحدٌ إلا الله ، ولم يملِّك أحداً من الخلق شيئاً كما ملَّكهم في الدنيا . وكان مقاتل يقول : لا تملك نفس لنفسٍ كافرةٍ شيئاً من المنفعة . والقول على الإطلاق أصح ، لأن مقاتلاً فيما أحسب خاف نفي شفاعة المؤمنين . والشفاعة إنما تكون عن أمر الله وتمليكه .



(١) في نسخة الرباط : رفعها ، وفي النسخة الاستنبولية : رفعاً .

سورة المطففين

وفيها ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها مكية ، قاله ابن مسعود ، والضحاك ، ويحيى بن سلام .

والثاني : مدنية ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وعكرمة ، وقتادة ، ومقاتل ، إلا أن ابن عباس ، وقتادة قالا : فيها ثمان آيات مكية ، من قوله تعالى : (إن الذين أجرموا) [المطففين : ٢٩] إلى آخرها . وقال مقاتل : فيها آية مكية ، وهي قوله تعالى : (إذا تتلى عليه قال أساطير الأولين) [المطففين : ١٣] .

والثالث : أنها نزلت بين مكة ، والمدينة ، قاله جابر بن زيد وابن السائب ، وذكر هبة الله ابن سلاّمة[1] المفسر أنها نزلت في الهجرة بين مكة والمدينة ، نصفها يقارب مكة ، ونصفها يقارب المدينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ . ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَـٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾

قوله تعالى : (ويل للمطففين) قال ابن عباس : لما قدم رسول الله ﷺ

(١) في الأصل : سلام ، وهو خطأ .

المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً ، فأنزل الله تعالى : (ويل للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك [١] . وقال السدي : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وبها رجل يقال له : أبو جهينة ، ومعه صاعان ، يكيل بأحدهما ، ويكتال بالآخر ، فأنزل الله هذه الآية . وقد شرحنا معنى « الويل » في (البقرة : ٧٩) . وقال ابن قتيبة : المطفف : الذي لا يوفي الكيل ، يقال : إناء طَفَّانُ : إذا لم يكن مملوءاً . وقال الزجاج : إنما قيل : مطفِّف ، لأنه لا يكاد يسرق في الميزان والمكيال إلا الشيء الطفيف ، وإنما أخذ من طَفِّ الشيء ، وهو جانبه .

قوله تعالى : (الذين إذا اكتالوا على الناس) أي : من الناس . فـ « على » بمعنى « من » في قول المفسرين واللغويين . قال الفراء : « على » ، و « من » يعتقبان في هذا الموضع ، لأنك إذا قلت : اكتلت عليك ، فكأنك قلت : أخذت ما عليك [كيلاً] ، وإذا قلت : اكتلت منك ، فهو كقولك : استوفيت منك [كيلاً] . قال الزجاج : المعنى : إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل ، وكذلك إذا اتَّزنوا ، ولم يَذْكُرْ « إذا اتَّزنوا » ، لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يُكَال ويُوزَن ، فأحدهما يدل على الآخر (وإذا كالوهم) أي : كالوا لهم (أو وزنوهم) أي : وزنوا لهم (يُخسِرون) أي : ينقصون في الكيل ، والوزن . فعلى هذا لا يجوز أن يقف على « كالوا » ، ومِنَ الناس من يجعل « هم » توكيداً لما كالوا [٢] ، ويجوز أن يقف على « كالوا » والاختيار الأول . قال الفراء : سمعت أعرابية تقول :

---

(١) أخرجه ابن ماجة ٢/٧٤٨ ، والطبري ٣٠/٩١ ، والواحدي : ٣٣٣ ، وقال الحافظ في « تخريج الكشاف » ١٢٨ : رواه النسائي وابن حبان والحاكم من رواية يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس . وأورده السيوطي في « الدر » ٦/٣٢٣ وزاد نسبته إلى الطبراني وابن مردويه والبيهقي في « شعب الإيمان » بسند صحيح عن ابن عباس .

(٢) قال الآلوسي و « هم » ضمير مرفوع ، تأكيد للضمير المرفوع وهو الواو ، يعني في « كالوا » .

إذا صدر الناس أتينا التاجر ، فيكليلنا المدّ والمدّين إلى الموسم المقبل .

قوله تعالى : (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ؟!) قال الزجاج : المعنى : لو ظنوا أنهم يُبْعَثُون ما نقصوا في الكيل والوزن (ليوم عظيم) يعني به يوم القيامة (يوم يقوم الناس) منصوب بقوله تعالى « مبعوثون » . قال المفسرون : والظن هاهنا بمعنى العلم واليقين . ومعنى : يقوم الناس ، أي : من قبورهم (لرب العالمين) أي : لأمره ، أو لجزائه وحسابه . وقيل : يقومون بين يديه لفصل القضاء . وفي « الصحيحين » من حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال : في هذه الآية : « يقوم أحدهم في رَشَحِهِ [1] إلى أنصاف أذنيه » [2] . وقال كعب : يقفون ثلاثمائة عام . قال مقاتل : وذلك إذا خرجوا من قبورهم .

﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ . وَمَا أَدْرَٰكَ مَاسِجِّينٌ . كِتَابٌ مَرْقُومٌ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ . وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ . كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ . ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ . وَمَا أَدْرَٰكَ مَاعِلِّيُّونَ . كِتَابٌ مَرْقُومٌ . يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ . إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ . يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ . خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ . وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ . عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾

---

(١) أي : عرقه ، لأنه يخرج من البدن شيئاً بعد شيء ، كما يرشح الإناء المتحلل الأجزاء .

(٢) رواه مالك في « الموطأ » والبخاري ٥٣٥/٨ ومسلم ٢١٩٥/٤ واللفظ لمسلم .

قوله تعالى : (كلا) ردع وزجر ، أي : ليس الأمر على ما هم عليه ، فليرتدعوا . وهاهنا تم الكلام عند كثير من العلماء . وكان أبو حاتم يقول : « كلا » ابتداء يتصل بما بعده على معنى « حقاً » (إن كتاب الفجار) قال مقاتل : إن كتاب أعمالهم (لفي سجين) وفيها أربعة أقوال .

أحدها : أنها الأرض السابعة ، وهذا قول مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد ، ومقاتل . وروي عن مجاهد قال : « سجين » صخرة تحت الأرض السابعة ، يجعل كتاب الفجار تحتها ، وهذه علامة لخسارتهم ، ودلالة على خساسة منزلتهم .

والثاني : أن المعنى : إن كتابهم لفي سفال ، قاله الحسن .

والثالث : لفي خسار ، قاله عكرمة .

والرابع : لفي حبس ، فعّيل من السجن ، قاله أبو عبيدة [1] .

قوله تعالى : (وما أدراك ما سجين) هذا تعظيم لأمرها . وقال الزجاج : أي : ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك .

قوله تعالى : (كتاب مرقوم) أي : ذلك الكتاب الذي في سجين كتاب

---

(١) قال ابن كثير : والصحيح أن « سجيناً » مأخوذ من السجن ، وهو الضيق ، فإن المخلوقات كلٌّ ما تسافل منها ضاق ، وكل ماتعالى منها اتسع ، فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه ، وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفول المطلق والمحل الأضيق إلى المركز في وسط الارض السابعة ، ولما كان مصير الفجار إلى جهنم ، وهي أسفل السافلين ، كما قال تعالى : (ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال هاهنا : (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين . وما أدراك ماسجين) وهو يجمع الضيق والسفول ، كما قال تعالى : (إذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبوراً) .

مرقوم ، أي : مكتوب . قال ابن قتيبة : والرقم : الكتاب . قال أبو ذؤيب :

عَرَفْتُ الدِّيَارَ كَرَقْمِ الدَّوَا ةِ يَزْبُرُهُ الكَاتِبُ الحِمْيَرِيُّ(١)

وأنشده الزجاج : « يَذْبِرها » بالذال المعجمة ، وكسر الباء . قال الأصمعي : يقال : زبر : كتب ، وذبر : قرأ . وروى أبو عمرو عن ثعلب ، عن ابن الأعرابي ، قال : الصواب : زبرت — بالزاي — كتبت . وذبرت — بالذال — أتقنت ما حفظت . قال : والبيت يزبرها ، بالزاي والضم . وقال ابن قتيبة : يروى « يزبُرها » و « ويذبُرها » وهو مثله ، يقال : زبر الكتاب يزبُرُه ، ويزبِره وذَبره يذبُره ، ويذبِره . وقال قتادة : رقّم له بشرٌ ، كأنه أعلم بعلامة يعرف بها أنه الكافر . وقيل : المعنى : إنه مثبت لهم كالرقم في الثوب ، لاينسى ولايمحى حتى يجازوا به .

قوله تعالى : (ويل يومئذ للمكذبين) هذا منتظم بقوله تعالى : (يوم يقوم الناس) ، وما بينهما كلام معترض . وما بعده قد سبق بيانه إلى قوله تعالى : (بل ران على قلوبهم) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر « بل ران » بفتح الراء مدغمة ، وقرأ أبو بكر عن عاصم « بل ران » مدغمة بكسر الراء . وقرأ حفص عن عاصم « بل » بإظهار اللام « ران » بفتح الراء . قال اللغويون : أي : غلب على قلوبهم ، يقال : الخمرة ترين على عقل السكران . قال الزجاج : قرئت بإدغام اللام في الراء ، لقرب ما بين الحرفين ، وإظهار اللام جائز ، لأنه من كلمة ، والرأس من كلمة أخرى . ويقال : ران على قلبه الذّنب يرين ريناً : إذا

(١) البيت لأبي ذؤيب خويلد بن خالد ، جاهلي إسلامي ، وهو في « ديوان الهذليين » ٦٤/١ و « غريب القرآن » ٥١٩ وفيها « يزبرها » بدلاً من « يزبره » .

غشي على قلبه ، ويقال : غان يغين غيناً ، والغين كالغيم الرقيق ، والرين كالصدأ يغشى على القلب . وسمعت شيخنا أبا منصور اللغوي يقول : الغين يقال : بالراء ، وبالغين ، ففي القرآن « كلا بل ران » وفي الحديث : « إنه ليغان على قلبي »[١] وكذلك الراية تقال بالراء ، وبالغين ، والرميصاء تكتب « بالغين » ، وبالراء ، لأن الرمص يكتب بهما . قال المفسرون : لما كثرت معاصيهم وذنوبهم أحاطت بقلوبهم . قال الحسن : هو الذّنب على الذّنب حتى يعمى القلب[٢] .

قوله تعالى : (كلا) أي : لا يصدّقون . ثم استأنف (إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال ابن عباس : إنهم عن النظر إلى ربهم يومئذ لمحجوبون ، والمؤمن لا يحجب عن رؤيته . وقال مالك بن أنس : لما حجب أعداءه فلم يَرَوْه تجلّى لأوليائه حتى رأوه . وقال الشافعي : لما حجب قوما بالسُّخْطِ دل على أن قوماً يَرَوْنه بالرضى[٣] . وقال الزجاج : في هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يُرى

---

(١) روى مسلم في « صحيحه » ٢٧٧٥/٤ عن الأغرّ المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » .

(٢) روى الترمذي والنسائي وابن ماجة من طرق عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن العبد إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب منها صقل قلبه ، وإن زاد زادت ، فذلك قول الله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وقال الترمذي : حسن صحيح ، ولفظ النسائي « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإن هو نزع واستغفر وتاب ، صقل قلبه ، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه ، فهو الران الذي قال الله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) .

(٣) وقال ابن كثير : قال الإمام أبو عبد الله الشافعي : وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ ، وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن ، -

في القيامة . ولولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة ، ولا خسَّت منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن ربهم . ثم من بعد حجبهم عن الله يدخلون النار ، فذلك قوله تعالى : (ثم إنهم لصالوا الجحيم) .

قوله تعالى : (ثم يقال) أي : يقول لهم خزنة النار : (هذا) العذاب (الذي كنتم به تكذبون . كلا) أي : لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه . ثم أعلم أين محلّ (كتاب الأبرار) فقال تعالى : (لفي عليّين) وفيها سبعة أقوال .

أحدها : أنها الجنة ، رواه عطاء عن ابن عباس .

والثاني : أنه لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش فيه أعمالهم مكتوبة ، روي عن ابن عباس أيضاً .

والثالث : أنها السماء السابعة ، وفيها أرواح المؤمنين ، قاله كعب ، وهو مذهب مجاهد ، وابن زيد .

والرابع : أنها قائمة العرش اليمنى ، قاله قتادة . وقال مقاتل : ساق العرش .

والخامس : أنه سدرة المنتهى ، قاله الضحاك .

والسادس : أنه في علو وصعود إلى الله عز وجل ، قاله الحسن . وقال الفراء : في ارتفاع بعد ارتفاع .

والسابع : أنه أعلى الأمكنة ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (وما أدراك ما عليّون) هذا تعظيم لشأنها .

قوله تعالى : (كتاب مرقوم) الكلام فيه كالكلام في الآية التي قبلها .

— وهو استدلال بمفهوم الآية ، كما دل عليه منطوق قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنان الفاخرة .

قوله تعالى : (يشهده المقربون) أي : يحضر المقرَّبون من الملائكة ذلك المكتوب ، أو ذلك الكتاب إذا صعِد به إلى عليين . وما بعد هذا قد سبق بيانه [الانفطار : ١٣] إلى قوله تعالى : (ينظرون) وفيه قولان .

أحدهما : إلى ما أعطاهم الله من الكرامة .

والثاني : إلى أعدائهم حين يعذَّبون .

قوله تعالى : (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) وقرأ أبو جعفر ، ويعقوب « تُعرَف » بضم التاء ، وفتح الراء « نضرةُ » بالرفع . قال الفراء : بريق النعيم ونداه . قال المفسرون : إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعيم ، لما ترى من الحسن والنور . وفي « الرحيق » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الخمر ، قاله الجمهور . ثم اختلفوا أي الخمر هي على أربعة أقوال . أحدها : أجود الخمر ، قاله الخليل بن أحمد . والثانية : الخالصة من الغش ، قاله الأخفش . والثالث : الخمر البيضاء ، قاله مقاتل . والرابع : الخمر العتيقة ، حكاه ابن قتيبة .

والقول الثاني : أنه عين في الجنة مشوبة بالمسك ، قاله الحسن .

والثالث : أنه الشراب الذي لا غش فيه ، قاله ابن قتيبة ، والزجاج . وفي قوله تعالى : (مختوم) ثلاثة أقوال .

أحدها : ممزوج ، قاله ابن مسعود .

والثاني : مختوم على إنائه ، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد .

والثالث : له ختام ، أي : عاقبة ريح ، وتلك العاقبة هي قوله تعالى : ختامه مسك ، أي : عاقبته . هذا قول أبي عبيدة .

(ختامه مسك) قرأ ابن كثير ، وعاصم ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة « ختامه » بكسر الخاء ، وبفتح التاء ، وبألف بعدهما ، مرفوعة الميم . وقرأ الكسائي « خاتَمه » بخاء مفتوحة ، بعدها ألف ، وبعدها[1] تاء مفتوحة . وروى الشيزري « خاتِمه » مثل ذلك ، إلا أنه يكسر التاء . وقرأ أُبَيُّ بن كعب ، وعروة ، وأبو العالية : « خَتَمه » بفتح الخاء والتاء و [بضم] الميم من غير ألف .

وللمفسرين في قوله تعالى : (ختامه مسك) أربعة أقوال .

أحدها : خلطه مسك ، قاله ابن مسعود ، ومجاهد .

والثاني : أن ختمه الذي يختم به الإناء مسك ، [قاله ابن عباس .

والثالث : أن طعمه وريحه مسك ، قاله علقمة .

والرابع : أن آخر طعمه مسك][2] قاله سعيد بن جبير ، والفراء ، وأبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والزجاج في آخرين .

قوله تعالى : (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي : فليجدُّوا في طلبه ، وليحرصوا عليه بطاعة الله . والتنافس : كالتشاحّ على الشيء ، والتنازع فيه .

قوله تعالى : (ومزاجه من تسنيم) فيه قولان .

---

(١) في الأصل : وبعده .

(٢) ما بين المعقفين سقط من نسخة الرباط ، واستدركناه من النسخة الاستنبولية .

أحدهما : أنه اسم عين في الجنة يشربها المقربون صرفاً ، وتمزج لأصحاب اليمين .

والثاني : أن التسنيم الماء ، قاله الضحاك . قال مقاتل : وإنما سمي تسنياً ، لأنه يتسنّم عليه من جنة عدن ، فينصبُّ عليهم انصباباً ، فيشربون الخمر من ذلك الماء . قال ابن قتيبة : يقال : إن التسنيم أرفع شراب في الجنة . ويقال : إنه يمتزج بماء ينزل من تسنيم ، أي : من علو . وأصل هذا من سنام البعير ، ومن تسنيم القبور . وهذا أعجب إليّ ، لقول المسيَّب بن عَلَس في وصف امرأة :

كأَنَّ بريقَتِها للمِزَا ج مِنْ ثَلْجِ تَسْنِيمَ شِيبَتْ عُقَارَا[1]

أراد : كأن بريقتها عُقَاراً شِيبَتْ للمزاج من ثلج تسنيم ، يريد : جبلاً . قال الزجاج : المعنى : ومزاجه من تسنيم عيناً تأتيهم من تسنيم ، أي : من علو يَتَسَنَّم عليهم من الغرف . فـ « عيناً » في هذا القول منصوبة ، كما قال تعالى : (أو إطعامٌ في يوم ذي مَسْغَبَة يتيماً) [البلد : ١٥] . ويجوز أن تكون « عيناً » منصوبة بقوله : يُسْقَوْنَ عيناً ، أي : من عين . وقد بينا معنى « يشرب بها » في (هل أتى : ٦) .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ . وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ . وَإِذَا ٱنْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ ٱنْقَلَبُوا فَكِهِينَ . وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ . وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ . فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ . عَلَى ٱلْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

قوله تعالى : (إن الذين أجرموا) أي : أشركوا (كانوا من الذين آمنوا) يعني أصحاب رسول الله ﷺ ، مثل عمَّار ، وبلال ، وخبَّاب وغيرهم (يضحكون)

---

(١) البيت في « غريب القرآن » ٥٢٠ .

على وجه الاستهزاء بهم (وإذا مرُّوا) يعني : المؤمنين (بهم) أي : بالكفار (يتغامزون) أي : يشيرون بالجفن والحاجب استهزاءً بهم (وإذا انقلبوا) يعني : الكُفار (إلى أهلهم انقلبوا فكهين) أيْ : متعجِّبين بما هم فيه يتفكَّهون بذكرهم . وقرأ أبو جعفر ، وحفص عن عاصم ، وعبد الرزاق عن ابن عامر « فكهين » بغير ألف . وقد شرحنا معنى القراءتين في (يس : ٥٥) (وإذا رأَوْهم) أي : رأَوْا أصحاب رسول الله ﷺ (قالوا إن هؤلاء لضالون) يقول الله تعالى : (وما أرسلوا) يعني الكفار (عليهم) أي : على المؤمنين (حافظين) يحفظون أعمالهم عليهم ، أي : لم يُوَكَّلوا بحفظ أعمالهم (فاليوم) يعني : في الآخرة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) إذا رَأَوْهم يعذَّبون في النار . قال أبو صالح : يقال لأهل النار وهم فيها : اخرجوا ، وتفتح لهم أبوابها ، فإذا أقبلوا يريدون الخروج ، غُلِّقت أبوابها دونهم . والمؤمنون (على الأرآئك ينظرون) إلى عذاب عدوِّهم . قال مقاتل : لكل رجل من أهل الجنة ثلمة ينظرون إلى أعداء الله كيف يعذَّبون ، فيحمدون الله على ما أكرمهم به ، فهم يكلِّمون أهل النار ويكلمونهم إلى أن تطبق النار على أهلها ، فتسد حينئذ الكوى .

قوله تعالى : (هل ثُوِّب الكفار) وقرأ حمزة ، والكسائي ، وهارون عن أبي عمرو « هل ثوب » بإدغام اللام . أي : هل جوزوا وأُثيبوا على استهزائهم بالمؤمنين في الدنيا ؟ وهذا الاستفهام بمعنى التقرير .

سورة الانشقاق

وهي مكية كلّها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنشَقَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ . وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ مَافِيهَا وَتَخَلَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ . يَاأَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ . فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً . وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً . وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ . فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً . وَيَصْلَى سَعِيراً . إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً . إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾

قوله تعالى : (إذا السماء انشقت) قال المفسرون : انشقاقها من علامات الساعة . وقد ذكر ذلك في مواضع من القرآن . [الفرقان : ٢٢٥ ، الرحمن : ٣٧ ، الحاقة : ١٦] (وأَذِنَتْ لربها) أي : استمعت وأطاعت في الانشقاق ، من الأذن ، وهو الاستماع للشيء والإصغاء إليه ، وأنشدوا :

صُمٌّ إذا سَمِعُوا خيراً ذُكِرْتُ بِهِ فَإِنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا[1]

---

(١) البيت لقَعْنَب بن ضمرة بن أم صاحب أم قعنب ، وكان في أيام الوليد ، وهو في « مجاز القرآن » ١/١٧٧ ، و « الطبري » ٣٠/١١٢ . و « السمط » : ٣٦٢ ، و « الاقتضاب » : ٢٩٢ ، و « شواهد الكشاف » ١٤٣ ، و « القرطبي » ١٩/٢٦٧ ، و « اللسان » أذن ، وأورد بيتاً قبله ، هو :

إنْ يَسْمَعوا رِيبَةً طاروا بها فَرَحاً مِنّي وما علموا من صَالِحٍ دفنوا

(وحُقَّتْ) أي : حقٌّ لها أن تُطيع ربَّها الذي خلقها (وإذا الأرض مُدَّتْ) قال ابن عباس : تُمَدُّ مَدَّ الأديم ، ويزاد في سَعَتها . وقال مقاتل : لايبقى جبل ولا بناء إلا دخل فيها .

قوله تعالى : (وألقَتْ ما فيها من الموتى) والكنوز (وتخلَّتْ) أي : خلت من ذلك ، فلم يبق في باطنها شيء . واختلفوا في جواب هذه الأشياء المذكورات على أربعة أقوال .

أحدها : أنه متروك ، لأن المعنى معروف قد تردَّد في القرآن .

والثاني : أنه (يا أيها الإنسان) ، كقول القائل : إذا كان كذا وكذا فيا أيها الناس تَرَوْن ما عملتم ، فيجعل : (يا أيها الإنسان) هو الجواب ، وتضمر فيه الفاء ، كأن المعنى : يرى الثواب والعقاب إذا السماء انشقت ، وذكر القولين الفراء .

والثالث : أن في الكلام تقديماً وتأخيراً ، تقديره : « يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه إذا السماء انشقت » قاله المبرد .

والرابع : أن الجواب مدلول عليه بقوله تعالى : « فملاقيه » . فالمعنى : إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (إنك كادح إلى ربك كدحاً) فيه قولان .

أحدهما : إنك عامل لربك عملاً ، قاله ابن عباس .

والثاني : ساعٍ إلى ربك سَعْياً ، قاله مقاتل . قال الزجاج : و « الكدح » في اللغة : السعي ، والدأب في العمل في باب الدنيا والآخرة . قال تميم بن مقبل :

وَمَا الدَّهْرُ إلاَّ تَارَتَانِ فَمِنْهما أَمُوت وأُخرى أَبْتَغي العَيْشَ أَكْدَحُ [1]

(١) ديوانه : ٢٤ ، وسيبويه ٣٧٦/١ ، والكامل ٩٠٨/٣ ، والحيوان ٤٨/٣ ، وحماسة البحتري ١٨٣ ، والقرطبي ٢٦٩/١٩ .

وفي قوله تعالى : (إلى ربك) قولان .

أحدهما : عامل لربك . وقد ذكرناه عن ابن عباس .

والثاني : إلى لقاء ربك ، قاله ابن قتيبة . وفي قوله تعالى : (فملاقيه) قولان .

أحدهما : فملاقٍ عَمَلَكَ . والثاني : فملاقٍ ربَّك ، كما ذكرهما الزجاج .

قوله تعالى : (فسوف يحاسَب حساباً يسيراً) وهو أن تعرض عليه سيئاته ، ثم يغفرها الله له . وفي «الصحيحين» من حديث عائشة ، قالت : قال رسول الله ﷺ : من نوقش الحساب هلك ، فقلت : يا رسول الله ، فإن الله يقول : «فسوف يحاسب حساباً يسيراً» ؟! قال : ذلك العرض»[1] .

قوله تعالى : (وينقلب إلى أهله) يعني : في الجنة من الحور العين والآدميات (مسروراً) بما أوتي من الكرامة (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) قال المفسرون : تُغَلُّ يده اليمنى إلى عنقه ، وتجعل يده اليسرى وراء ظهره (فسوف يدعو ثبوراً) قال الزجاج : يقول : يا ويلاه ، يا ثبوراه ، وهذا يقوله كلُّ من وقع في هلكة .

قوله تعالى : (ويصلى سعيراً) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، والكسائي «ويُصَلَّى» بضم الياء ، وتشديد اللام . وقرأ عاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة «ويصلى» بفتح الياء خفيفة ، إلا أن حمزة والكسائي يميلانها . وقد شرحناه في سورة (النساء : ١١)

---

(١) رواه البخاري ١/١٧٦ و ٨/٥٣٥ و ١١/٣٤٧ ومسلم ٤/٢٢٠٤ ورواه الطبري ٣٠/١١٦ والترمذي ٢/١٦٩ وقال : حديث حسن صحيح ، وأورده السيوطي في «الدر» ٦/٣٢٩ وزاد نسبته لأحمد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها .

قوله تعالى : (إنه كان في أهله) يعني في الدنيا (مسروراً) باتباع هواه ، وركوب شهواته (إنه ظن أن لن يحور) أي : لن يرجع إلى الآخرة ، ولن يبعث وهذه صفة الكافر . قال اللغويون : الحور في اللغة : الرجوع ، وأنشدوا للبيد :

وَمَا المرْءُ إلا كالشِّهَابِ وَضَوْئِهِ يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إذْ هُوَ سَاطِعُ[1]

﴿ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً . فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ . وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ . وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ . لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ . فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ . فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

قوله تعالى : (بلى) قال الفراء : المعنى: بلى ليحورون ، ثم استأنف ، فقال تعالى : (إن ربه كان به بصيراً) قال المفسرون : بصيراً به على جميع أحواله .

قوله تعالى : (فلا أقسم) قد سبق بيانه .

فأما « الشفق » فقال ابن قتيبة : هما شفقان : الأحمر ، والأبيض ، فالأحمر : من لدن غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء ثم يغيب ، ويبقى الشفق الأبيض إلى نصف الليل .

وللمفسرين في المراد « بالشفق » هاهنا ستة أقوال .

أحدها : الحمرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس . وقد روى ابن

---

(١) ديوانه ١٦٩ .

عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الشفق : الحمرة »[١] ، وهذا قول عمر ، وابنه ، وابن مسعود ، وعبادة ، وأبي قتادة ، وجابر بن عبد الله ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وأنس ، وابن المسيب ، وابن جبير ، وطاووس ، ومكحول ، ومالك ، والأوزاعي ، وأبي يوسف ، والشافعي ، وأبي عبيد ، وأحمد ، وإسحاق ، وابن قتيبة ، والزجاج . قال الفراء : سمعت بعض العرب يقول وعليه ثوب مصبوغ : كأنه الشفق ، وكان أحمر .

والثاني : أنه النهار .

والثالث : الشمس ، روي القولان عن مجاهد .

والرابع : ما بقي من النهار ، قاله عكرمة .

والخامس : السواد الذي يكون بعد ذهاب البياض ، قاله أبو جعفر محمد ابن علي .

والسادس : أنه البياض ، قاله عمر بن عبد العزيز .

قوله تعالى : (والليل وما وسق) أي : وما جمع وضم . وأنشدوا :

إنَّ لنا قَلائصاً حَقائِقا مُسْتَوْسِقاتٍ لو يَجِدْنَ سائِقا[٢]

---

(١) أخرجه الدارقطني في « سننه » ص ١٠٠ ، وصحح البيهقي وقفه ، وقال في « المعرفة » : روي هذا الحديث عن عمر ، وعلي ، وابن عباس ، وعبادة بن الصامت ، وشداد بن أوس ، وأبي هريرة ، ولا يصح عن النبي ﷺ فيه شيء ، وذكره السيوطي في « الدر » موقوفاً على ابن عمر ، وعزاه إلى عبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه .

(٢) الرجز في « ملحق ديوان العجاج » ٨٤ ، وهو في « مجاز القرآن ٢/٢٩١ و « الطبري » ٣٠/١٢٠ و « القرطبي ١٩/٢٧٥ ، و « اللسان » وسق .

قال أبو عبيدة : (وَمَا وَسَقَ) ماعلا فلم يمنع منه شيء ، فإذا جلل الليل الجبال ، والأشجار ، والبحار ، والأرض ، فاجتمعت له ، فقد وسقها . وقال بعضهم : معنى : « ما وسق » : ما جمع مما كان منتشراً بالنهار في تصرفه إلى مأواه .

قوله تعالى : (والقمر إذا اتسق) قال الفراء : اتساقه : اجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، إلى ست عشرة .

قوله تعالى : (لتركبنَّ طبقاً عن طبق) قرأ ابن كثير ، وحمزة ، والكسائي « لتركبن » بفتح التاء والباء ، وفي معناه قولان .

أحدهما : أنه خطاب لرسول الله ﷺ . ثم في معناه قولان . أحدهما : لتركبنَّ سماءً بعد سماء ، قاله ابن مسعود ، والشعبي ، ومجاهد . والثاني : لتركبن حالاً بعد حال ، قاله ابن عباس ، وقال : هو نبيكم .

والقول الثاني : أن الإشارة إلى السماء . والمعنى : أنها تتغير ضروباً من التغيير ، فتارة كالمُهْل ، وتارةً كالدِّهان ، روي عن ابن مسعود أيضاً .

وقرأ عاصم ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر « لتركبنَّ » بفتح التاء ، وضم الباء ، وهو خطاب لسائر الناس. ومعناه: لتركبنَّ حالاً بعد حال. وقرأ ابن مسعود ، وأبو الجوزاء ، وأبو الأشهب « ليركَبَنَّ » بالياء ، ونصب الباء . وقرأ أبو المتوكل ، وأبو عمران ، وابن يعمر « ليركَبُنَّ » بالياء ، وضم الباء . و « عن » بمعنى « بعد » . وهذا قول عامة المفسرين واللغويين ، وأنشدوا للأقرع بن حابس .

إنّي امْرُؤٌ قد حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ
وَسَاقَنِي طَبَقٌ منه إلى طَبَقِ [1]

---

(١) أنشده القرطبي في « تفسيره » ١٩/٢٧٨ .

ثم في معنى الكلام خمسة أقوال .

أحدها : أنه الشدائد ، والأهوال ، ثم الموت ، ثم البعث ، ثم العرض ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه الرخاء بعد الشدة ، والشدة بعد الرخاء ، والغنى بعد الفقر ، والفقر بعد الغنى ، والصحة بعد السقم ، والسقم بعد الصحة ، [قاله الحسن .

والثالث : أنه كون الانسان رضيعاً ثم فطيماً ثم غلاماً شاباً ثم شيخاً][1] ، قاله عكرمة .

والرابع : أنه تغير حال الإنسان في الآخرة بعد الدنيا ، فيرتفع من كان وضيعاً ، ويتضع من كان مرتفعاً ، وهذا مذهب سعيد بن جبير .

والخامس : أنه ركوب سنن من كان قبلهم من الأولين ، قاله أبو عبيدة . وكان بعض الحكماء يقول : من كان اليوم على حالة ، وغداً على حالة أخرى ، فليعلم أن تدبيره إلى سواه[2] .

قوله تعالى : (فما لهم) يعني : كفار مكة (لا يؤمنون) أي : لا يؤمنون بمحمد والقرآن ، وهو استفهام إنكار (وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون) فيه قولان .

أحدهما : لا يصلُّون ، قاله عطاء ، وابن السائب .

---

(١) زيادة سقطت من نسخة الرباط ، واستدركناها من النسخة الاستنبولية .

(٢) قال ابن جرير الطبري : والصواب من التأويل قول من قال : لتركبنّ أنت يا محمد حالاً بعد حال ، وأمراً بعد أمر من الشدائد ، والمراد بذلك - وإن كان الخطاب إلى رسول الله ﷺ موجهاً - جميع الناس ، أنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأهواله أحوالاً .

والثاني : لا يخضعون له ، ويستكينون ، قاله ابن جرير ، واختاره القاضي أبو يعلى . قال : وقد احتج بها قوم على وجوب سجود التلاوة ، وليس فيها دلالة على ذلك ، وإنما المعنى : لايخشعون ، ألا ترى أنه أضاف السجود إلى جميع القرآن ، والسجود يختص بمواضع منه .

قوله تعالى : (بل الذين كفروا يكذّبون) بالقرآن ، والبعث ، والجزاء (والله أعلم بما يوعون) في صدورهم ويضمرون في قلوبهم من التكذيب . قال ابن قتيبة : « يوعون » : يجمعون في قلوبهم . وقال الزجاج : يقال : أوعيت المتاع في الوعاء ، ووعيت العلم .

قوله تعالى : (فبشرهم بعذاب أليم) أي : أخبرهم بذلك . وقال الزجاج : اجعل للكفار بدل البشارة للمؤمنين بالجنة والرحمة ، العذابَ الأليم . و « الممنون » عند أهل اللغة : المقطوع .



سورة البروج

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ . وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ . وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ . قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ . ٱلنَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ . وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ ٱلْعَزِيزِ الْحَمِيدِ . ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَٱللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ . إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ . إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ . إِنَّهُ هُوَ يُبْدِىءُ وَيُعِيدُ . وَهُوَ ٱلْغَفُورُ الْوَدُودُ . ذُو ٱلْعَرْشِ الْمَجِيدُ . فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ . هَلْ أَتٰكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ . فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ . بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ . وَٱللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ . بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾

قوله تعالى : (والسماء ذات البروج) قد ذكرنا البروج في (الحجر : ١٦) (واليوم الموعود) هو يوم القيامة بإجماعهم (وشاهدٍ ومشهود) فيه أربعة وعشرون قولاً .

أحدها : أن الشاهد : يوم الجمعة، والمشهود : يوم عرفة ، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ [1] وبه قال علي، وابن عباس في رواية ، وابن زيد . فعلى هذا سمي يومُ الجمعة شاهداً ، لأنه يشهد على كل عامل بما فيه ، وسمي يومُ عرفة مشهوداً ، لأن الناس يشهدون فيه موسم الحج ، وتشهده الملائكة .

والثاني : أن الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم النحر ، قاله ابن عمر .

والثالث : أن الشاهد : الله عز وجل ، والمشهود : يوم القيامة ، رواه الوالبي عن ابن عباس .

والرابع : أن الشاهد : يوم عرفة ، والمشهود : يوم القيامة ، رواه مجاهد عن ابن عباس .

والخامس : أن الشاهد : محمد ﷺ ، والمشهود : يوم القيامة ، رواه يوسف ابن مهران عن ابن عباس ، وبه قال الحسن بن علي .

والسادس : أن الشاهد : يوم القيامة ، والمشهود : الناس ، قاله جابر بن عبد الله .

---

(١) رواه الترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وفي سنده موسى بن عُبَيدة الربَذي ، وهو ضعيف كما قال الحافظ بن حجر في « التقريب » ، وقال الترمذي : هذا حديث لانعرفه إلا من حديث موسى بن عُبَيدة ، وموسى بن عُبَيدة : يضعف في الحديث ، ضعفه يحيى ابن سعيد وغيره من قبل حفظه ، وقال ابن كثير : وروى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عُبَيدة الربذي ، وهو ضعيف ، وقد روي موقوفاً على أبي هريرة ، وهو أشبه .

والسابع : أن الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم القيامة ، قاله الضحاك .

والثامن : أن الشاهد : يوم التروية ، والمشهود : يوم عرفة ، قاله سعيد ابن المسيب .

والتاسع : أن الشاهد : هو الله ، والمشهود : بنو آدم ، قاله سعيد بن جبير .

والعاشر : أن الشاهد : محمد ، والمشهود : يوم عرفة ، قاله الضحاك .

والحادي عشر : أن الشاهد : آدم عليه السلام ، والمشهود : يوم القيامة ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد .

والثاني عشر : أن الشاهد : ابن آدم ، والمشهود : يوم القيامة ، رواه ليث عن مجاهد ، وبه قال عكرمة .

الثالث عشر : أن الشاهد : آدم عليه السلام ، وذريته ، والمشهود يوم القيامة ، قاله عطاء بن يسار .

والرابع عشر : أن الشاهد : الإنسان ، والمشهود : الله عز وجل ، قاله محمد بن كعب .

والخامس عشر : أن الشاهد : يوم النحر ، والمشهود : يوم عرفة ، قاله إبراهيم .

والسادس عشر : أن الشاهد : عيسى عليه السلام ، والمشهود : أمته ، قاله أبو مالك . ودليله قوله تعالى : (وكنتُ عليهم شهيداً) [المائدة : ١١٧] .

والسابع عشر : أن الشاهد : محمد ﷺ ، والمشهود : أمته ، قاله عبد العزيز بن يحيى ، وبيانه (وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) [النساء : ٤١] .

والثامن عشر : أن الشاهد : هذه الأمة ، والمشهود : سائر الناس ، قاله الحسين[١] بن الفضل ، ودليله (لتكونوا شهداء على الناس) [البقرة : ١٤٣] .

والتاسع عشر : أن الشاهد : الحفظة ، والمشهود : بنو آدم ، قاله محمد بن علي الترمذي ، وحكي عن عكرمة نحوه .

والعشرون : أن الشاهد : الحق ، والمشهود : الكون ، قاله الجنيد .

والحادي والعشرون : أن الشاهد ، الحجر الأسود ، والمشهود : الحاج .

والثاني والعشرون : أن الشاهد : الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والمشهود : محمد ﷺ ، وبيانه (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين ...) الآية [آل عمران : ٨١] .

والثالث والعشرون : أن الشاهد : الله عز وجل ، والملائكة ، وأولو العلم ، والمشهود : لا إله إلا الله ، وبيانه (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) [آل عمران : ١٨] ، حكى هذه الأقوال الثلاثة الثعلبي .

والرابع والعشرون : أن الشاهد : الأنبياء عليهم السلام ، والمشهود : الأمم ، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله[٢] .

وفي جواب القسم ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه قوله تعالى : (إنَّ بطش ربك لشديد) قاله قتادة ، والزجاج .

---

(١) في الاصل : الحسن .

(٢) وقال الطبري بعد أن سرد معظم الأقوال التي ساقها المصنف : والصواب في ذلك عندنا أن يقال : إن الله أقسم بشاهد شهد ، ومشهود شهد ، ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد وأي مشهود أراد ، وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا هو المعني مما يستحق أن يقال : شاهد ومشهود .

والثاني : أنه قوله تعالى : (قُتِلَ أصحاب الأُخدود) ، كما أن القسم في قوله تعالى : (والشمس وضحاها) (قد أفلح) ، حكاه الفراء .

والثالث : أنه متروك ، وهذا اختيار ابن جرير .

قوله تعالى : (قُتِل أصحابُ الأُخدود) أي : لُعِنُوا . والأخدود : شق يشق في الأرض ، والجمع : أخاديد . وهؤلاء قوم حفروا حفائر في الأرض وأوقدوا فيها النار ، وألقَوا فيها من لم يكفر .

واختلف العلماء فيهم على ستة أقوال .

أحدها : أنه مَلِكٌ كان له ساحر فبعث إليه غلاماً يعلِّمه السحر ، وكان الغلام يمرُّ على راهب ، فأعجبه أمره ، فتبعه ، فعلم به المَلِك ، فأمره أن يرجع عن دينه ، فقال : لا أفعل ، فاجتهد الملك في إهلاكه ، فلم يقدر ، فقال الغلام : لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . اجمع الناس في صعيد واحد ، واصلبني على جذع ، وارمني بسهم من كنانتي ، وقل : بسم الله ربِّ الغلام ، ففعل ، فمات الغلام ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، فخدَّ الأخاديد ، وأضرم فيها النار ، وقال : من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ، ففعلوا ، وهذا مختصر الحديث ، وفيه طول ، وقد ذكرته في « المغني » و « الحدائق » بطوله من حديث صهيب عن رسول الله ﷺ [1] .

والثاني : أن ملكاً من الملوك سكر ، فوقع على أخته ، فلما أفاق قال لها :

(١) انظر الحديث بطوله في « مسند أحمد » ١٧/٦ و « صحيح مسلم » رقم (٢٠٠٥) وسنن الترمذي ١٦٩/٢ .

ويحك : كيف المخرج؟ فقالت [1] [له : اجمع أهل مملكتك فأخبرهم أن الله عز وجل قد أَحَلَّ نكاح الأخوات ، فإذا ذهب هذا في النـــاس وتناسَوه ، خطبتَهم فحرَّمته . ففعل ذلك ، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه ، فبسط فيهم السوط ، ثم جرَّد السيف ، فأبَوْا ، فخدَّلهم أُخدوداً ، وأوقد فيه النـار ، وقذف من أبى قبول ذلك ، قاله علي بن طالب[2] .

والثالث : أنهم ناس اقتتل مؤمنوهم وكفارهم ، فظهر المؤمنون ، ثم تعاهدوا أن لايَغدِر بعضهم ببعض ، فغَدَر كفارهم ، فأخذوهم ، فقال لـــه رجل من المؤمنين : أوقدوا ناراً ، واعرضوا عليها ، فمن تابعكم على دينكم ، فذاك الذي تحبون ، ومن لم يتبعكم أُقحم النـار فاسترحتم منه ، ففعلوا ، فجعل المسلمون يقتحمونها ، ذكره قتادة .

والرابع : أن قوماً من المؤمنين اعتزلوا الناس في الفترة ، فأرسل إليهم جبَّار من عبدة الأوثان ، فعرض عليهم الدخول في دينـه فأَبَوْا ، فخدَّلهم أُخدوداً ، وألقاهم فيه ، قاله الربيع بن أنس .

والخامس : أن جماعة آمنوا من قوم يوسف بن ذي نواس بعدما رفع عيسى ، فخدَّلهم أُخدوداً ، وأوقد فيه النار ، فأحرقهم كلهم ، فأنزل الله تعـالى : « قُتل أصحاب الأخدود » وهم : يوسف بن ذي نواس وأصحابه ، قاله مقاتل .

والسادس : أنهم قوم كانوا يعبدون صنماً ، ومعهم قوم يكتمون إيمـانهم ،

---

(١) من هنا وحتى قبيل تفسير سورة (الشمس) وقع نقص في نسخة الرباط ، استدركناه من النسخة الاستنبولية ، وقد بذلنا الغاية في تقويم ما فيها من تحريف كثير ، نبهنا إلى بعضه ، وأغفلنا أكثره لعقم فائدته .

(٢) ذكره الطبري . ١٣٢/٣ وفيه أن ذلك الملك كان من المجوس ، وأنهم كانوا أهل كتاب ، وذكر في آخره : فلم يزالوا منذ ذلك يستحلون نكاح الأخوات والبنات والأمهات .

فعلوا بهم ، فخدّوا لهم أخدوداً ، وقذفوهم فيه ، حكاه الزجاج [١] .

واختلفوا في الذين أُحرقوا على خمسة أقوال .

أحدها : أنهم كانوا من الحبشة ، قاله علي كرم الله وجهه .

والثاني : من بني إسرائيل ، قاله ابن عباس .

والثالث : من أهل اليمن ، قاله الحسن . وقال الضحاك : كانوا من نصارى اليمن ، وذلك قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة .

والرابع : من أهل نجران ، قاله مجاهد .

والخامس : من النبط ، قاله عكرمة .

وفي عددهم ثلاثة أقوال .

أحدها : اثنا عشر ألفاً ، قاله وهب .

والثاني : سبعون ألفاً ، قاله ابن السائب .

---

(١) قال ابن كثير : وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيراً ، كما قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير قال : كانت الاخدود في اليمن زمان تبّع ، وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد ، فاتخذوا أتوناً وألقي فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد ، وفي العراق في أرض بابل بختنصر الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصاحباه عزريا وميشائيل ، فأوقد لهم أتوناً وألقى فيه الحطب والنار ، ثم ألقاهما فيه ، فجعلها الله تعالى عليهما برداً وسلاماً ، وأنقذهما منها ، وألقى فيها الذين بغوا عليه ، وهم تسعة رهط فأكلتهم النار . وذكر نحوه عن أسباط عن السدي ، وعن ابن أبي حاتم من رواية الربيع بن أنس ، والله أعلم .

والثالث : ثمانون رجلاً ، وتسعة نسوة ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : (النَّارِ ذاتِ الوقُود) هذا بدل من « الأخدود » كأنه قال : قتل أصحاب النار ، و« الوقود » مفسر في [البقرة : ٢٤] . وقرأ أبو رزين العقيلي ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، والحسن ، ومجاهد ، وأبو العالية ، وابن يعمر وابن أبي عبلة « الوُقُود » بضم الواو (إذ هم عليها قعود) أي : عند النار . وكان الملك وأصحابه جلوساً على الكراسي عند الأخدود يعرضون المؤمنين على الكفر ، فمن أبى ألْقَوْه (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أي : حضور ، فأخبر الله عز وجل في هذه الآيات بقصة قوم بلغ من إيمانهم ويقينهم أن صبروا على التحريق بالنار ، ولم يرجعوا عن دينهم .

قوله تعالى : (وما نقموا منهم) قرأ ابن أبي عبلة « نقِموا » بكسر القاف . قال الزجاج : أي : ما أنكروا عليهم إيمانهم . وقد شرحنا معنى « نقموا » في [المائدة : ٥٩] و [براءة : ٧٤] وشرحنا معنى « العزيز الحميد » في [البقرة : ١٢٩ ، ٢٦٧] .

قوله تعالى : (والله على كل شيء شهيد) أي : لم يَخْفَ عليه ما صنعوا ، فهو شهيد عليهم بما فعلوا .

قوله تعالى : (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أي : أحرقوهم ، وعذَّبوهم . كقوله تعالى : (يوم هم على النار يفتنون) [الذاريات : ١٣] (ثم لم يتوبوا) من شركهم وفعلهم ذلك بالمؤمنين (فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) بما أحرقوا المؤمنين ، وكلا العذابَيْنِ في جهنم عند الأكثرين . وذهب الربيع بن

أنس في جماعة إلى أن النار ارتفعت إلى الملك وأصحابه فأحرقتهم ، فذلك عذاب الحريق في الدنيا . قال الربيع : وقبض الله أرواح المؤمنين قبل أن تمسّهم النار . وحكى الفراء أن المؤمنين نجَوْا من النار ، وأنها ارتفعت فأحرقت الكفرة .

قوله تعالى : (ذلك الفوز الكبير) لأنهم فازوا بالجنة . وقال بعض المفسرين : فازوا من عذاب الكفار ، وعذاب الآخرة .

قوله تعالى : (إن بطش ربك) قال ابن عباس : إن أخذه بالعذاب إذا أَخَذَ الظَّلَمَة والجبابرة لشديد .

قوله تعالى : (إنه هو يُبْدِىءُ ويعيدُ) فيه قولان .

أحدهما : يبدىء الخلق ويعيدهم ، قاله الجمهور .

والثاني : يبدىء العذاب في الدنيا على الكفار ثم يعيده عليهم في الآخرة ، رواه العوفي عن ابن عباس . وقد شرحنا في [هود : ٩٠] معنى « الودود »

قوله تعالى : (ذو العرش المجيدُ) وقرأ حمزة ، والكسائي، والمفضل عن عاصم «المجيدِ» بالخفض ، وقرأ غيرهم بالرفع ، فمن رفع « المجيدُ» جعله من صفات الله عز وجل ، ومن كسر جعله من صفة العرش .

قوله تعالى : (هل أتاك حديث) أي : قد أتاك حديث (الجنودِ) وهم الذين تجنَّدوا على أولياء الله . ثم بَيَّن من هم ، فقال تعالى : (فرعونَ وثمودَ بل الذين كفروا) يعني : مشركي مكة (في تكذيبٍ) لك والقرآن ، أي : لم يعتبروا بمن كان قبلهم (والله من ورائهم محيط) لا يخفى عليه شيء من أعمالهم (بل هو

قرآنٌ مجيدٌ) أي : كريم ، لأنه كلام الله ، وليس كما يقولون بشعر ، ولا كهانة ، ولا سِحر . وقرأ أبو العالية ، وأبو الجوزاء ، وأبو عمران ، وابن السميفع « بل هو قرآن مجيد » بغير تنوين وبخفض « مجيد » (في لوحٍ محفوظٍ) وهو اللوح المحفوظ ، منه نسخ القرآن وسائر الكتب ، فهو محفوظ عند الله ، محروس به من الشياطين ، ومن الزيادة فيه والنقصان منه . وقرأ نافع « محفوظ » رفعاً على نعت القرآن . فالمعنى : إنه محفوظ من التحريف والتبديل .



سورة الطارق

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلسَّمَاءِ وَٱلطَّارِقِ . وَمَا أَدْرٰكَ مَاٱلطَّارِقُ . ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ . إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ . فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَائِبِ . إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَائِرُ . فَمَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾

قوله تعالى : (والسماء والطارق) قال ابن قتيبة : الطارق : النجم ، سمي بذلك ، لأنه يطرق ، أي : يطلع ليلاً ، وكل من أتاك ليلاً ، فقد طرقك . ومنه قول هند ابنة عتبة :

نحن بنات طارق   نمشي على النمارق [1]

تريد : إن أبانا نجم في شرفه وعلوه .

قوله تعالى : (وما أدراك ما الطارق) قال المفسرون : ذلك أن هذا الاسم

(١) انظر « الاغاني » طبع دار الثقافة ٣٤٣/١٢ ، والقرطبي ٢٠/٢٠ .

يقع على كل ما طرق ليلاً [١] ، فلم يكن النبي ﷺ يدري ما المراد به حتى تبينه بقوله تعالى : (النجم الثاقب) يعني : المضيء ، كما بيَّنا في [الصافات : ١٠] .

وفي المراد بهذا النجم ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه زُحَل ، قاله علي رضي الله عنه . وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال : هو زحل ، ومسكنه في السماء السابعة لايسكنها غيره من النجوم ، فإذا أخذت النجومُ أمكنتَها من السماء ، هبط ، فكان معها ، ثم رجع إلى مكانه من السماء السابعة ، فهو طارق حين ينزل ، وطارق حين يصعد .

والثاني : أنه الثريا ، قاله ابن زيد .

والثالث : أنه اسم جنس ، ذكره علي بن أحمد النيسابوري .

قوله تعالى : (إن كلُّ نفسٍ) قرأ أُبَيُّ بن كعب ، وأبو المتوكل [إنَّ] بالتشديد « كلَّ » بالنصب (لما عليها حافظ) وقرأ أبو جعفر ، وابن عامر ، وعاصم الجحدري ، وحمزة ، وأبو حاتم عن يعقوب « لمَّا » بالتشديد . وقرأ الباقون بالتخفيف . قال الزجاج : هذه الآية جواب القسم ، ومن خفف فالمعنى : لَعَلَيْها حـــافظ و « ما » لغو . ومن شدد ، فالمعنى : إلا [٢] ، قال : فاستعملت « لما » في موضع

---

(١) قال ابن كثير : قال قتادة وغيره : إنما سمي النجم طارقاً ، لانه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار ، قال : ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح : نهى أن يطرق الرجل أهله طروقاً ، أي : يأتيهم فجأة بالليل .

(٢) في الاصل : إلاط .

« إلا » في موضعين . أحدهما : هذا . والآخر [١] : في باب القسم . تقول : سألتك لما فعلت ، بمعنى : إلا فعلت . قال المفسرون : المعنى : ما من نفس إلا عليها حافظ . وفيه قولان .

أحدهما : أنهم الحفظة من الملائكة ، قاله ابن عباس . قال قتادة : يحفظون على الإنسان عمله من خير أو شر .

والثاني : حافظ يحفظ الإنسان حتى حين يسلّمه إلى المقادير ، قاله الفراء . ثم نبه على البعث بقوله تعالى : (فلينظر الإنسان مم خلق ؟) أي : من أي شيء خلقه الله ؟ والمعنى : فلينظر نظر التفكّر والاستدلال ليعرف أن الذي ابتدأه من نطفة قادرٌ على إعادته .

قوله تعالى : (من ماءٍ دافقٍ) قال الفراء : معناه : مدفوق ، كقول العرب . سرٌّ [٢] كاتم ، وهمٌّ ناصب ، وليلٌ نائم ، وعيشة راضية . وأهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلاً . قال الزجاج : ومذهب سيبويه ، وأصحابه أن معناه النسب إلى الاندفاق ، والمعنى : من ماءٍ ذي اندفاق [٣] .

قوله تعالى : (يخرج من بين الصلب) قرأ ابن مسعود ، وابن سيرين ، وابن السميفع ، وابن أبي عبلة « الصلب » بضم الصاد ، واللام جميعاً . يعني : يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة . قال الفراء : يريد يخرج من الصلب والترائب . يقال : يخرج من بين هذين الشيئين خير كثير . بمعنى : يخرج منهما .

---

(١) في الاصل : والآخرة .

(٢) في الاصل : ستر .

(٣) في الاصل : من ماذا اندفاق .

وفي « الترائب »[١] ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه موضع القلادة ، قاله ابن عباس . قال الزجاج : قال أهل اللغة أجمعون : الترائب : موضع القلادة من الصدر ، وأنشدوا لامرىء القيس :

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُها مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ[٢]

قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال : السجنجل : المرآة بالرومية . وقيل : هي سبيكة الفضة ، وقيل : السجنجل : الزعفران ، وقيل : ماء الذهب . ويروى : البيت « بالسجنجل » .

والثاني : أن الترائب : اليدان والرجلان والعينان ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال الضحاك .

والثالث : أنها أربعة أضلاع من يمنة الصدر ، وأربعة أضلاع من يسرة الصدر ، حكاه الزجاج .

قوله تعالى : (إنه) الهاء كناية عن الله عز وجل (على رجعه) الرجع : رد الشيء إلى أول حاله . وفي هذه الهاء قولان .

أحدهما : أنها تعود على الإنسان . ثم فيه قولان . أحدهما : أنه على إعادة الإنسان حياً بعد موته قادر ، قاله الحسن ، وقتادة . قال الزجاج : ويدل على هذا القول قوله تعالى : (يوم تبلى السرائر) . والثاني : أنه على رجعه من حال الكبر

---

(١) في الاصل : وفي التراب .

(٢) ديوانه ١٥ ، و « اعجاز القرآن » للباقلاني ٢٧٠ ، والقرطبي ٢٠/٥ ، والمهفهفة : الخفيفة اللحم ليست برهلة ، ولا ضخمة البطن ، والمفاضة : المسترخية البطن ، والترائب جمع تريبة ، وهي موضع القلادة من الصدر .

إلى الشباب ، ومن الشباب إلى الصبا ، ومن الصبا إلى النطفة قادر ، قاله الضحاك[١] .

والقول الثاني : أنها تعود إلى الماء . ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال . أحدها : رد الماء في الإحليل ، قاله مجاهد . والثاني : على رده في الصلب ، قاله عكرمة ، والضحاك . والثالث : على حبس الماء فلا يخرج ، قاله ابن زيد .

قوله تعالى : (يوم تبلى السرائر) التي بين العبد وبين ربه حتى يظهر خيرها من شرها ، ومؤدِّيها من مضيِّعها ، فإن الإنسان مستور في الدنيا ، لا يُدرى أصلى ، أم لا ؟ أتوضأ ، أم لا ؟ فإذا كان يوم القيامة أبدى الله كل سِرّ ، فكان زَيْناً في الوجه ، أو شَيْناً . وقال ابن قتيبة : تُختَبَرُ سرائر القلوب .

قوله تعالى : (فما له من قوة) أي : فما لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة يمتنع بها من عذاب الله (ولا ناصر) ينصره .

﴿ وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ . وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ . إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ . وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ . إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً . وَأَكِيدُ كَيْداً . فَمَهِّلِ ٱلْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾

قوله تعالى : (والسماء ذات الرَّجْع) أي : ذات المطر ، وسمي المطر رجعاً لأنه يجيء ويرجع ويتكرَّر (والأرض ذات الصَّدْع) أي : ذات الشقّ . وقيل لها هذا ، لأنها تتصدَّع وتتشقّق بالنبات ، هذا قول المفسرين وأهل اللغة في الحرفين .

قوله تعالى : (إنه لقول فصل) يعني به القرآن ، وهذا جواب القسم .

---

(١) واختاره ابن جرير الطبري .

والفصل : الذي يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منها (وماهو بالهَزْل) أي : باللَّعب . والمعنى : إنه جِدٌّ ، ولم ينزل باللَّعِب . وبعضهم يقول : الهاء في « إنه » كناية عن الوعيد المتقدم ذكره .

قوله تعالى : (إنهم) يعني مشركي مكة (يكيدون كيداً) [أي : يحتالون] وهذا الاحتيال المكر برسول الله ﷺ حين اجتمعوا في دار الندوة . (وأكيد كيداً) أي : أجازيهم [على كيدهم] بأن أستدرجهم من حيث لايعلمون ، فأنتقم منهم في الدنيا بالسيف ، وفي الآخرة بالنار . (فمهِّل الكافرين) هذا وعيد من الله لهم . ومَهِّل وأَمْهِل لغتان جمعتا هاهنا . ومعنى الآية : مهِّلهم قليلاً حتى أهلكهم ، ففعل الله ذلك بِبَدْر ، ونسخ الإمهال بآية السيف . قال ابن قتيبة : ومعنى « رويداً » مهلاً ، ورويدَك بمعنى أمهل . قال تعالى : (فمهل الكافرين أمهلهم رويداً) أي : أمهلهم قليلاً ، فإذا لم يتقدمها « أمهلهم » كانت بمعنى « مهلاً » . ولا يتكلم بها إلا مصغرة ومأموراً بها ، وجاءت في الشعر بغير تصغير في غير معنى الأمر .

قال الشاعر :

كأنها مِثْلُ مَنْ يمشي على رُودِ[1]

أي : على مهل .

(١) كذا أنشده ابن قتيبة في « مشكل القرآن » ص ٤٢٣ وتبعه ابن فارس في «الصاحبي» ص ١٢٤ ، « ومقاييس اللغة » ٤٥٨/٢ ، والصواب ما في « القرطبي » ١٢/٢٠ و « اللسان » مادة « رود » قال الجموح الظفري :

تكاد لاتثلم البطحاء وطأتها كأنها ثملٌ يمشي على رود

وفي « أساس البلاغة » ٣٧٩/١ : قال الهذلي :

تكاد لا تثلم البطحاء خطوتها. . . .

سورة الأعلى

وهي مكية كلها بإجماعهم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى . الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ . وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ . فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ . سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ . إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ . وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ . فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ . سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ . وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى . الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ . ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾

(١) روى البخاري في « صحيحه » ٨/٥٣٧ عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ (يعني المدينة) مصعب بن عمير ، وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرآننا القرآن ، ثم جاء عمار ، وبلال ، وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ، ثم جاء النبي ﷺ ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون : هذا رسول الله ﷺ قد جاء ، فما جاء حتى قرأت (سبح اسم ربك الأعلى) في سور مثلها اهـ . وقد كان رسول الله ﷺ يقرأ بها وبسورة الغاشية في صلاة الجمعة والعيدين ووتر العشاء ، وثبت في « الصحيحين » أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ : « هلاّ صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى » ؟ .

وفي معنى (سبح) خمسة أقوال ٠

أحدها : قل : سبحان ربي الأعلى ، قاله الجمهور ٠

والثاني : عَظِّم ٠

والثالث : صَلِّ بأمر ربك ، روي القولان عن ابن عباس ٠

والرابع : نَزِّه ربك عن السوء ، قاله الزجاج ٠

والخامس : نَزِّه اسم ربك وذكرك إياه أن تذكره وأنت معظم له ، خاشع له ، ذكره الثعلبي [١] ٠

وفي قوله تعالى : (اسم ربك) قولان ٠

أحدهما : أن ذكر الاسم صلة ، كقول لبيد بن ربيعة :

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلامِ عَلَيْكُما

وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كاملاً فَقَدْ اعْتَذَرْ [٢] ٠

---

(١) وفي الطبري : نزه تسميتك يا محمد ربك الأعلى وذكرك إياه : أن تذكره إلا وأنت له خاشع متذلل ، وفي « معالم التنزيل » : : نزه تسمية ربك بأن تذكره وأنت له معظم ولذكره محترم . وروى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة عن عقبة بن عامر الجهني لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم) قال لنا رسول الله ﷺ : « اجعلوها في ركوعكم » فلما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال : « اجعلوها في سجودكم » وإسناده صحيح .

(٢) تقدم تخريج البيت في الجزء الثالث صفحة (٤٨٣) ، يقوله لبيد لابنتيه ، في أبيات هي :

والثاني : أنه أصلي[1] . وقال الفراء [سبح ربك ، و][2] سبح اسم ربك سواء في كلام العرب .

قوله تعالى : (الذي خلق فسوّى) أي : فعدّل الخلق . وقد أشرنا إلى هذا المعنى في (الانفطار : ٧) (والذي قَدّر) قرأ الكسائي وحده « قَدَر » بالتخفيف (فهدى) فيه سبعة أقوال .

أحدها : قدَّر الشقاوة والسعادة ، وهدى للرشد والضلالة ، قاله مجاهد .

والثاني : جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها إليه ، قاله عطاء .

والثالث : قَدَّر مدة الجنين في الرحم ثم هداه[3] للخروج ، قاله السدي .

والرابع : قَدَّرهم ذكوراً وإناثاً ، وهدى الذكر لإتيان الأنثى ، قاله مقاتل .

— تَمَنّى ابْنَتَاي أن يَعيش أبُوهما وهل أنا إلاّ من ربيعةَ أو مُضَرْ
فقوما فقولا بالذي قد علمتما ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شَعَرْ
وقولا هو المرء الذي لا خليله أضاع ولا خان الصديقَ ولا غَدَرْ

وقوله : « إلى الحول » ، أي : إلى أن يحولَ الحول . والحول : السنة كاملة بأسرها ، وقوله: « فقد اعتذرْ » هنا ، بمعنى أعذر ، أي بلغ أقصى الغاية في العذر .

(١) قال الآلوسي في « روح المعاني » ٣٤٧/٩ : أي : نزه أسماءه عز وجل عما لايليق ، فلا تؤول مما ورد منها اسماً من غير مقتض ، ولا تبقه على ظاهره إذا كان ما وضع له مما لايصح له تعالى ، ولا تطلقه على غيره سبحانه أصلاً إذا كان مختصاً به كالاسم الجليل ، أو على وجه يشعر بأنه تعالى وغيره فيه سواء إذا لم يكن مختصاً ، فلا تقل لمن أعطاك شيئاً مثلاً : هذا رازقي على وجه يشعر بذلك وصنه عن الابتذال والتلفظ به في محل لايليق به ....

(٢) زيادة ليست في الاصل ، ولكن يقتضيها السياق .

(٣) في الأصل : هدى .

والخامس : أن المعنى : قدَّر فهدى وأضل ، فحذف « وأضل » ، لأن في الكلام دليلاً على ذلك ، حكاه الزجاج .

والسادس : قَدَّر الأرزاق ، وهدى إلى طلبها .

والسابع : قَدَّر الذنوب ، وهدى إلى التوبة ، حكاهما الثعلبي .

قوله تعالى : (والذي أخرج المرعى) أي : أنبت العشب ، وما ترعاه البهائم (فجعله) بعد الخضرة (غُثَاءً) قال الزجاج ، أي : جفَّفه حتى جعله هشيماً جافاً كالغثاء الذي تراه فوق ماء السيل[1] . وقد بينا هذا في سورة [المؤمنين : ٤١] فأما قوله تعالى : (أحوى) فقال الفراء : الأحوى : الذي قد اسود عن القِدَم ، والعتق[2] ، ويكون أيضاً : أخرج المرعى أحوى : أسود من الخضرة ، فجعله غثاء[3] كما قال تعالى : (مدهامتان) [الرحمن : ٦٤] .

قوله تعالى : (سنقرئك فلا تنسى) قال مقاتل : سنعلِّمك[4] القرآن ، ونجمعه في قلبك فلا تنساه أبداً .

قوله تعالى : (إلا ما شاء الله) فيه ثلاثة أقوال .

---

(١) في الأصل : السبيل ، وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : والعنق ، وهو تصحيف ، والتصحيح من « اللسان » نقلا عن الفراء .

(٣) نص عبارة الفراء كما في « اللسان » : وقد يكون معناه أيضاً : أخرج المرعى أحوى ، أي : أخضر فجعله غثاء بعد خضرته ، فيكون مؤخراً معناه التقديم ، والأحوى : الأسود من الخضرة .

(٤) في الأصل : سيعلمك .

أحدها : إلا ما شاء الله أن ينسخه فتنساه ، قاله الحسن ، وقتادة .

والثاني : إلا ما شاء الله أن تنسى شيئاً ، فإنما هو كقوله تعالى : (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) [هود : ١٠٧] ، فلا يشاء[١] .

قوله تعالى : (إنه يعلم الجهر) من القول والفعل (وما يخفى) منهما (ونيسرك لليسرى) أي : نُسهّل[٢] عليك عمل الخير (فذكّر) أي : عظ أهل مكة (إن نفعت الذكرى) وفي « إن » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها الشرطية ، وفي معنى الكلام قولان ، أحدهما : إن قُبِلَت[٣] الذكرى ، قاله يحيى بن سلام . والثاني : إن نفعت وإن لم تنفع ، قاله علي بن أحمد النيسابوري .

والثاني : أنها بمعنى « قد » ، فتقديره : قد نفعت الذكرى ، قاله مقاتل .

والثالث : أنها بمعنى « ما » فتقديره : فذكر ما نفعت الذكرى ، حكاه الماوردي .

قوله تعالى : (سيذكّر) سيتعظ[٤] بالقرآن (من يخشى ويتجنبها)

---

(١) عبارة الفراء كما في « القرطبي » ١٨/١٠ : إلا ما شاء الله وهو لم يشأ أن ينسى شيئاً ، كقوله تعالى : (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك) ولا يشاء .

(٢) في الأصل : لسهل .

(٣) في الأصل : قلت ، والتصحيح من مجموعة تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية .

(٤) في الأصل : أسريت يتعظ ، والتصحيح من « مجمع البيان » للطبرسي .

ويتجنب الذكرى (الأشقى الذي يصلى النار الكبرى) أي : العظيمة الفظيعة لأنها أشد من نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه . وقال ابن جرير : تصير نفس أحدهم في حلقه ، فلا تخرج فتفارقه فيموت ، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا .

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ . وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا . وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ . إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ . صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾

قوله تعالى : (قد أفلح) قال الزجاج : أي : صادف البقاء الدائم ، والفوز (مَنْ تزكى) فيه خمسة أقوال .

أحدها : من تطهَّر[1] [من] الشرك بالإيمان ، قاله ابن عباس .

والثاني : من أعطى صدقة الفطر ، قاله أبو سعيد الخدري ، وعطاء ، وقتادة .

والثالث : من كان عمله زاكياً ، قاله الحسن ، والربيع .

والرابع : أنها زكوات الأموال كلّها ، قاله أبو الأحوص .

والخامس : تكثَّر بتقوى الله . ومعنى الزاكي : النامي الكثير ، قاله الزجاج .

قوله تعالى : (وذكر اسم ربه) قد سبق بيانه [الأحزاب : ٣١] .

وفي قوله تعالى : (فصلَّى) ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها الصلوات الخمس ، قاله ابن عباس ، ومقاتل .

---

(١) في الأصل : يظهر .

والثاني : صلاة العيدين ، قاله أبو سعيد الخدري .

والثالث : صلاة التطوع ، قاله أبو الأحوص . والقول قول ابن عباس في الآيتين ، فإن هذه السورة مكية بلا خلاف ، ولم يكن بمكة زكاة ، ولاعيد .

قوله تعالى : (بل تؤثرون الحياة الدنيا) قرأ أبو عمرو ، وابن قتيبة ، وزيد عن يعقوب « بل يؤثرون » بالياء ، والباقون بالتاء ، واختار الفراء والزجاج التاء ، لأنها رويت عن أُبَيّ بن كعب : « بل أنتم تؤثرون » . فإن أريد بذلك الكفار ، فالمعنى : أنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة ، لأنهم لا يؤمنون بها . وإن أريد به المسلمون ، فالمعنى : يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الاستحسان من الثواب . قال ابن مسعود : إن الدنيا عجِّلت لنا ، وإن الآخرة نُعِتَتْ[1] لنا ، وزويت عنا ، فأخذنا بالعاجل [وتركنا الآجل][2] .

قوله تعالى : (والآخرة خير لك) يعني الجنة أفضل (وأبقى) أي : أدوم من الدنيا .

(إن هذا لفي الصحف الأولى) في المشار إليه أربعة أقوال .

---

(١) في الأصل : نُعيت .

(٢) زيادة لم ترد في الأصل ، استدركناها من الطبري ، والبغوي و « مجمع البيان » والقرطبي ، وابن كثير . وعبارة ابن جرير الطبري في « التفسير » : عن عرفجة الثقفي قال : استقرأت ابن مسعود (سبح اسم ربك الأعلى) فلما بلغ (بل تؤثرون الحياة الدنيا) ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال : آثرنا الدنيا على الآخرة ، فسكت القوم ، فقال : آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها ، وزويت عنا الآخرة ، فأخذنا العاجل وتركنا الآجل . قال ابن كثير : وهذا منه على وجه التواضع والهضم ، أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو ، والله أعلم .

أحدها : أنه قوله تعالى : (والآخرة خير وأبقى) قاله قتادة .

والثاني : هذه السورة ، قاله عكرمة ، والسدي .

والثالث : أنه لم يرد [أن معنى] السورة [في الصحف الأولى] ، ولا الألفاظ[1] بعينها ، وإنما أراد أن الفلاح لمن تزكى وذكر اسم ربه فصلى ، في الصحف الأولى ، كما هو في القرآن ، قاله ابن قتيبة .

والرابع : أنه من قوله تعالى : (قد أفلح من تزكى) إلى قوله : (وأبقى) قاله ابن جرير[2] .

ثم بين الصحف الأولى ما هي ، فقال : (صحف إبراهيم وموسى) وقد فسرناها في (النجم : ٣٦) .



(١) في الأصل : لفاظها ، والتصويب من « غريب القرآن » ص ٥٢٤ .

(٢) واختاره ، وقال : وإنما قلت : ذلك أولى بالصحة من غيره ، لأن « هذا » إشارة إلى حاضر ، فلأن يكون إشارة إلى ما قَرُب منها ، أولى من أن يكون إشارة إلى غيره .

سورة الغاشية

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَـٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ . تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً . تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ . لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ . لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾

قوله تعالى : (هل أتاك) أي : قد أتاك ، قاله قطرب . وقال الزجاج : والمعنى : هذا لم يكن من علمك[1] ولا من علم قومك .

وفي « الغاشية » قولان .

أحدهما : أنها القيامة تغشى الناس بالأهوال ، قاله ابن عباس ، والضحاك ، وابن قتيبة .

والثاني : أنها النار تغشى وجوه الكفار ، قاله سعيد بن جبير ، والقرظي ، ومقاتل .

---

(١) في الأصل : عملك ، والتصحيح من « القرطبي » .

قوله تعالى : (وجوه يومئذ خاشعة) أي : ذليلة وفيها قولان .

أحدهما : أنها وجوه اليهود والنصارى ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه جميع الكفار ، قاله يحيى بن سلام .

قوله تعالى : (عاملة ناصبة) فيه أربعة أقوال .

أحدها : أنهم الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام ، كعبدة الأوثان ، وكفَّار أهل الكتاب ، مثل الرهبان وغيرهم ، رواه عطاء عن ابن عباس .

والثاني : أنهم الرهبان ، وأصحاب الصوامع ، رواه أبو الضحى عن ابن عباس ، وبه قال سعيد بن جبير ، وزيد بن أسلم .

والثالث : عاملة ناصبة في النار بمعالجة السلاسل والأغلال ، لأنها [لم][1] تعمل لله في الدنيا ، فأعملها وأنصبها في النار ، وروى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس ، وبه قال الحسن . وقال قتادة : تكبَّرت في الدنيا عن طاعة الله ، فأعملها وأنصبها في النار بالانتقال من عذاب إلى عذاب . قال الضحاك : يُكلَّفون ارتقاء جبل في النار . وقال ابن السائب : يَخِرُّون على وجوههم في النار . وقال مقاتل : عاملة في النار تأكل من النار ، ناصبة للعذاب .

والرابع : عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار يوم القيامة ، قاله عكرمة والسدي . والكلام هاهنا على الوجوه ، والمراد أصحابها . وقد بينا معنى « النصب » في قوله تعالى : (لا يمسهم فيها نصب) [الحجر : ٤٨] .

---

(١) كلمة « لم » سقطت من الأصل ، واستدركناها من الطبري .

قوله تعالى : (تصلى ناراً حامية) قرأ أهل البصرة وعاصم إلا حفصاً « تُصْلَى » بضم التاء . والباقون بفتحها [١] . قال ابن عباس : قد حميت فهي تتلظى [٢] على أعداء الله ، (تسقى من عين آنية) ، أي : متناهية في الحرارة . قال الحسن : وقد [أوقدت] [٣] عليها جهنم منذ خلقت ، فدفعوا إليها [وِرْداً] [٤] عطاشاً .

قوله تعالى : (ليس لهم طعام إلا من ضريع) فيه ستة أقوال .

أحدها : أنه نبت ذو شوك لاطىء بالأرض ، وتسميه قريش « الشِّبْرِق » فإذا هاج سموه : ضريعاً ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة .

والثاني : أنه شجر من نار ، رواه الوالبي عن ابن عباس .

والثالث : أنها الحجارة ، قاله ابن جبير .

والرابع : أنه السَّلَم [٥] ، قاله أبو الجوزاء .

والخامس : أنه في الدنيا : الشوك اليابس الذي ليس له ورق ، وهو في الآخرة شوك من نار ، قاله ابن زيد .

---

(١) قال في « البحر » و « روح المعاني » : وقرأ خارجة « تُصَلّى » بضم التاء ، وفتح الصاد مشدد اللام ، للمبالغة .

(٢) في الأصل : تظلى .

(٣) كلمة « أوقدت » سقطت من الأصل ، واستدركناها من البغوي والخازن والقرطبي .

(٤) زيادة من البغوي والخازن والقرطبي .

(٥) في الأصل : السلا .

والسادس : أنه طعام يضرعون إلى الله تعالى منه ، قاله ابن كيسان .

قال المفسرون : لما نزلت هذه الآية قال المشركون : إن إبلنا لتسمن على الضريع ، فأنزل الله تعالى : (لا يسمن ولا يغني من جوع) وكذَّبوا ، فإن الإبل إنما ترعاه ما دام رطباً ، وحينئذ يسمَّى شِبْرِقاً ، لا ضريعاً ، فإذا يبس يسمى : ضريعاً لم يأكله شيء .

فإن قيل : إنه[1] قد أخبر في هذه الآية : « ليس لهم طعام إلا من ضريع »[2] وفي مكان آخر (ولا طعامٌ إلا من غسلين) [الحاقة : ٣٦] فكيف الجمع بينهما ؟

فالجواب : أن النار دركات ، وعلى قدر الذنوب تقع العقوبات ، فمنهم من طَعامُهُ الزَّقُّوم ، [ومنهم][3] مَنْ طعامه غِسْلين ، ومنهم من شرابه الحميم ، ومنهم مَنْ شَرَابُهُ الصَّديد . قاله ابن قتيبة .

﴿ وُجوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ . لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ . فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً . فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ . فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ . وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ . أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ . فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ . لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ . إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ . فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ . إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾

---

(١) في الأصل : ابن .

(٢) في الأصل : لا إطعام إلا الضريع .

(٣) زيادة لم ترد في الأصل .

قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناعمة) أي : في نعمة وكرامة (لسعيها) في الدنيا (راضية) والمعنى : رضيت بثواب عملها (في جنة عالية) قد فسرناه في « الحاقة » [آية : ٢٢] (لا تسمع فيها لاغية) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، ورويس « لا يُسمع » بياء مضمومة . « لاغيةٌ » بالرفع . وقرأ نافع كذلك إلا أنه بتاء مضمومة ، والباقون بتـــاء مفتوحة ، ونصب « لاغيةً » والمعنى : لا تسمع فيها كلمة [لغو] [١] (فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ) قال ابن عباس : ألواحها من ذهب مكلَّلة بالزبرجد ، والدر ، والياقوت ، مرتفعة مالم يجيء أهلها ، فإذا أراد أن يجلس عليها صاحبها ، تواضعت له حتى يجلس عليها ، ثم ترتفع إلى موضعها (وأكوابٌ موضوعة) عندهم وقد ذكرنا « الأكواب » في (الزخرف : ٧١) (ونمارق) وهي الوسائد ، واحدها : نمرقة بضم النون . قال الفراء : وسمعت بعض كلب تقول : نِمرِقة ، بكسر النون والراء (مصفوفة) بعضها إلى جنب بعض ، والزرابي : الطنافس [التي] [٢] لها خَمْل [٣] رقيق (مبثوثة) كثيرة . قال ابن قتيبة : كثيرة مفرّقة . قال المفسرون : لما نعت الله سبحانه ما في الجنة ، عجب من ذلك أهل الكفرة ، فذكرّهم صنعه ، فقـــال تعالى : (أفلا ينظرون

(١) سقطت من الأصل ، واستدركناها من القرطبي نقلاً عن الفراء والأخفش .

(٢) زيادة من الطبري والقرطبي .

(٣) في الأصل : حل .

إلى الإبل) [١] وقال قتادة : ذكر الله ارتفاع [سُرُرِ] [٢] الجنة ، وفرشها ، فقالوا : كيف نصعدها ، فنزلت هذه الآية [٣] . قال العلماء : وإنما خص الإبل من غيرها لأن العرب لم يَرَوْا بهيمة قَطُّ أعظمَ منها ، ولم يشاهدوا الفيل إلا الشاذ منهم ، ولأنها كانت أَنْفَسَ أموالهم وأكثرها ، لا تفارقهم ولا يفارقونها ، فيلاحظون فيها العِبَرَ الدَّالةَ على قدرة الخالق ، من إخراج لبنها من بين فَرْثٍ وَدَمٍ [و] [٤] من عجيب خَلْقِها ، وهي على عِظَمِها مُذلَّلة للحمل الثقيل ، وتنقاد للصبي الصغير ، وليس في ذوات الأربع ما يحمل عليه وقره وهو بارك فيطيق النهوض به سواها . وقرأ ابن عباس ، وأبو عمران الجوني ، والأصمعي عن أبي عمرو « الإبْل » بإسكان الباء ، وتخفيف اللام . وقرأ أُبَيُّ بن كعب ، وعائشة ، وأبو المتوكل ، والجحدري ، وابن السميفع ، ويونس بن حبيب وهارون كلاهما عن أبي عمرو « الإبِلّ » بكسر الباء ، وتشديد اللام . قال هارون : قال أبو عمرو « الإبِلُّ » بتشديد اللام : السحاب الذي يحمل الماء .

قوله تعالى : (كيف خُلقَتْ) وقرأ علي بن أبي طالب ، وابن عباس ، وأبو العالية ، وأبو عمران ، وابن أبي عبلة « خَلَقْتُ » بفتح الخاء ، وضم التاء . وكذلك قرؤوا : « رَفَعْتُ » و « نَصَبْتُ » و « سَطَحْتُ » .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري ٣٠/١٦٥ ، وأورده السيوطي في « الدر » ٦/٣٤٣ وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم .

(٢) كلمة « سرر » سقطت من الأصل ، واستدركناها من البغوي والخازن .

(٣) ذكره البغوي والخازن عن قتادة بغير سند .

(٤) زيادة ليست في الأصل .

قوله تعالى : (وإلى السماء كيف رُفِعَتْ) من الأرض حتى لا ينالها شيء بغير عَمَدٍ (وإلى الجبال كيف نُصِبَتْ) على الأرض لا تزول ولا تتغير (وإلى الأرض كيف سُطِحَتْ)[1] أي : بُسِطَتْ . والسطح : بسط الشيء ، وكل ذلك يدل على [قدرة][2] خالقه (فذكِّرْ) أي : عظ (إنما أنت مذكِّر) أي : واعظ ، ولم يكن حينئذ أمر بغير التذكير ، ويدل عليه قوله تعالى : (لَسْتَ عليهم بمسيطر) أي : بمسلَّط ، فتقتلهم وتكرههم على الإيمان[3] . ثم نسختها آية السيف . وقرأ أبو رزين ، وأبو عبد الرحمن ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، والحلواني عن ابن عامر « بسيطر » بالسين . وقد سبق بيان « المسيطر » في قوله تعالى (أم هم المسيطرون) [الطور : ٣٧] .

قوله تعالى : (إلا من تولَّى) وهذا استثناء منقطع معناه : لكن من تولى (وكفر) بعد التذكر . وقرأ ابن عباس ، وعمرو بن العاص ، وأنس بن مالك ، وأبو مجلز ، وقتادة ، وسعيد بن جبير « ألا من تولَّى » بفتح الهمزة وتخفيف اللام (فيعذبه الله العذاب الأكبر) وهو أن يدخله جهنم ، وذلك أنهم قد عُذِّبوا في الدنيا

---

(١) قال القرطبي : وقرأ الحسن وأبو حيوة وأبو رجاء « سطِّحَتْ » بتشديد الطاء وإسكان التاء .

(٢) زيادة ليست في الأصل .

(٣) روى مسلم في « صحيحه » ١/٥٣ عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوا : لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله ، ثم قرأ : (إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر) . ورواه الترمذي ٢/١٧٠ وقال : حديث حسن صحيح .

بالجوع ، والقتل ، والأسر ، فكان عذاب جهنم هو الأكبر (إن إلينا إيابهم) قرأ أُبَيُّ بن كعب ، وعائشة ، وعبد الرحمن ، وأبو جعفر « إيَّابهم » بتشديد الياء ، أي : رجوعهم ومصيرهم بعد الموت (ثم إن علينا حسابهم) قال مقاتل : أي : جزاءهم .

سورة الفجر

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ . وَٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ . هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ . أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ . ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ . وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا ٱلصَّخْرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ . ٱلَّذِينَ طَغَوْا فِي ٱلْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾

قوله تعالى : (والفجر) قال ابن عباس : الفجر : انفجار الظُّلمة عن الصبح، وانفجر الماء : انبجس . قال شيخنا علي بن عبيد الله : الفجر : ضوء النهار إذا انشق عنه الليل ، وهو مأخوذ من الانفجار ، يقال : انفجر النهر ينفجر انفجاراً : إذا انشق فيه موضع لخروج الماء ، ومن هذا سمي الفاجر فاجراً ، لأنه خرج عن طاعة الله .

وللمفسرين في المراد بهذا الفجر ستة أقوال .

أحدها : أنه الفجر المعروف الذي هو بدء النهار ، قاله عليٌّ رضي الله عنه [١] . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : هو انفجار الصبح كل يوم ، وبهذا قال عكرمة ، وزيد بن أسلم ، والقرظي .

والثاني : صلاة الفجر ، رواه عطية عن ابن عباس .

والثالث : النهار كلُّه ، فعبَّر عنه بالفجر ، لأنه أوله ، وروى هذا المعنى أبو نصر [٢] عن ابن عباس .

والرابع : أنه فجر يوم النحر خاصة قاله مجاهد [٣] .

والخامس : أنه فجر أول يوم [٤] من ذي الحجة ، قاله الضحاك .

والسادس : أنه أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة قاله قتادة .

قوله تعالى : (وليالٍ عشر) فيها أربعة أقوال .

أحدها : أنه عشر ذي الحجة ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ومقاتل [٥] .

---

(١) وهو المختار ، وقد قال بذلك أيضاً ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، والسدي .

(٢) في الأصل : أبو نصرة ، والتصحيح من الطبري وكتب الرجال ، ولايعرف له اسم أخرج له البخاري في «الأدب المفرد» ، وقال أبو زرعة : أبو نصر الأسدي الذي يروي عن ابن عباس ثقة .

(٣) وبذلك قال مسروق ، ومحمد بن كعب ، وهو خاتمة الليالي العشر .

(٤) في الأصل : يوم أول .

(٥) وهو الذي اختاره ابن جرير الطبري ، وقال : والصواب من القول في ذلك عندنا أنها عشر الأضحى ، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه . وقال ابن كثير : الليالي العشر : —

والثاني : أنها العشر الأواخر من رمضان ، رواه أبو ظبيان عن ابن عباس .

والثالث : العشر الأول من رمضان ، قاله الضحاك .

والرابع : العشر الأول من المحرم ، قاله يمان بن رئاب .

قوله تعالى : (والشَّفْعِ والوَتْرِ) قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف « والوِتْر » بكسر الواو ، وفتحها الباقون ، وهما لغتان . قال الفراء : الكسر لقريش وتميم وأسد ، والفتح لأهل الحجاز .

وللمفسرين في « الشفع والوتر » عشرون قولاً .

أحدها : أن الشفع : يوم عرفة ويوم الأضحى ، والوتر : ليلة النحر ، رواه أبو أيوب الأنصاري عن رسول الله ﷺ [1] .

والثاني : يوم النحر ، والوتر : يوم عرفة ، [رواه جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ ، وبه قال ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك] [2] .

ـ المراد بها عشر ذي الحجة ، كما قاله ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف ، قال : وقد ثبت في « صحيح البخاري » عن ابن عباس مرفوعاً : « ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام » يعني عشر ذي الحجة ، قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء » .

(١) قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٣٧/٧ : رواه الطبراني في حديث طويل ، وفيه واصل به السائب ، وهو متروك . وقال الحافظ السيوطي في « الدر » ٢٤٦/٦ أخرجه الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) عبارة الأصل : « رواه جابر بن عبد الله عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ ، ـ

والثالث : أن الشفع والوتر : الصلاة ، منها الشفع ، ومنها الوتر ، رواه عمران بن حصين عن رسول الله ﷺ [1] ، وبه قال قتادة .

— وبه قال عكرمة والضحاك » وهي خطأ ، فإن جابراً رضي الله عنه لم يروه عن رسول الله ﷺ بواسطة ابن عباس ، وإنما رواه مباشرة عن رسول الله ﷺ كما في « مسند أحمد » (٣٢٧/٣) من رواية زيد بن الحباب عن عياش بن عقبة عن خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر ، وأبو الزبير ، هو محمد بن مسلم بن تدرس أبو الزبير المكي ، وهو صدوق من رجال مسلم ، إلا أنه يدلس كما قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » . وقال ابن كثير : ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله ، وكل منهما عن زيد بن الحباب به ، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به ، قال : وهذا إسناد رجاله لابأس بهم ، وعندي أن المتن في رفعه نكارة ، والله أعلم .

وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٣٧/٧ : رواه البزار ، وأحمد ، ورجالها رجال الصحيح ، غير عياش بن عقبة، وهو ثقة،وأما عبد الله بن عباس ، فلم يروه مرفوعاً ، وإنما روى هذا المعنى موقوفاً ، كما في « الطبري » ١٧٠/٣٠ ، ولذلك قال ابن كثير بعدما أورد حديث جابر من رواية أحمد والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم : وقاله (أي هذا المعنى) ابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك أيضاً .

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤٤٢/٤ من حديث همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبعي أبو عمارة البصري، عن شيخ من أهل البصرة ، عن عمران بن حصين رضي الله عنه . ورواه أيضاً الترمذي ١٧٠/٢ من حديث همام عن قتادة به ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة ، وقد رواه خالد بن قيس أيضاً عن قتادة ، ورواه ابن جرير الطبري ١٧٢/٣٠ عن خالد بن قيس عن قتادة به ، والحاكم في « المستدرك » ٥٢٢/٢ من حديث همام عن قتادة به ، وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وفيه نظر ، لأن الراوي عن عمران بن حصين مجهول ، ولم يوثقه إلا ابن حبان . وأورده السيوطي في « الدر » ٣٤٦/٦ وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن عمران بن حصين رضي الله عنه .

والرابع : [أن الشفع : الخلق كله ، والوتر : الله تعالى] [١] ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد في رواية مسروق ، وأبو صالح .

والخامس : أن الوتر : آدم شفع بزوجته [٢] ، رواه مجاهد عن ابن عباس .

والسادس : أن الشفع يومان بعد يوم النحر ، وهو النفر الأول ، والوتر : اليوم الثالث ، وهو النفر الأخير ، قاله عبد الله بن الزبير ، واستدل بقوله تعالى : (فمن تعجَّل في يومين فلا إثم عليه) [البقرة : ٢٠٣] .

والسابع : أن الشفع : صلاة الغداة ، والوتر : صلاة المغرب ، حكاه عطية.

والثامن : أن الشفع : الركعتان من صلاة المغرب ، والوتر : الركعة الثالثة ، قاله أبو العالية ، والربيع بن أنس .

والتاسع : أن الشفع والوتر: الخلق كله ، منه شفع ، ومنه وتر ، قاله ابن زيد ومجاهد في رواية .

والعاشر : أنه العدد ، منه شفع ، ومنه وتر ، وهذا والذي قبله مرويان عن الحسن .

والحادي عشر : أن الشفع : عشر ذي الحجة ، والوتر : أيام [منى] [٣] الثلاثة ، قاله الضحاك .

---

(١) عبارة الأصل : « أن الشفع الوتر وله الخلق كله ، والوتر : الله تعالى » والتصحيح من الطبري والقرطبي .

(٢) في الاصل : بن وجه ، والتصحيح من القرطبي ، وقيل : إن الشفع والوتر آدم وحواء ، لان آدم كان فرداً فشفع بزوجته حواء ، فصار شفعاً بعد وتر .

(٣) سقطت من الاصل ، واستدركناها من القرطبي .

والثاني عشر : أن الشفع : هو الله ، لقوله تعالى : (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) [المجادلة : ٧] والوتر : هو الله ، لقوله تعالى : (قل هو الله أحد) ، قاله سفيان بن عيينة .

والثالث عشر : أن الشفع : هو آدم وحواء . والوتر : الله تعالى ، قاله مقاتل ابن سليمان .

والرابع عشر : أن الشفع : الأيام والليالي ، والوتر : اليوم الذي لا ليلة [بعده] [1] ، وهو يوم القيامة ، قاله مقاتل بن حيان .

والخامس عشر : الشفع : درجات الجنان ، لأنها ثمان ، والوتر : دَرَكات النار لأنها سبع ، فكأن الله أقسم بالجنة والنار ، قاله الحسين بن الفضل .

والسادس عشر : الشفع : تضاد أوصاف المخلوقين بين عِزٍ وذُلٍّ ، وقدرة وعجز ، وقوة وضعف ، وعلم وجهل ، وموت وحياة . والوتر : انفراد صفات الله عز وجـــل : عِزٌّ بلا ذل ، وقدرة بلا عجز ، وقوة بلا ضعف ، وعلم بلا جهل ، وحياة بلا موت ، قاله أبو بكر الورّاق .

والسابع عشر : أن الشفع : الصفا والمروة ، والوتر : البيت .

والثامن عشر : أن الشفع : مسجد مكة والمدينة ، والوتر : بيت المقدس .

والتاسع عشر : أن الشفع : القِرَان بين [2] الحج والتمتع ، والوتر : الإفراد .

والعشرون : الشفع : العبادات المتكررة ، كالصلاة ، والصوم ، والزكاة ،

---

(١) سقطت من الاصل ، واستدركناها من القرطبي .

(٢) في الاصل : في .

والوتر : العبادة التي لاتتكرر ، وهو الحج ، حكى هذه الأقوال الأربعة الثعلبي .

قوله تعالى : (والليل إذا يسر) وقرأ ابن كثير ، ويعقوب « يسري » بياء في الوصل والوقف ، وافقهما في الوصل نافع وأبو عمرو. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي « يسر » بغير ياء في الوصل والوقف . قال الفراء ، والزجاج : الاختيار حذفها لمشاكلتها لرؤوس الآيات ، ولاتّباع المصحف [1] . وفي قوله تعالى : (والليل إذا يسر) قولان .

أحدهما : أن الفعل له ، ثم فيه قولان . أحدهما : إذا يسري ذاهباً ، قاله الجمهور ، وهو اختيار الزجاج . والثاني : إذا يسري مقبلا ، قاله قتادة .

والقول الثاني : أن الفعل لغيره [2] ، والمعنى : إذا يسري فيه ، كما يقال : ليل نائم ، أي : ينام فيه ، قاله الأخفش ، وابن قتيبة

وفي المراد بهذا الليل ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه عام في كل ليلة ، وهذا الظاهر .

والثاني : أنه ليلة المزدلفة ، وهي ليلة جَمْعٍ [3] : قاله مجاهد وعكرمة .

والثالث : ليلة القدر ، حكاه الماوردي .

---

(١) وهو اختيار ابن جرير الطبري .

(٢) في الاصل : لعبرة .

(٣) في الاصل : جمعة ، والتصحيح من الطبري « والدر المنثور » ، سميت بذلك لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله تعالى .

قوله تعالى : (هل في ذلك) أي : [هل في ذلك المذكور من الأمور التي أقسمنا بها] [١] (قسم لذي حجر) أي : لذي عقل ، وسمي العقل حجْراً ، لأنه يحجر صاحبه عن القبيح ، وسمي عقلاً ، لأنه يعقل عما لا يحسن ، وسمي العقل النُّهى ، لأنه ينهى عما لايحل . [٢] ومعنى الكلام : أن من كان ذا لبٍّ عَلِم أن ما أُقسم الله به من هذه الأشياء ، فيه دلائل على توحيد الله وقدرته ، فهو حقيق أن يقسم به لدلالته . وجواب القسم قوله تعالى : (إن ربك لبالمرصاد) فاعترض بين القسم وجوابه بقوله [٣] تعالى : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) فخوَّف أهل مكة بإهلاك من كان أشدَّ منهم . وقرأ ابن مسعود ، وابن يعمر « بعادِ إرمَ » بكسر الدال من غير تنوين على الإضافة .

وفي « إرم » أربعة أقوال .

أحدها : أنه اسم بلدة ، قال الفراء . ولم يُجْرَ [٤] « إرم » لأنها اسم بلدة ثم فيها ثلاثة أقوال . أحدها : أنها دمشق ، قاله سعيد بن المسيب ، وعكرمة،

---

(١) عبارة الاصل « فيما سألوه ولده » وقد قومناها كما ترى اعتماداً على كتب التفسير .

(٢) عبارة البغوي : وسمي العقل حجراً ، لانه يحجر صاحبه عما لايحل ولاينبغي ، كما يسمى عقلاً ، لانه يعقله عن القبائح ، ونهىً ، لانه ينهى عما لا ينبغي .

(٣) سقطت من الأصل الباء من « بقوله » والتصحيح من « مجمع البيان » للطبرسي .

(٤) في الاصل : ولم يجز ، وهو تصحيف ، والتصويب من الطبري ، ومعنى « لم يجر » لم يصرف .

وخالد الرَّبَعِي . والثاني : الاسكندرية ، قاله محمد بن كعب [١] . والثالث : أنها مدينة صنعها شداد بن عاد، وهذا قول كعب . وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

والقول الثاني : أنه اسم أمة من الأمم ، ومعناه : القديمة [٢] ، قاله مجاهد .

والثالث : أنه قبيلة من قوم عاد [٣] ، قاله قتادة ومقاتل . قال الزجاج :

---

(١) علق ابن كثير رحمه الله على هذه الأقوال بقوله : ومن زعم أن المراد بقوله : (إرم ذات العماد) مدينة ، إما دمشق كما روي عن سعيد بن المسيب ، وعكرمة ، أو اسكندرية ، كما روي عن القرظي ، أو غيرهما ، ففيه نظر ، فانه كيف يلتئم الكلام على هذا (ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد) إن جعل ذلك بدلاً أو عطف بيان ، فانه لا يتسق الكلام حينئذ . ثم المراد إنما هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد ، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد ، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم ، قال : وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها : إرم ذات العماد ، مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها ، وأن حصباءها لآلىء وجواهر ، وترابها بنادق المسك ، وأنهارها سارحة ، وثمارها ساقطة ، ودورها لا أنيس بها ، وسورها وأبوابها تصفر ، ليس بها داعٍ ولا مجيب ، وأنها تنتقل ، فتارة تكون بأرض الشام ، وتارة باليمن ، وتارة بالعراق ، وتارة بغير ذلك من البلاد ، فان هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم ، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك .

(٢) يعني عاداً الأولى .

(٣) قال ابن جرير الطبري : وأشبه الأقوال فيه بالصواب عندي أنها اسم قبيلة من عاد ، ولذلك جاءت القراءة بترك إضافة عاد إليها وترك إجرائها ، قال : ولو كانت إرم اسم بلدة أو اسم جد لعاد ، لجاءت القراءة باضافة عاد إليها ، ولكنها اسم قبيلة منها فيما أرى ، كما قال قتادة والله أعلم ، فلذلك أجمعت القرأة فيها على ترك الإضافة وترك الاجراء .

وإنما لم تنصرف « إرم » لأنها جعلت اسماً للقبيلة ففتحت ، وهي في موضع خفض .

والرابع : أنه اسم لجَدِّ عادٍ ، لأنه عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح ، قاله ابن اسحاق [١] . قال الفراء : فإن كان اسماً لرجل على هذا القول ، فإنما ترك إجراؤه [٢] ، لأنه كالعجمي ، قال أبو عبيدة : هما عادان ، فالأولى : هي إرم ، وهي التي قال الله تعالى : (وأنه أهلك عاداً الأولى) [النجم : ٥٠] . وهل قوم هود عاد الأولى ، أم لا ؟ فيه قولان قد ذكرناهما في (النجم) [٣] .

وفي قوله تعالى : (إرم ذات العماد) أربعة أقوال .

أحدها : لأنهم كانوا أهل عمد وخيام يطلبون الكلأ حيث كان ، ثم يرجعون إلى منازلهم ، فلا يقيمون في موضع ، روى هذا المعنى عطاء عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ، وقتادة ، والفراء [٤] .

والثاني : أن معنى ذات العماد : ذات الطول ، روي عن ابن عباس أيضاً ، وبه قال مقاتل ، وأبو عبيدة . قال الزجاج : يقال : رجل مُعْمَدٌ : إذا كان طويلاً .

---

(١) الذي في الطبري والقرطبي وابن كثير عن ابن اسحاق : عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح .

(٢) في الأصل : ترك جاؤه .

(٣) في الأصل زيادة « أحدهما » بين قوله : « قولان » «وقد» . وانظر تفسير الآية (٥٠) من سورة النجم .

(٤) واختاره ابن جرير الطبري .

والثالث : ذات القوة والشدة ، مأخوذ من قوة الأعمدة ، قاله الضحاك .

والرابع : ذات البناء المحكم بالعماد ، قاله ابن زيد . وقيل : إنما سميت ذات العماد لبناء بناه بعضهم[١] .

قوله تعالى : (التي لم يخلق مثلها في البلاد) وقرأ أبو المتوكل ، وأبو الجوزاء ، وأبو عمران : « لم تَخْلُق » بتاء مفتوحة ورفع اللام « مثلَها » بنصب اللام . وقرأ معاذ القارىء ، وعمرو بن دينار : « لم نَخْلُق » بنون مفتوحة ورفع اللام « مثلَها » بنصب اللام .

وفي المشار إليها قولان .

أحدهما : لم يَخْلُق مثل تلك القبيلة في الطول والقوّة ، وهـذا معنى قول الحسن[٢] .

والثاني : المدينة لم يخلق مثل مدينتهم ذات العماد ، قاله عكرمة .

وقد جاء في التفسير صفات تلك المدينة . وهذه الإشارة إلى ذلك .

روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قِلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت ، فبينما هو في صحارى عدن وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن ، وحول الحصن قصور كثيرة . فلما دنا منها ظن أن فيهـا أحداً يسأله[٣] عن إبله ، فلم ير خارجاً ولا داخلاً ، فنزل عن دابته ، وعقلهـا ، وسلّ سيفه ، ودخل من باب

---

(١) في الأصل : لبنائه بعضهم ، والتصحيح من الطبري .

(٢) وهو الصواب كما قال ابن كثير ، وذكره عن ابن جرير .

(٣) في الأصل : أن فيها أحد سأله ، والتصحيح من « مجمع البيان » للطبرسي .

الحصن ، فلما دخل[١] الحصن إذا هو ببابين[٢] عظيمين [لم ير أعظم منهما[٣]] ، والبابان مُرصَّعان بالياقوت [الأبيض و][٤] الأحمر ، فلما رأى ذلك دهش[٥] ، ففتح أحد البابين ، فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها ، وإذا قصور ، كلُّ قصر فوقه غرف[٦] وفوق الغرف غرف مبنيَّة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت . ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع المدينة ، يقابل بعضها بعضاً ، مفروشة كلها باللؤلؤ ، وبنادق من مسك وزعفران . فلما عاين ذلك ، ولم ير أحداً ، هَالَه ذلك ، ثم نظر إلى الأزقة فاذا هو في كل زقاق منها شجر قد أثمر ، وتحت الشجر أنهار مطردة يجري ماؤها من قنوات من فضة . فقال الرجل : إن هذه هي الجنة ، فحمل معه من لؤلؤها ، ومن بنادق المسك والزعفران ورجع إلى اليمن ، فأظهر ما كان معه . وبلغ الأمر إلى معاوية ، فأرسل إليه ، فقص عليه مارأى ، فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار ، فلما أتاه قال له : ياأبا إسحاق : هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة ؟ قال : نعم ، أخبرك بها وبمن بناها ؟ إنما بناها شداد بن عاد ، والمدينة :

(١) في الأصل : دنا ، والتصحيح من « مجمع البيان » .

(٢) في الأصل : مابين .

(٣) زيادة من « مجمع البيان » .

(٤) زيادة من « مجمع البيان » .

(٥) في الأصل : دهن .

(٦) في الأصل : كل قصر منها فيها غرف ، والتصحيح من « مجمع البيان » .

« إرم ذات العماد » ، قال : فحدثني حديثها ، فقال : إن عاداً[١] المنسوب إليهم عاد الأولى ، كان له ولدان : شديد، وشداد . فلما مات [عاد][٢] ، ثم مات شديد وبقي شداد ، ملك الأرض ، ودانت له الملوك ، وكان مولعاً بقراءة الكتب ، فكان إذا مر بذكر الجنة دعته نفسه إلى بناء مثلها عُتُوّاً على الله تعالى . فأمر بصنع « إرم ذات العماد » ، فأمَّر على عملها مائة قهرمان[٣] مع كل قهرمان ألف من الأعوان ، وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدُّوه بما في بلادهم من الجواهر ، فخرج القهارمة[٤] يسيرون[٥] في الأرض ليجدوا أرضاً موافقة ، فوقفوا على صحراء[٦] عظيمة نقية من التلال ، وإذا فيها عيون ماء ومروج[٧] فقالوا : هذه صفة الأرض التي أمر الملك أن يبنى بها ، فوضعوا أساسها من الجزع اليماني ، وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة ، وكان عمر شداد تسعمائة سنة ، فلما أتوه وقد فرغوا منها[٨] قال : انطلقوا ، واجعلوا عليها حصناً ، واجعلوا حول الحصن ألف قصر ، عند

(١) في الاصل : عاد .

(٢) في الاصل : ملك ابعدة .

(٣) القهرمان : من أمناء الملك وخاصته ، فارسي معرب .

(٤) في الاصل : القهارة ، والتصحيح من « مجمع البيان » .

(٥) في الأصل : فتبددوا .

(٦) في الأصل : لتجدوا ما يوافقه حتى وقعوا على صخرة ، والتصحيح من الخازن .

(٧) في الاصل : وإذا هم يغنون مظردة ، والتصحيح من الخازن .

(٨) في الاصل : وقد فزعوا منه ، والتصحيح من الخازن .

كل قصر ألف عَلَم ليكون في كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي ، ففعلوا ذلك ، فأمر الملك الوزراء ـ وهم ألف وزير ـ أن يتهيئوا للنقلة إلى « إرم ذات العماد » ، وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين ، ثم ساروا إليها ، فلما كانوا منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه ، وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعاً ، ولم يَبْقَ منهم أحد[1] .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » ١٨٤ عن حديث عبد الله بن قلابة الذي ساقه المؤلف بطوله : رواه الثعلبي من طريق عثمان الدارمي عن عبد الله بن أبي صالح عن ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له شردت ، فذكره مطولاً . قال ابن حجر : قلت : آثار الوضع عليه لائحة . وقال ابن كثير : فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ، ولو صح إلى ذلك الأعرابي ، فقد يكون اختلق ذلك ، أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال ، فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج ، وليس كذلك ، وهذا مما يقطع بعدم صحته ، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الارض فيها قناطير الذهب والفضة ، وألوان الجواهر واليواقيت ، واللآلىء والإكسير الكبير ، لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها ، والاخذ منها ، فيحتالون على أموال الاغنياء والضعفة والسفهاء ، فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانات ، ويطنزون بهم ، والذي يجزم به أن في الارض دفائن جاهلية وإسلامية ، وكنوزاً كثيرة ، من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله ، فأما على الصفة التي زعموها ، فكذب وافتراء وبهت ، ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أونقل من أخذ عنهم ، والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب .

وقال الشوكاني في « فتح القدير » عن حديث عبد الله بن قلابة : وهذا كذب على كذب وافتراء على افتراء ، وقد أصيب الاسلام وأهله بداهية دهياء ، وفاقرة عظمى ، ورزية كبرى ، من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجترؤون على الكذب ، تارة على بني إسرائيل ، —

وروى الشعبي عن دَغْفَل[١] الشيباني عن علماء حِمْيَر قالوا : لما هلك شداد ابن عاد ومن معه من الصيحة ، ملَكَ بعده ابنه مَرْثَد بن شَدَّاد ، وقد كان أبوه خلَّفه بحضرموت على ملكه وسلطانه ، فأمر بحمل أبيه من تلك المفازة إلى حضرموت ، وأمر [بدفنه][٢] فَحُفِرَتْ له حفيرة في[٣] مفازة ، فاستودعه فيها على سرير من ذهب ، وألقى عليه سبعين حُلَّةً منسوجة بقضبان الذهب ، ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب وكتب عليه :

إعتبر يا أيها المغـ ـرورُ بالعمرِ المديدِ[٤]

أنا شَدَّادُ بنُ عادٍ صاحبُ الحصن المشيدِ[٥]

وأخو القوّة والبأ ساء والملك الحشيدِ[٦]

ـ وتارة على الانبياء ، وتارة على الصالحين ، وتارة على رب العالمين ، وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها من موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز ، فأدخلوا هذه الخرافات المختلقة والأقاصيص المنحولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه ، فحرفوا وغيروا وبدلوا ، قال : ومن أراد أن يقف على بعض ما ذكرنا فلينظر في كتابي الذي سميته « الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة » .

(١) في الأصل : وعقل .

(٢) زيادة ليست في الأصل .

(٣) في الأصل : من .

(٤) في الأصل : الشديد ، والتصحيح من « معجم البلدان » لياقوت : إرم .

(٥) في الأصل : العميد » .

(٦) في الأصل : الحيد .

دان أهل الأرض طُرّاً ... ليَ من خوف وعيدي [١]

وملكت الشرق والغر ... ب بسلطان شديدِ

وبفضل الملك والعد ... دة فيه والعديدِ

فأتى هود وكنّا ... في ضلال قبل هودِ

فدعانا لو قبلنا ... ه إلى الأمر الرشيدِ [٢]

فعصيناه ونادى ... ما لكم هل من محيدِ ؟ [٣]

فأتتنا [٤] صيحة تهـ ... ـوي من الأفق البعيدِ

فتوافينا كزرعٍ ... وسط بيداء حصيدِ

قوله‌تعالى : (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوه ونقبوه . قال اسحاق : والوادي : وادي القرى . وقرأ الحسن : « بالوادي » بإثبات الياء في الحالين (وفرعون ذي الأوتاد) مفسر في سورة (ص : ١٢) (الذين طَغَوْا في البلاد) يعني : عاداً ، وثمود ، وفرعون ، عملوا بالمعاصي ، وتجبَّروا على أنبياء الله (فأكثروا فيها الفساد) القتل والمعاصي (فصبَّ عليهم ربك سَوْطَ عذاب)

---

(١) البيت في الأصل : وإن أهل الأرض لي من خوف وعدي ووعيدي ، والتصحيح من « معجم البلدان » .

(٢) في الأصل : الشديد ، وفي « معجم البلدان » : « أجبناه » مكان قوله : « قبلناه » .

(٣) البيت في الأصل : فعصيناه وناديت ألا هل من مجيد ؟

(٤) في الأصل : فأتيناه .

قال ابن قتيبة : وإنما قال : سوط عذاب ، لأن التعذيب قد يكون بالسوط . وقال الزجاج : [أي جعل سوطَهم الذي ضربهم به العذابَ][1] (إن ربك لبالمرصاد) أي : يرصد مَنْ كفر به بالعذاب ، والمرصد : الطريق ، وقد شرحناه في قوله تعالى : (كانت مرصاداً) [النبأ : ٢١] .

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ، وأما إذا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فيقول رَبِّي أَهَانَنِ . كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ . وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ . وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا . وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا . كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا . وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا . وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى . يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي. فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ . وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ . يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾

قوله تعالى : (فأما الإنسان) فيمن عنى به أربعة أقوال .

أحدها : عتبة بن ربيعة ، وأبو حذيفة بن المغيرة ، رواه عطاء عن ابن عباس .

والثاني : أُبَيّ بن خلف ، قاله ابن السائب .

والثالث : أمية بن خلف ، قاله مقاتل .

---

(١) عبارة الأصل : « أحسن من هذا قد جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب » والتصحيح من القرطبي نقلاً عن الزجاج .

والرابع : أنه الكافر الذي لا يؤمن بالبعث ، قال الزجاج : وابتلاه بمعنى اختبره بالغنى[١] واليسر (فأكرمه) بالمال (ونَعَّمه) بما وسَّع عليه من الإفضال (فيقول ربي أكرمني) فتح ياء « ربيَ » « أكرمنيَ » « ربيَ » « أهاننيَ »[٢] أهل الحجاز ، وأبو عمرو[٣] ، أي : فضلني بما أعطاني ، ويظن أن ما أعطاه من الدنيا لكرامته عليه (وأما إذا ما ابتلاه) بالفقر (فقَدَر عليه رِزْقَه) وقرأ أبو جعفر ، وابن عامر « فقدَّر » بتشديد الدال ، والمعنى : ضيَّق عليه بأن جعله على مقدار البُلْغَة (فيقول ربي أهانني) أي : هذا الهوان[٤] منه لي حين أذلَّني بالفقر .

واعلم أن من لا يؤمن بالبعث ، فالكرامة عنده زيادة الدنيا ، والهوان قِلَّتُها[٥] .

---

(١) في الاصل : في العنا .

(٢) في الاصل . أهابني .

(٣) قال القرطبي : وقرأ أهل الحرمين وأبو عمرو « ربيَ » بفتح الياء في الموضعين ، وأسكن الباقون ، وأثبت البَزّي وابن محيصن ويعقوب الياء من « أكرمنِ » و « أهانِ » في الحالين ، لانها اسم فلا تحذف ، وأثبتها المدنيون في الوصل دون الوقف اتباعاً للمصحف ، وخيّر أبو عمرو في إثباتها في الوصل أو حذفها ، لانها رأس آية ، وحذفها في الوقف لخط المصحف ، والباقون بحذفها ، لانها وقعت في الموضعين بغير ياء .

(٤) في الاصل : أهون » .

(٥) قال القرطبي : وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث ، وإنما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته ، فأما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته وتوفيقه المؤدّي إلى حظ الآخرة ، وإن وسع عليه في الدنيا حمده وشكره .

قوله تعالى : (كلا) أي : ليس الأمر كما يظن . قال مقاتل : ما أعطيت [من أغنيت] [١] هذا الغنى لكرامته عليَّ ، ولا أفقرت [مَنْ] [١] أفقرت لهوانه عليَّ [٢] . وقال الفراء : المعنى : لم يكن ينبغي له أن يكون هكذا ، إنما ينبغي أن يحمد الله على الأمرين : الفقر ، والغنى [٣] . ثم أخبر عن الكفار فقال تعالى : (بل لا تكرمون اليتيم) قرأ أهل البصرة « يُكرِمون » و « يَحُضُّون » و « يأكُلون » و « يُحِبُّون » بالياء فيهن ، والباقون بالتاء . ومعنى الآية : إني أهنت من أهنت من أجل أنه لا يكرم اليتيم . والآية تحتمل معنيين .

أحدهما : أنهم كانوا لايَبَرُّونه .

والثاني : لا يعطونه حَقَّه من الميراث ، وكذلك كانت عادة الجاهلية لايورِّثون النساء ولا الصبيان . ويدل على المعنى الأول قوله تعالى : (ولا تَحاضُّون على طعام المسكين) قرأ أبو جعفر ، وأهل الكوفة «تحاضون» بألف مع فتح التاء . وروى الشيرزي عن الكسائي كذلك إلا أنه ضم التاء . والمعنى : لا يأمرون بإطعامه لأنهم لا يرجون ثواب الآخرة . ويدل على المعنى الثاني قوله تعالى : (وتأكلون التُّراثَ أكلاً لَمّاً) قال ابن قتيبة : التراث : الميراث ، والتاء فيه منقلبة عن واو ،

---

(١) زيادة ليست في الأصل .

(٢) ونقل الطبري عن قتادة : كلا إني لا أكرم من أكرمتَ بكثرة الدنيا ، ولا أهين من أهنت بقلّتها ، ولكن أكرم من أكرمت بطاعتي ، وأهين من أهنت بمعصيتي .

(٣) قال القرطبي : وقال الفراء : « كلا » في هذا الموضع بمعنى : لم يكن ينبغي للعبد أن يكون هكذا ، ولكن يحمد الله عز وجل على الغنى والفقر .

كما قالوا : تُجاه[١] ، والأصل : وُجاه ، وقالوا : تُخمَة ، والأصل : وُخَمَة[٢] .
و (لمّاً) أي : شديداً ، وهو من قولك : لممْتُ[٣] بالشيء : إذا جمعتَه ، وقال الزجاج : هو ميراث اليتامى .

قوله تعالى : (وتحبون المال) أي : تحبون جمعه (حبّاً جمّاً) أي : كثيراً فلا تنفقونه في خير (كلا) أي : ما هكذا ينبغي أن يكون [الأمر][٤] . ثم أخبر عن تلهّفهم على ما سلف منهم حين لا ينفعهم ، فقال تعالى : (إذا دُكّت الأرض دَكّاً دَكّاً) أي : مرّة بعد مرّة ، فتكسّر كل شيء عليها ، (وجاء ربك) قد ذكرنا هذا المعنى في قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله) [البقرة : ٢١٠] .

قوله تعالى : (والملك صفاً صفاً) أي : تأتي [ملائكة][٥] كل سماء صفاً [صفاً][٥] على حدة . قال الضحاك : يكونون سبعة صفوف ، (وجيء يومئذٍ بجهنّم) روى مسلم في أفراده من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله

---

(١) في الاصل : نحاه ، والتصحيح من « غريب القرآن » لابن قتيبة .

(٢) في الاصل . وقالوا : تحمه والاصل وجد ، والتصحيح من « غريب القرآن » .

(٣) في الأصل : عمت ، والتصحيح من « غريب القرآن » .

(٤) زيادة من البغوي .

(٥) زيادة لم ترد في الأصل .

ﷺ : « يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام ، مع [كل زمام][١] سبعون[٢] ألف ملك يجرّونها » . قال مقاتل : يجاء بها فتقام عن يسار العرش .

قوله تعالى : (يومئذ) أي : يوم يجاء بجهنم (يتذكر الإنسان) أي : يتّعظ الكافر ويتوب . قال مقاتل : هو أمية بن خلف[٣] (وأنّى له الذكرى) أي : كيف له بالتوبة وهي في القيامة لا تنفع (يقول ياليتني قدّمتُ) العمل الصالح في الدنيا (لحياتي) في الآخرة التي لا موت فيها (فيومئذ لا يعذّب عذابه أحدٌ) قرأ الكسائي ، ويعقوب ، والمفضل « لا يعذَّب » بفتح الذال ، والباقون بكسرها ، فمن فتح ، أراد : لا يعذب عذاب الكافر أحد ، ومن كسر أراد : لايعذّب عذاب الله أحد ، أي كعذابه ، وهذه القراءة تختص بالدنيا ، والأولى تختص بالآخرة[٤] .

---

(١) سقطت من الأصل ، واستدركناها من « صحيح مسلم » ٢١٨٤/٤ .

(٢) في الأصل : سبعين ، قال الإمام النووي في « شرح مسلم » ١٧٨/١٧ : هذا الحديث مما استدركه الدارقطني على مسلم وقال : رفعه وهم ، رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفاً . قلت : وحفص (أحد الرواة) ثقة حافظ إمام ، فزيادته الرفع مقبولة كما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين . والحديث رواه الترمذي أيضاً مرفوعاً وموقوفاً على ابن مسعود ، ورواه ابن جرير الطبري ١٨٨/٣٠ موقوفاً على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) والصحيح أنها عامة في كل كافر .

(٤) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك عندنا ماعليه قراء الامصار ، وذلك كسر الذال والثاء ، لإجماع الحجة من القراء عليه . وقال الشوكاني في « فتح القدير » : والضميران على قراءة الجمهور في « يعذّب » و « يوثق » مبنيان للفاعل ، لله عز وجل ، قال : وقرأ الكسائي على البناء للمفعول فيها ، فيكون الضميران راجعين إلى الانسان ، أي : لايعذب كعذاب ذلك الانسان أحد ، ولا يوثق كوثاقه أحد ، والمراد بالانسان الكافر .

قوله تعالى : (يا أيتها النفس المطمئنة) اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال :

أحدها : في حمزة بن عبد المطلب لما استشهد يوم أُحد ، قاله أبو هريرة ، وبريدة الأسلمي .

والثاني : في عثمان بن عفان حين أوقف بئر رومة [١] ، قاله الضحاك .

والثالث : في خبيب بن عدي لما صلبه أهل مكة ، قاله مقاتل .

والرابع : في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حكاه الماوردي .

والخامس : [في] [٢] جميع المؤمنين ، قاله عكرمة [٣] .

وفي معنى « المطمئنة » ثلاثة أقوال .

أحدها : المؤمنة ، قاله ابن عباس . وقال الزجاج : المطمئنة بالإيمان .

والثاني : الراضية بقضاء الله ، قاله مجاهد .

والثالث : الموقنة بما وعد الله ، قاله قتادة .

واختلفوا في أي حين يقال لها ذلك على قولين .

أحدهما : عند خروجها من الدنيا ، قاله الأكثرون .

والثاني : عند البعث يقال لها : ارجعي إلى صاحبك ، وإلى جسدك ، فيأمر الله الأرواح أن تعود إلى الأجساد ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال عطاء ، وعكرمة والضحاك .

---

(١) هي بئر بالمدينة .

(٢) زيادة ليست في الأصل .

(٣) قال القرطبي : والصحيح أنها عامة في كل نفس مؤمنٍ مخلصٍ طائع .

وفي قوله تعالى : (ارجعي إلى ربك راضية) أربعة أقوال .

أحدها : ارجعي إلى صاحبك الذي كنتِ في جسده ، وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس ، وبه قال عكرمة والضحاك .

والثاني : (ارجعي إلى ربك) بعد الموت في الدنيا ، قاله أبو صالح .

والثالث : ارجعي إلى ثواب ربك ، قاله الحسن .

والرابع : يا أيتها النفس المطمئنة [إلى الدنيا] [١] ارجعي إلى الله تعالى بتركها ، حكاه الماوردي [٢] .

قوله تعالى : (فادخلي في عبادي) أي : في جملة عبادي المصطَفَيْن . قال أبو صالح : يقال لها عند الموت : ارجعي إلى ربك ، فإذا كان يوم القيامة قيل لها : (فادخلي في عبادي) وقال الفراء : ادخلي مع عبادي . وقرأ سعد بن أبي وقاص ، وأُبي بن كعب ، وابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وأبو العالية ، وأبو عمران : « في عبدي » على التوحيد [٣] . قال الزجاج : فعلى هذه القراءة ـــ والله أعلم ـ

---

(١) سقطت من الأصل ، واستدركناها من البغوي والخازن .

(٢) وقال الآلوسي رحمه الله في « روح البيان » ٩/٣٧٠ ارجعي ، أي : من حيث حوسبت إلى محل عنايته تعالى وموقف كرامته عز وجل الك أولاً ، وهذا لأن للسعداء قبل الحساب كما يفهم من الأخبار موقفاً في المحشر مخصوصاً يكرمهم الله تعالى به لايجدون فيه ما يجده غيرهم في مواقفهم من النصب ، ومنه ينادى الواحد بعد الواحد للحساب فمتى كان هذا القول عند تمام الحساب اقتضى أن يكون المعنى ما ذكر .

(٣) في البحر المحيط : وقرأ الجمهور (في عبادي) جمعاً ، وابن عباس ، وعكرمة ، والضحاك ، ومجاهد ، وأبو صالح ، والكلبي ، وأبو شيخ الهنائي ، واليماني « في عبدي » على الإفراد . قال الطبري : والصواب من القراءة في ذلك (فادخلي في عبادي) بمعنى : فادخلي في عبادي الصالحين ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

يكون المعنى : ارجعي إلي ربك ، أي : إلى صاحبك الذي خرجتِ منـــه ، فادخلي فيه [١] .



(١) والظاهر الأول ، قال ابن كثير : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك) إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته (راضية) أي في نفسها (مرضية) أي قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها (فادخلي في عبادي) أي في جملتهم (وادخلي جنتي) قال : وهذا يقال لها عند الاحتضار ، وفي يوم القيامة أيضاً ، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره ، فكذلك هاهنا .

سورة البلد

وهي مكية كلُّها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَاأُقْسِمُ بِهٰذَا ٱلْبَلَدِ . وَأَنتَ حِلٌّ بِهٰذَا ٱلْبَلَدِ . وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ . لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ . أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً . أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ . أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ . وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ . وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾

قوله تعالى : (لا أقسم) قال الزجاج : المعنى : أقسم • و « لا » دخلت توكيداً ، كقوله تعالى : (لئلا يعلم أهل الكتاب) [الحديد : ٢٩] وقرأ عكرمة ، ومجاهد ، وأبو عمران ، وأبو العالية : « لَأُقْسِمُ »[١] قال الزجاج : وهذه القراءة بعيدة في العربية ، وقد شرحنا هذا في أول « القيامة » .

قوله تعالى : (وأنت حل بهذا البلد) فيه ثلاثة أقوال .

---

(١) في الأصل : لا أقسم .

و (البلد) هاهنا : مكة [١] .

أحدها : حلٌ لك ماصنعت في هذا البلد من قتلٍ [٢] أو غيره ، قاله ابن عباس ، ومجاهد . قال الزجاج : يقال : رجل حِلٌ ، وحلاَل ، ومُحِلٌ . قال المفسرون : والمعنى : إن الله [٣] تعالى وعد نبيَّه [٤] أن يفتح مكة على يديه بأن يُحِلَّها له ، فيكون فيها حِلاً .

والثاني : فأنت مُحِلٌ بهذا البلد غير مُحْرِم في دخوله ، يعني : عام الفتح ، قاله الحسن ، وعطاء .

والثالث : أن المشركين بهذا البلد يستحلون إخراجك [٥] وقتلك [٦] ، ويحرِّمون قتل الصيد ، حكاه الثعلبي .

قوله تعالى : (ووالدٍ وما ولد) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه آدم وما ولد ، قاله الحسن ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة .

---

(١) قال القرطبي : أي أقسم بالبلد الحرام الذي أنت فيه لكرامتك عليّ وحبّي لك . وقال ابن كثير : هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالاً ، لينبّه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها .

(٢) في الأصل : قبل .

(٣) في الأصل : إن شاء الله .

(٤) وعد نينه .

(٥) عبارة الأصل : « أنه حل عند المشركين بهذا البلد يستحلون إخراجك .

(٦) في لأصل : وقبلك .

والثاني : أولاد إبراهيم ، وما ولد : ذريته [١] ، قاله أبو عمران الجوني .

والثالث : أنه عامٌّ في كل والدٍ وما ولد ، حكاه الزجاج [٢] .

قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان) هذا جواب القسم .

وفيمن عنى بالإنسان خمسة أقوال .

أحدها : أنه اسم جنس ، وهو معنى قول ابن عباس .

والثاني : أنه أبو الأشدين الجمحي [٣] ، وقد سبق ذكره ، [المدثر : ٢٩ ، والانفطار : ٥] قاله الحسن .

---

(١) في الأصل : وما ولد : محمد ﷺ ، والتصويب من الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير . قال الشوكاني والآلوسي : وقيل : الوالد : إبراهيم ، والولد : إسماعيل ومحمد ﷺ .

(٢) وهذا الذي اختاره ابن جرير الطبري . قال ابن كثير : وقال مجاهد ، وأبو صالح ، وقتادة ، والضحاك ، وسفيان الثوري ، وسعيد بن جبير ، والسدي ، والحسن البصري ، وخصيف ، وشرحبيل بن سعيد وغيرهم : يعني بالوالد : آدم ، وما ولد : ولده ، قال : وهذا الذي ذهب إليه مجاهد حسن قوي ، لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهي المساكن ، أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده .

(٣) وجاء في القرطبي: قال الكلبي : إن هذا نزل في رجل من بني جمح كان يقال له : أبو الأشدين . وكان يأخذ الأديم العكاظي فيجعله تحت قدميه فيقول : من أزالني عنه فله كذا ، فيجذبه عشرة حتى يتمزّق ولا تزول قدماه ، وكان من أعداء النبي ﷺ وفيه نزل (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) يعني لقوته . وفي « الاشتقاق » لابن دريد : ٢٥١ : ومن رجالهم (أي : رجال بني سعد بن زيد مناة بن تميم) سنان بن خالد الأشد ، وسمي الأشد ، لشجاعته ، وهو كذلك في « شرح القاموس » .

والثالث : أنه الحارث بن عامر بن نوفل ، وذلك أنه أذنب ذنباً ، فأمره النبي ﷺ بالكفارة ، فقال : لقد ذهب مالي في الكفارات ، والنفقات منذ[١] دخلت في دين محمد ، قاله مقاتل .

والرابع : آدم عليه السلام ، قاله ابن زيد .

والخامس : الوليد بن المغيرة ، حكاه الثعلبي .

قوله تعالى : (في كَبَدٍ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : في نَصَبٍ ، رواه الوالي عن ابن عباس ، وبه قال الحسن ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبو عبيدة ، فإنهم قالوا : في شدة . قال الحسن : يكابد الشكر على السَّرَّاء والصبر على الضَّرَّاء ، لأنه لا يخلو من أحدهما[٢] ويكابد مصائب الدنيا ، وشدائد الآخرة . قال ابن قتيبة : في شدة غلبةٍ ومكابدةٍ لأمور الدنيا والآخرة[٣] ، فعلى هذا يكون من مكابدة الأمر ، وهي معاناته .

والثاني : أن المعنى : خلق منتصباً يمشي على رجلين[٤] ، وسائر الحيوان

---

(١) في الأصل : منه ، والتصحيح من « القرطبي » .

(٢) في الأصل : ولا يخلو فيها ، والتصحيح من « القرطبي » .

(٣) في الأصل : في شدة عليه ومكايده من أمور الدنيا والآخرة ، والتصحيح من « غريب القرآن » لابن قتيبة .

(٤) في الأصل : على رجله ، وما أثبتناه من « الطبري » .

غير منتصب ، رواه مقسم عن ابن عباس ، وبه قال عكرمة ، والضحاك ، وعطية ، والفراء ، فعلى هذا يكون معنى الكبد : الاستواء والاستقامة .

والثالث : في وسط السماء ، قال ابن زيد : « لقد خلقنا الإنسان » يعني : آدم « في كبد » أي : في وسط السماء[1] .

قوله تعالى : (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) يعني اللهَ عز وجل أي : [أيحسب أن][2] لن نقدر على بعثه ، ومعاقبته ؟ ! (يقول أهلكت مالاً لُبَداً) أي : كثيراً ، قال أبو عبيدة : هو فعل من التلبُّد[3] ، وهو المال الكثير بعضه على بعض . قال ابن قتيبة : وهو المال المتلبد ،

---

(١) أصل الكَبَد : الشدة ، ومنه تكبد اللبن : غلظ وخَثُرَ واشتد ، ومنه الكبد ، لأنه دم تغلظ واشتد . ويقال : كابدت هذا الأمر : قاسيت شدته ، قال لبيد يرثي أخاه :

يا عينُ هلا بكيتِ أرْبَدَ إذ قُمنا وقام الخصومُ في كَبَدِ

فقوله تعالى : (لقد خلقنا الإنسان في كبد) أي : في تعب ومشقة والله سبحانه قد جعل حياة الانسان سلسلة من الجهاد متصلة الحلقات ، وجعلها مبتدأة بالجهاد والمشقة ، ومنتهية بها أيضاً ، فهو مايزال يقاسي من المشقة ألواناً وضروباً مختلفة منذ نشأته في بطن أمه ، ومن استهلاله صارخاً إلى أن يكبر ويصير رجلا ، وفي هذا العهد تزداد مشقاته ، ويكثر عليه الجهد ، فمن تحصيل رزقه إلى تربية أولاده ، ومن جهاد نفسه ورياضتها على البر والتقوى إلى مقارعة خطوب الدهر ونوازله ، ومن الصبر على البلاء إلى الخضوع إلى رب الأرض والسماء ، ومن الاجتهاد في المعرفة إلى مصابرة النفس على الطاعة ، ثم هو بعد ذلك كله يمرض ويموت ، ويلاقي في قبره وفي آخرته من المشاق والمتاعب ما لا يقدر عليه إلا بتيسير الله سبحانه ، وكأن هذا هو المشار إليه بـ « في » التي تدل على الظرفية في قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان في كبد) .

(٢) زيادة ليست في الاصل .

(٣) في الاصل : التلبيد ، والتصحيح من « مجاز القرآن » لابي عبيدة .

كأنَّ بعضَه على بعض . قال الزجاج : وهو فعل للكثرة [١] ، كما يقال : رجل حُطَم : إذا كان كثير الحطم . وقرأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وعائشة ، وأبو عبد الرحمن ، وقتادة ، وأبو العالية ، وأبو جعفر « لُبَّداً » بضم اللام ، وتشديد الباء مفتوحة . وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأبو المتوكل ، وأبو عمران « لَبْداً » بفتح اللام وتسكين الباء خفيفة . وقرأ عثمان بن عفان ، والحسن ، ومجاهد « لُبُداً » برفع اللام والباء وتخفيفها . وقرأ علي وابن أبي الجوزاء « لِبَداً » بكسر اللام ، وفتح الباء مخففة .

وفيما قال لأجله ذلك قولان .

أحدهما : أنه أراد : أهلكت مالاً كثيراً في عداوة محمد ، قاله ابن السائب ، فكأنه استطال بما أنفق .

والثاني : أنفقت في سبيل الله وفي الكفارات مالاً كثيراً ، قاله مقاتل . فكأنه ندم على ما أنفق [٢] .

قوله تعالى : (أيحسب أن لم يَرَهُ أحد) يعني اللهَ عز وجل . والمعنى : أيظن أن الله لم يرَ نفقته ، ولم يُحْصِها ؟ ! وكان قد ادعى ما لم ينفق .

---

(١) في الأصل : فعل الكثيرة ، والتصحيح من « فتح القدير للشوكاني » نقلاً عن الزجاج .

(٢) لقد ذكر المصنف قبل قليل قول مقاتل بلفظ : لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد ، وهو كذلك في « القرطبي » وغيره . قال القرطبي : وهذا القول منه يحتمل أن يكون استطالة بما أنفق ، فيكون طغياناً منه ، أو أسفاً عليه ، فيكون ندماً منه .

قوله تعالى : (ألم نجعل له عينين) والمعنى : ألم نفعل به ما يدل على أن الله قادر على بعثه ؟ !

قوله تعالى : (وهديناه النَّجدين) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : سبيل الخير والشر ، قاله علي ، والحسن ، والفراء . وقال ابن قتيبة : يريد طريق الخير والشر . وقال الزجاج : النجدان : الطريقان الواضحان . والنجد : المرتفع من الأرض ، فالمعنى : ألم نُعرِّفه طريق الخير والشر كتبيُّن الطريقين العاليين .

والثاني : سبيل الهدى والضلال ، قاله ابن عباس . وقال مجاهد : هو سبيل الشقاوة والسعادة .

والثالث : الثديان ليتغذى بلبنها ، روي عن ابن عباس أيضاً ، وبه قال ابن المسيب ، والضحاك ، وقتادة [١] .

﴿ فَلاَ ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرٰكَ مَاٱلْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ . أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ . عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾

---

(١) والصواب القول الأول كما قال ابن جرير . وقال : والثديان وإن كانا سبيلي اللبن ، فإن الله تعالى ذكره إذ عدد على العبد نعمه بقوله (إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا إنا هديناه السبيل) إنما عدد عليه هدايته إياه إلى سبيل الخير من نعمه ، فكذلك قوله : (وهديناه النجدين) .

قوله تعالى : (فلا اقتحم العقبة) قال أبو عبيدة : فلم يقتحم العقبة [في الدنيا][1] . وقال ابن قتيبة : فلا هو اقتحم العقبة . قال الفراء : لم يضم إلى قوله تعالى : فلا اقتحم العقبة كلاماً آخر فيه « لا » ، والعرب لا تكاد تفرد « لا » في الكلام حتى يعيدوها[2] عليه في كلام آخر ، كقوله تعالى : (فلا صدق ولا صلى [القيامة : ٣١] ، (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [البقرة : ٦٢] . ومعنى : « لا » مأخوذ من آخر هذا الكلام ، فاكتفى بواحدة من الأخرى ، ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة ، فقال : فكُّ رقبة . (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) (ثم كان من الذين آمنوا) ففسرها بثلاثة أشياء . فكأنَّه كان في أول الكلام : فلا فعل ذا ، ولا ذا . وذهب ابن زيد في آخرين إلى أن المعنى : أفلا اقتحم العقبة ؟ على وجه الاستفهام ، والمعنى : فهلاَّ أنفق ماله في فَكِّ الرِّقاب والإطعام ليجاوز بذلك العقبة ؟ ! .

فأما : الاقتحام[3] فقد بيَّنَّاه في (ص : ٥٩) .

وفي العقبة سبعة أقوال .

أحدها : أنه جبل في جهنم ، قاله ابن عمر .

---

(١) زيادة من مجاز القرآن » لابي عبيدة . يريد أن « لا » بمعنى « لم » .

(٢) في الاصل : والعرب لا تكاد تقرر « لا » في الكلام حتى يعيدوها ، والتصحيح من « القرطبي » .

(٣) الاقتحام : الدخول في الأمر الشديد ، وأصله القحم ، وهي المهالك والأمور العظام ، يقال : قحم في الأمر قحوماً : رمى نفسه من غير روية ، والقُحمة : المهلكة والسنة الشديدة ، يقال : أصابت الأعراب القحمة : إذا أصابهم قحط ، فدخلوا الريف .

والثاني : عقبة دون الجسر ، قاله الحسن .

والثالث : سبعون دركة [١] في جهنم ، قاله كعب .

والرابع : الصراط ، قاله مجاهد ، والضحاك .

والخامس : نار دون الجسر ، قاله قتادة .

والسادس : طريق النجاة ، قاله ابن زيد .

والسابع : أن ذكر العقبة هاهنا مَثَلٌ ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في أعمال البِرّ ، فجعله كالذي يتكلّف صعود العقبة . يقول : لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والإطعام ، ذكره علي بن أحمد النيسابوري في آخرين .

قوله تعالى : (وما أدراك ما العقبة) قال سفيان بن عيينة : كلُّ ما فيه « وما أدراك » ، فقد أخبره به ، وكلُّ ما فيه « وما يدريك » فإنه لم يخبره به . قال المفسرون : المعنى : وما أدراك ما اقتحام العقبة ؟ . ثم بيّنه فقال تعالى :

---

(١) وفي الطبري وابن كثير : درجة . قال في « اللسان » : قال أبو عبيدة : جهنم دركات ، أي منازل وأطباق ، وقال غيره : الدَّرَكات : بعضها تحت بعض ، قال الازهري : والدرجات : منازل ومَرَاقٍ بعضها فوق بعض ، فالدَّرَكات ضد الدرجات . وقال الزبيدي في « تاج العروس شرح القاموس » : وقال المصنف (يعني صاحب القاموس) في « البصائر » : الدَّرَك : اسم في مقابلة الدرج ، بمعنى أن الدرج مراتب باعتبار الصعود ، والدرك مراتب باعتبار الهبوط ، ولهذا عبروا عن منازل الجنة بالدرجات . وعن منازل جهنم بالدركات .

(فَكُّ رقبة) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، إلا عبد الوارث ، والكسائي ، والداجوني عن ابن ذكوان « فَكَّ » بفتح الكاف « رَقَبَةً » بالنصب « أو أطعم » بفتح الهمزة والميم وسكون الطاء من غير ألف . وقرأ عاصم ، وابن عامر ، ونافع ، وحمزة « فَكُّ » بالرفع « رقبةٍ » بالخفض « أو إطعامٌ » بالألف .

ومعنى فك الرقبة : تخليصها من أسر الرق ، وكل شيء أطلقته فقد فَكَكْتَه[1] .

ومن قرأ « فَكَّ رقبةً » على الفعل ، فهو تفسير اقتحام العقبة بالفعل ، واختاره الفراء ، لقوله تعالى : (ثم كان من الذين آمنوا) قال ابن قتيبة : والمسغبة : المجاعة . يقال : سَغِبَ يَسْغَبُ سُغُوباً : إذا جاع (يتيماً ذا مقربة) أي : ذا قرابة[2] (أو مسكيناً ذا متربة) أي : ذا فقر كأنه لَصِق بالتراب[3] . وقال ابن عباس : هو المطروح في التراب لايقيه شيء . ثم بين أن هذه القُرَبَ إنما تنفع مع الإيمان بقوله تعالى : (ثم كان من الذين آمنوا) و « ثم » هاهنا بمعنى الواو ، كقوله تعالى : (ثم الله شهيد) [يونس : ٤٦] .

---

(١) في الاصل : فكته . وروى مسلم في « صحيحه » ١١٤٧/٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى يعتق فرجه بفرجه » ورواه بمعناه أحمد والبخاري .

(٢) روى الامام أحمد عن سلمان بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم ثنتان ، صدقة وصلة » ورواه الترمذي والنسائي وهو حديث صحيح .

(٣) تقول : تَرِبَ الرجل يَتْرَبُ تَرَباً ومتربة : إذا افتقر حتى لصق بالتراب، وتقول : أترب فلان : إذا كثر ماله حتى صار كالتراب في الكثرة .

قوله تعالى : (وتواصوا بالصبر) على فرائض الله وأمره (وتواصوا بالمرحمة) أي بالتراحم بينهم . وقد ذكرنا أصحاب الميمنة والمشأمة في [الواقعة : ٧ ، ٨] قال الفراء : و « المؤصدة » المطبقة . قال مقاتل : يعني أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب ، ولا يخرج منها غم ، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد . وقال ابن قتيبة : يقال : أَوْصَدْتُ الباب وآصدته : إذا أطبقته . وقال الزجاج : المعنى : أن العذاب مطبق عليهم . وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، والكسائي ، وأبو بكر عن عاصم « موصدة » بغير همز هاهنا وفي [الهمزة : ٨] وقرأ أبو عمرو ، وحمزة ، وحفص عن عاصم بالهمز في الموضعين .

سورة الشمس

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَاهَا . وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا . وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا . وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا . وَٱلسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا . وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا . وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾

قوله تعالى : (والشمس وضحاها) في المراد « بضحاها » ثلاثة أقوال .

أحدها : ضوؤها ، قاله مجاهد ، والزجاج . والضحى : حين يصفو ضَوْءُ الشمس بعد طلوعها .

والثاني : النهار كلُّه ، قاله قتادة ، وابن قتيبة .

والثالث : حَرُّها ، قاله السدي ، ومقاتل [1] (والقمر إذا تلاها) فيه قولان .

---

(١) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك أن يقال : أقسم جل ثناؤه بالشمس ونهارها ، لأن ضوء الشمس الظاهرة هو النهار .

أحدهما : إذا تَبِعَها ، قـاله ابن عباس في آخرين . ثم في وقت اتبـاعه لها ثلاثة أقوال . أحدها : أنه في أول ليـــلة من الشهر يرى القمر إذا سقطت الشمس ، قاله قتادة . والثاني : أنه في الخامس عشر يطلع القمر مع غروب الشمس ، حكاه الماوردي . والثالث : أنه في النصف الأول من الشهر إذا غربت تلاها القمر في الإضاءة ، وخلَفها في النور ، حكاه علي بن أحمد النيسابوري .

والقول الثاني : إذا ساواها ، قاله مجاهد . وقال غيره : إذا استدار ، فتلا الشمس في الضياء والنور ، وذلك في الليالي البيض .

قوله تعالى : (والنهار إذا جلّاها) في المكني عنها قولان .

أحدهما : أنها الشمس ، قاله مجاهد ، فيكون المعنى : والنهـار إذا بيَّن الشمس ، لأنها تتبيَّن إذا انبسط النهار .

والثاني : أنها الظلمة ، فيكون كناية عن غير مذكور ، لأن المعنى معروف ، كما تقول : أصبحت باردة ، وهبت شمالاً ، وهـذا قول الفراء ، واللغويين [١] .

(والليل إذا يغشاها) أي : يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق .

قوله تعالى : (والسماء ومابناها) في « ما » قولان .

---

(١) وقال ابن كثير : ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى (والنهار إذا جلاها) أي البسيطة لكان أولى ، ولصح تأويله في قوله تعالى : (والليل إذا يغشاهـا) فكان أجود وأقوى ، والله أعلم ، ولهذا قال مجاهد : (والنهار إذا جلاها) إنه كقوله تعالى : (والنهار إذا تجلى) . قـال : وأمـا ابن جرير فاختـــار عود الضمير في ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها .

أحدهما : بمعنى « مَن » تقديره « ومن بناها » ، قاله الحسن ، ومجاهد ، وأبو عبيدة . وبعضهم يجعلها بمعنى الذي .

والثاني : أنها بمعنى المصدر ، تقديره : وبنائها ، وهذا مذهب قتادة ، والزجاج. وكذلك القول في «وما طحاها » « وما سوَّاها » وقد قرأ أبو عمران الجوني في آخرين « ومن بناها » « ومن طحاها » « ومن سوَّاها » كله بالنون . قال أبو عبيدة : ومعنى « طحاها : بسطها يميناً وشمالاً ، ومن كل جانب [1] . قال ابن قتيبة : يقال : خَيْرٌ طاحٍ [2] ، أي : كثير متّسع .

وفي المراد « بالنفس » هاهنا قولان .

أحدهما : آدم ، قاله الحسن .

والثاني : جميع النفوس ، قاله عطاء [3] . وقد ذكرنا معنى « سوَّاها » في

---

(١) قال ابن كثير : وقال مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، والسدي ، والترمذي ، وأبو صالح ، وابن زيد : طحاها : بسطها ، وهو أشهر الاقوال ، وعليه الاكثر من المفسرين ، وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهري : طحوته مثل دحوته ، أي : بسطته ، والمعنى بسطها لافتراشها وازدراعها والضرب في أكنافها .

(٢) الذي في « غريب القرآن » : حيٌّ طاح . قال في « القاموس » : والطاحي : الذي ملأ كل شيء كثرة .

(٣) قال ابن كثير : أي : خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة ، كما قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وقال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » أخرجاه من رواية أبي هريرة . وفي « صحيح مسلم » من رواية عياض بن حمار المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » .

قوله تعالى : « فسوّاك فعدلك » [الانفطار : ٧] (فألهمها فجورها وتقواها) الإلهام : إيقاع الشيء في النفس . قال سعيد بن جبير : ألزمها فجورها وتقواها[١] . وقال ابن زيد : جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى ، وخذلانه إياها للفجور[٢] .

---

(١) بمعنى أن الله تعالى خلق في المؤمن التقوى ، وفي الكافر الفجور ، فالخلق لله ، والانسان قادر على سلوك أيها شاء ومخير فيه ، وبذلك الاختيار للخير أو الشر يثاب أو يعاقب .

قال ابن جرير الطبري : (فألهمها فجورها وتقواها) فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير أو شر ، أو طاعة أو معصية . وقال الشوكاني في فتح القدير : أي عرفها وأفهمها حالها وما فيها من الحسن والقبح .

(٢) إن الله سبحانه وتعالى أودع في نفس الإنسان خصائص القدرة على إدراك الخير والشر ، والهدى والضلال ، والحق والباطل ، ليختار أيها شاء ، ففي طبيعته هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أي الطريقين شاء ؛ وقد منحه الله عز وجل القدرة على سلوك أيها شاء (وهديناه النجدين) (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) وزود الإنسان باستعدادات متساوية للخير والشر ، والهدى والضلال ، فهو قادر على التميز بين ما هو خير وما هو شر ، وقادر على توجيه نفسه إلى الخير والشر على السواء ، وهذه القدرة كامنة في نفسه ، يعبر عنها القرآن تارة بالالهام (فألهمها فجورها وتقواها) وتارة بالهداية (وهديناه النجدين) فهي كامنة بصورة استعدادات ، والآيات القرآنية والرسل الالهية والتوجيهات توقظ هذه الاستعدادات وتوجهها ، ولكنها لا تخلق الاستعداد خلقاً جديداً ، لأنها مخلوقة فطرة ، وكائنة طبعاً ، وكائنة إلهاماً ، أضف إلى ذلك أن الله تعالى خلق في الانسان قوة واعية مدركة ، فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير فيها وتغليبه على استعداد الشر فقد أفلح وأنجح ، ومن ظلم هذه القوة الواعية المدركة وخبأها وأضعفها فقد خاب وخسر (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) والله عز وجل لم يدَع الانسان لاستعداد فطرته الالهامي ، ولا للقوة الواعية ، بل أعانه بالرسالات التي تضع له الموازين الثابتة ، وتكشف له عن موجبات الايمان ودلائل الهدى ، وتجلو عنه غواشي الهوى فيظهر له الحق —

قوله تعالى : (قد أفلح من زكاها) قال الزجاج : هذا جواب القسم . والمعنى : لقد أفلح ، ولكن اللام حذفت لأن الكلام طال ، فصار طوله عوضاً منها . قال ابن الأنباري : جوابه محذوف . وفي معنى الكلام قولان .

أحدهما : قد أفلحت نفس زكاها الله عز وجل ، قاله ابن عباس ، ومقاتل ، والفراء ، والزجاج .

والثاني : قد أفلح من زكّى نفسه بطاعة الله وصالح الأعمال ، قاله قتادة ، وابن قتيبة . ومعنى « زكاها » : أصلحها وطهرها من الذنوب (وقد خاب من دساها) فيه قولان كالذي قبله .

فإن قلنا : إن الفعل لله ، فمعنى « دساها » : خذلها ، وأخملها ، وأخفى محلها ، [بالكفر والمعصية] ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح .

وإن قلنا : الفعل للإنسان ، فمعنى « دساها » : أخفاها بالفجور . قال الفراء : ويروى أن « دَسَّاها » دَسَّسَهَا لأن البخيل يخفي منزله وماله . وقال ابن قتيبة : المعنى : دسى نفسه ، أي : أخفاها بالفجور والمعصية . والأصل من دَسَّسَتُ ،

ـــ في صورته الصحيحة ، وبذلك يتضح له الطريق وضوحاً كاشفاً لاشبهة فيه فتتصرف القوة الواعية حينئذ عن بصيرة وإدراك لحقيقة هذا الاتجاه الذي يختاره ويسير فيه . ولما كانت هذه النفس عرضة للتأثر والتغير ، فقد كان عليه الصلاة والسلام يدعو بقوله : « اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » رواه أحمد ومسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه .

فقلبت السين ياء ، كما قالوا : قصَّيت أظفاري ، أي : قصصتها . فكأن النَّطِفَ[1] بارتكاب الفواحش دس نفسه[2] ، وقمعها ، ومُصْطَنِـعُ المعروف شهر نفسه ورفعها ، وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبا للشهرة . واللئام تنزل الأطراف لتخفي أماكنها[3] . وقال الزجاج : معنى « دساها » جعلها قليلة خسيسة .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا . إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا . فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا . وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾

قوله تعالى : (كذبت ثمود بطغواها) أي : كذبت رسولها بطغيانها[4] . والمعنى : أن الطغيان حملهم على التكذيب . قال الفراء : أراد بطغواها : طغيانها ، وهما مصدران ، إلا أن الطغوى أشكل برؤوس الآيات ، فاختير لذلك . وقيل : كذبوا العذاب (إذ انبعث) أي : انتَدَبَ[5] (أشقاها) وهو : عاقر الناقة لعقرها[6] (فقال لهم رسول الله) وهو صالح (ناقةَ الله) قال الفراء : نصب

---

(١) النطف : المتهم كما في « اللسان » .

(٢) في الأصل : نفسها ، وفي النسخة الاستنبولية : نفسه ، وهو الصواب ، وهو كذلك في « مشكل القرآن » .

(٣) في الأصل : إمكانها وما أثبتناه هو في النسخة الاستنبولية ومشكل القرآن .

(٤) عبارة ابن قتيبة في « غريب القرآن » : كذبت الرسول اليها بطغيانها .

(٥) تقول : ندبته إلى كذا ، فانتدب ، أي أمرته فامتثل ، وفي الطبري : انبعث : ثار ، وفي القرطبي : نهض ، والانبعاث هو الاسراع .

(٦) وهو قدار بن سالف . روى البخاري في « صحيحه » ٥٤٢/٨ عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقر ، فقال رسول الله ﷺ : (إذ انبعث أشقاها) انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة » ورواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم .

الناقة على التحذير ، وكل تحذير فهو نصب . قال ابن قتيبة : المعنى : احذروا ناقة الله وشربها . وقال الزجاج : المعنى : ذَرُوا ناقة الله (و) ذَرُوا (سقياها). قال المفسرون : سقياها : شربها من الماء . والمعنى : لا تتعرّضوا ليوم شربها (فكذّبوه) في تحذيره إياهم العذاب بعقرها (فعقروها) وقد بيّنّا معنى «العقر» في [الأعراف : ٧٧] (فدمدمَ عليهم ربهم) قال الزجاج : أي : أطبق عليهم العذاب . يقال : دمدمت على الشيء : إذا أطبقت فكرّرت الإطباق . وقال المؤرّج [١] : الدمدمة : إهلاك باستئصال .

وفي قوله تعالى : (فَسوّاها) قولان .

أحدهما : سوّى بينهم في الإهلاك[٢] ، قاله السدي ، ويحيى بن سلام . وقيل : سوّى الدمدمة عليهم . والمعنى : أنه أهلك صغيرهم ، وكبيرهم .

والثاني : سوّى الأرض عليهم . قال مقاتل : سوّى بيوتهم على قبورهم . وكانوا قد حفروا قبوراً فاضطجعوا فيها ، فلما صِيْحَ بهم فهلكوا زُلزلت بيوتهم فوقعت على قبورهم [٣] .

قوله تعالى : (ولا يخاف عقباها) قرأ أبو جعفر ، ونافع ، وابن عامر « فلا يخاف » بالفاء ، وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام . وقرأ الباقون

---

(١) في الأصل : المورخ ، وفي النسخة الاستنبولية : المؤرخ ، وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : إهلاك ، وما أثبتناه من النسخه الاستنبولية .

(٣) قال ابن كثير : (فسواها) فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء ، قال قتادة : بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، فلما اشترك القوم في عقرها ، دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها .

بالواو ، وكذلك هي في مصاحف مكة ، والكوفة ، والبصرة .

وفي المشار إليه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الله عز وجل ، فالمعنى : لايخاف الله من أحد تَبِعَةً في إهلاكهم ، ولا يخشى عقبى ما صنع ، قاله ابن عباس ، والحسن .

والثاني : أنه الذي عقرها ، فالمعنى : أنه لم يخف عقبى ما صنع ، وهذا مذهب الضحاك والسدي ، وابن السائب . فعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : إذ انبعث أشقاها وهو لايخاف عقباها .

والثالث : أنه نبي الله صالح لم يخف عقباها ، حكاه الزجاج [١] .

* * *

(١) والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه ، كما قال ابن كثير والله أعلم .

سورة الليـــل

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى . وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى . إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى . فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى . وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾

قوله تعالى : (والليل إذا يغشى) قال ابن عباس : يغشى بظلمته النهار . وقال الزجاج : يغشى الأفق ، ويغشى جميع ما بين السماء والأرض ، (والنهار إذا تجلى) أي : بان وظهر من بين الظلمة ، (وما خلق الذكر والأنثى) في « ما » قولان . وقد ذكرناهما عند قوله تعالى : « وما بناها » [الشمس : ٥] . وفي « الذكر والأنثى » قولان .

أحدهما : آدم وحواء ، قاله ابن السائب ، ومقاتل .

والثاني : أنه عام ، ذكره الماوردي[١] .

قوله تعالى : (إن سعيكم لشتى) هذا جواب القسم . قال ابن عباس : إن أعمالكم لمختلفة ، عمل للجنة ، وعمل للنار . وقال الزجاج : سعي المؤمن والكافر مختلف ، بينهما بُعْدٌ[٢] .

وفي سبب نزول هذه السورة قولان .

أحدهما : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه اشترى بلالاً من أُمَيَّة وأُبَيِّ ابنَي خلف بِبُرْدَةٍ وعشرة أواق ، فأعتقه ، فأنزل الله عز وجل « والليل » إلى قوله تعالى : « إن سعيكم لشتى » يعني : سعي أبي بكر ، وأمية وأُبَيٍّ ، قاله عبد الله بن مسعود[٣] .

والثاني : أن رجلاً كانت له نخلةٌ فرعُها في دار رجل فقيرٍ ذي عيال ،وكان الرجل إذا صَعِدَ النخلة ليأخذ منها الثمر ، فربما سقطت الثمرة ، فيأخذها صبيان الفقير ، فينزل الرجل من نخلته حتى يأخذ الثمرة من أيديهم ، فإن وجدها في فم

(١) قال الشوكاني : والظاهر العموم .

(٢) روى مسلم في « صحيحه » ١/٢٠٣ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل الناس يغدو ، فبائع نفســه فمعتقها ، أو موبقها » أي : كل إنسان يسعى بنفسه ، فمنهم من يبيعها لله بطاعته فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعها فيوبقها ، أي : يهلكها .

(٣) رواه الواحدي في « أسباب النزول » ٣٣٥ وأورده السيوطي في « الدر » ٦/٣٥٨ من رواية ابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ ، وابن عساكر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . وذكره البغوي والخازن بغير سند .

أحدهم أدخل أصبعه حتى يخرجها ، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ ، فلقي النبيُّ ﷺ صاحبَ النخلة ، فقال : « تعطيني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة ؟ » فقال الرجل : إن لي نخلاً وما فيه نخلة أعجب إليَّ منهـــا ، ثم ذهب الرجل ، فقال رجل ممن سمع ذلك الكلام : يا رسول الله أتعطيني نخلة في الجنة إن أنا أخذتها ؟ قال : نعم ، فذهب الرجل ، فلقي صاحب النخلة ، فساومها منه، فقال له : أَماشَعَرْتَ أن محمداً أعطاني بها نخلة في الجنة؟ فقلتُ : ما لي نخلة أعجب إليَّ منها ، فقال له : أتريد بيعها ؟ قال : لا ، إلا أن أعطى بها مالا أظنني أعطى ، قال : مامناك ؟ قال : أربعون نخلة ، فقال : أنا أُعطيك أربعين [1] نخلة ، فأشهد له ناساً ، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ فقـال : إن النخلة قد صارت في ملـكي ، وهي لك ، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار ، فقال : النخلة لك ولعيالك ، فأنزل الله عز وجل « والليل إذا يغشى » إلى قوله تعالى : « إن سعيكم لشتى » رواه عكرمة عن ابن عباس [2] . وقال عطاء : الذي اشتراها من الرجل أبو الدحداح ،

---

(١) في الأصل : أربعون ، وهو خطأ ، والتصحيح من النسخة الاستنبولية وكتب التفســير .

(٢) رواه ابن أبي حاتم والواحدي في « أسباب النزول » ٣٣٥ من طريق حفص بن عمر العـدني عن الحكم بن أبان العدني عن عكرمة عن ابن عباس ، وهو حديث ضعيف ، لضعف حفص بن عمر ، والحكم بن أبان العدني ، صدوق عابد له أوهام ، كما قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » . والحديث ذكره الحافظ ابن كثير في التفسـير من رواية ابن أبي حاتم وقال في آخره : وهو حديث غريب جـداً . وأورده السيوطي في « الدر » ٦/٣٥٧ من رواية ابن أبي حاتم بسند ضعيف . ومما يدل على ضعف سبب النزول هـــذا وعدم صحته ، أن القصة كانت بالمدينة ، وسورة « الليل » نزلت بمكة .

أخذها بحائط له ، فأنزل الله تعالى هـذه الآيات إلى قوله تعالى : « إن سعيكم لشتى » أبو الدحداح ، وصاحب النخلة [١] .

قوله تعالى : (فأما من أعطى واتقى) قال ابن مسعود : يعني : أبا بكر الصديق ، هذا قول الجمهور [٢] . وقال عطاء : هو أبو الدحداح .

وفي المراد بهذا العطاء ثلاثة أقوال .

أحدها : أعطى من فضل ماله ، قاله ابن عباس .

---

(١) ذكره البغوي في « تفسيره » من رواية علي بن حجر عن إسحاق بن نجيح الملطي عن عطاء ، وإسحاق بن نجيح الملطي قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » : كذبوه ، وعطاء أرسله ، وقد ورد التصريح باسم أبي الدحداح في رواية الواحدي في « أسباب النزول » حيث قال عن الشخص الذي اشتراها : ثم ذهب الرجل فلقي رجلاً هو ابن الدحداح كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ... الخ ، وهو حديث ضعيف كما تقدم . قال الخازن : والصحيح أنها نزلت في أبي بكر الصديق وأمية بن خلف ، لأن سياق الآيات يقتضي ذلك .

(٢) ونقل القرطبي : قول ابن مسعود هذا عن عامة المفسرين . وروى الحاكم في « المستدرك » ٢ / ٥٢٥ من حديث زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : حدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : قال أبو قحافة لابي بكر : أراك تعتق رقاباً ضعافاً ، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك ، فقال أبو بكر : يا أبت إني إنما أريد ما أريد ، فأنزلت هذه الآيات فيه (فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) إلى قوله عز وجل : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، وسكت عليه الذهبي ، ورواه الواحدي في « أسباب النزول » ٣٣٦ من حديث إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق به ، ورواه ابن جرير الطبري ٢٢١/٣٠ . وأورده السيوطي في « الدر » ٣٠٨/٦ من رواية ابن جرير وزاد نسبته لابن عساكر .

والثاني : أعطى الله الصدق من قلبه ، قاله الحسن .

والثالث : أعطى حق الله عليه ، قاله قتادة .

وفي قوله تعالى : (واتقى) ثلاثة أقوال .

أحدها : اتقى الله ، قاله ابن عباس .

والثاني : اتقى البُخْل ، قاله مجاهد .

والثالث : اتقى محارم الله التي نهى عنها ، قاله قتادة .

وفي « الحسنى » ستة أقوال .

أحدها : أنه « لا إله إلا الله » ، رواه عطية عن ابن عباس ، وبه قال الضحاك .

والثاني : الخَلَف [1] ، رواه عكرمة عن ابن عباس ، وبه قال الحسن .

والثالث : الجنة ، قاله مجاهد .

والرابع : نِعَم الله عليه ، قاله عطاء .

والخامس : بوعد الله أن يثيبه ، قاله قتادة ، ومقاتل .

والسادس : الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، قاله زيد بن أسلم .

قوله تعالى : (فسنيسره لليسرى) ضم أبو جعفر سين « اليسرى » وسين « العسرى » وفيه قولان .

أحدهما : للخير ، قاله ابن عباس . والمعنى : نُيَسِّر ذلك عليه .

(١) أي : بالخَلَف من الله تعالى على عطائه .

والثاني : للجنة ، قاله زيد بن أسلم .

(وأما من بخل) قال ابن مسعود : يعني بذلك أميَّة وأبي ابنَيْ خلف . وقال عطاء : هو صاحب النخلة .

قال المفسرون : « وأما من بخل » بالنفقة في الخير والصدقة . وقال قتادة : بحق الله عز وجل ، (واستغنى) عن ثواب الله فلم يرغب فيه (وكذّب بالحسنى) وقد سبقت الأقوال فيها .

وفي « العسرى » قولان .

أحدهما : النار ، قاله ابن مسعود .

والثاني : الشر ، قاله ابن عباس . والمعنى : سنهيؤه للشر فيؤدّيه إلى الأمر العسير ، وهو عذاب النار [1] .

ثم ذكر أن ما أمسكه من ماله لاينفعه ، فقال تعالى : (وما يغني عنه ماله) الذي بخل به عن الخير (إذا تردّى) وفيه قولان .

أحدهما : إذا تردّى في جهنم ، قاله ابن عبـاس ، وقتـادة . والمعنى : إذا سقط فيها .

---

(١) قال ابن كثير : والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يجازي من قصـد الخير بالتوفيق له ، ومن قصد الشر بالخذلان ، وكل ذلك بقدر مقدر ، والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة ، وذكر منها ما رواه البخاري عن علي رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة ، فقال : « ما منـكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار » فقالوا : يا رسول الله أفلا نتكل ؟ فقـال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » ثم قرأ : (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) إلى قوله : (للعسرى) .

والثاني : إذا مات فتردّى في قبره ، قاله مجاهد .

﴿ إنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى . وَإِنَّ لَنَـــا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى . فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّىٰ . لاَيَصْلاَهَا إلاَّ الأَشْقَى . الَّذي كَذَّبَ وتَوَلى . وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتقى . الَّذي يُؤْتِي مَالَهُ يَتزَكَّى . وَمَالأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجزَىٰ . إلاَّ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعلى . وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾

قوله تعالى : (إن علينا للْهُدى) قال الزجاج : المعنى : إن علينا أن نُبيِّن طريق الهدى من طريق الضلالة (وإنَّ لنا للآخرةَ والأولى) أي : فليطلبا منا (فأنذرتكم ناراً تلظى) أي : تَوقَّد وتتوهجّ (لايصلاها إلا الأشقى) يعني : المشرك (الذي كذب) الرسول (وتولى) عن الايمان . قال أبو عبيدة : (الأشقى) بمعنى الشقيّ . والعرب تضع « أَفْعَلَ » في موضع « فاعل » . قال طرفة :

تَمَنَّى رِجَالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُتْ فَتِلْكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فيها بِأَوْحَدِ [(١)]

قال الزجاج : وهذه الآية التي من أجلها زعم أهل الإرجاء [(٢)] أنه لايدخل

---

(١) هو في « مجـــاز القرآن » لأبي عبيدة ٢ / ٣٠١ ، و « الطبري » ٣٠/ ٢٢٧ ، و « القرطبي » ٢٠/٨٨ .

(٢) ويسمون المرجئة ، وهم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لايضر مع الإيمان معصية ، كما أنه لاينفع مع الكفر طاعة ، سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي ، أي أخره عنهم . وقيل : المرجئة : فرقة من المسلمين يقولون : الايمان قول بلا عمل ، كأنهم قدموا القول ، وأرجؤوا العمل ، أي أخروه ، لأنهم يرون أنهم لو لم يصلوا ولم يصوموا لنجاهم إيمانهم .

النار إلا كافر ، وليس [الأمر] [1] كما ظنوا . هذه نار موصوفة بعينها ، ولأهل النار منازل . فلو كان [كل] [1] من لايشرك لايعذّب لم يكن في قوله تعالى : (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [النساء : ٤٨] فائدة [وكان « ويغفر ما دون ذلك » كلاماً لامعنى له] [2] .

قوله تعالى : (وسيجنّبها) أي : يُبْعَدُ عنها ، فيجعل منها على جانب (الأتقى) يعني : أبا بكر الصديق في قول جميع المفسرين (الذي يؤتي ماله يتزكّى) أي : يطلب أن يكون عنده الله زاكيا ، ولا يطلب الرياء ، ولا السمعة (وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تجزى) أي : لم يفعل ذلك مجازاة ليد أُسْدِيَتْ إليه .

وروى عطاء عن ابن عباس أن أبا بكر لما اشترى بلالاً بعد أن كان يعذّب قال المشركون : ما فعل أبو بكر ذلك إلا ليدٍ كانت لبلال عنده ، فأنزل الله تعالى : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) [3] أي : إلا طلباً لثواب ربه . قال الفراء : و « إلا » بمعنى « لكن » ونصب « ابتغاءَ » على إضمار إنفاقه . فالمعنى : وما ينفق إلا ابتغاء وجه ربه .

---

(١) زيادة من القرطبي .

(٢) زيادة من القرطبي ، وروى البخاري في « صحيحه » ٢١٤/١٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ? قال : « من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » .

(٣) ذكره القرطبي وغيره عن عطاء عن ابن عباس بغير سند .

قوله تعالى : (ولسوف يرضى) أي : بما يُعطَى في الجنة من الثواب [1] .



---

(١) قال ابن كثير : (ولسوف يرضى) أي : ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات . قال : وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هـذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حتى إن بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك ، ولا شك أنه داخل فيها ، وأولى الأمة بعمومها ، فإن لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى : (وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى ومـا لأحد عنده من نعمة تجزى) ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميـع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة ، فإنه كان صديقاً تقياً كريماً جواداً بذّالاً لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ ، فـكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ، ولم يكن لأحد من الناس عنده منّة يحتـاج إلى أن يـكافئه بها ، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ، ولهذا قال لهعروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية : أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك . وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة ، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل ، فكيف بمن عداهم ؟! ولهذا قال تعالى : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) وفي « الصحيحين » أن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة : يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة ، دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال : « نعم وأرجو أن تكون منهم » .

سورة الضحى

وهي مكية كلها بإجماعهم

اتفق المفسرون : على أن هذه [السورة] نزلت بعد انقطاع الوحي مدة.

ثم اختلفوا في سبب انقطاعه على ثلاثة أقوال.

أحدها : أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين ، وعن أصحاب الكهف ، وعن الروح ، فقال : سأخبركم غداً ، ولم يقل : إن شاء الله ، فاحتبس عنه الوحي.

والثاني : لِقِلَّة النظافة في بعض أصحابه . وقد ذكرنا هذين القولين في سورة [مريم : ٦٥].

والثالث : لأجل جرو كان في بيته ، قاله زيد بن أسلم[١].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٨/٥٤٥ : وجدت في الطبري باسناد فيه من لايعرف أن سبب نزولها وجود جرو كلب تحت سريره ﷺ لم يشعر به ، فأبطأ عنه جبريل لذلك ، وقصة إبطاء جبريل بسبب كون الكلب تحت سريره مشهورة ، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب ، بل شاذ مردود بما في الصحيح والله أعلم . وورد لذلك سبب ثالث ، وهو ما أخرجه الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس قال : لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل اياماً ، فتغير بذلك ، فقالوا : ودعه ربه وقلاه ، فأنزل الله تعالى : (ما ودعك ربك وما قلى) . ومن طريق اسماعيل مولى آل الزبير قال : فتر الوحي حتى شق ذلك على النبي ﷺ وأحزنه ، فقال : لقد خشيت أن –

وفي مدة احتباسه عنه أقوال قد ذكرناها في [مريم : ٦٦] .

وروى البخاري ومسلم في « الصحيحين » من حديث جُنْدُب قال : قالت امرأة من قريش للنبي ﷺ : ما أرى شيطانك إلا قد وَدَعَكَ ، فنزلت (والضحى والليل إذا سجى . ما ودّعك ربك وما قلى)[1] جندب : هو ابن سفيان والمرأة : يقال لها : أم جميل امرأة أبي لهب .

- يكون صاحبي قلاني ، فجاء جبريل بسورة « الضحى » . وذكر سليمان التيمي في السيرة التي جمعها ، ورواها محمد بن عبد الأعلى عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال : وفتر الوحي فقالوا : لو كان من عند الله لتتابع ، ولكن الله قلاه ، فأنزل الله : « والضحى» و « ألم نشرح » بكمالها ، قال : وكل هذه الروايات لا تثبت ، والحق أن الفترة المذكورة في سبب نزول « والضحى » ، غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي ، فإن تلك دامت أياما ، وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثاً ، فاختلطتا على بعض الرواة . وتحرير الأمر في ذلك ما بينته ، وقد أوضحت ذلك في التعبير ولله الحمد ، ووقع في « سيرة ابن اسحاق » في سبب نزول « والضحى » شيء آخر ، فإنه ذكر أن المشركين لما سألوا النبي ﷺ عن ذي القرنين والروح وغير ذلك ، وعدهم بالجواب ولم يستثن ، فأبطأ عليه جبريل اثنتي عشرة ليلة أو أكثر ، فضاق صدره وتكلم المشركون ، فنزل جبريل بسورة « الضحى » وبجواب ما سألوا ، وبقوله تعالى : (ولاتقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) وذكر سورة « الضحى » هنا بعيد ، لكن يجوز أن يكون الزمان في القصتين متقارباً ، فضم بعض الرواة إحدى القصتين إلى الأخرى ، وكل منها لم يكن في ابتداء البعث ، وإنما كان بعد ذلك بمدة ، والله أعلم .

(١) رواه البخاري في « صحيحه » ٨/٥٤٥ ومسلم ٣/ ١٤٢٣ وأحمد في « المسند » ٤/ ٣١٢ وابن جرير الطبري ٣٠/ ٢٣١ والواحدي في « أسباب النزول » ٣٣٧ ، وأورده السيوطي في « الدر » ٦/ ٣٦٠ وزاد نسبته للترمذي ، والنسائي ، والبيهقي وأبي نعيم معاً في « الدلائل » عن جندب بن عبد الله بن سُفيان البجلي رضي الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلضُّحَى . وَٱللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَى . وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى . أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى . فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ . وَأَمَّا ٱلسَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

وفي المراد « بالضحى » أربعة أقوال .

أحدها : ضوء النهار ، قاله مجاهد .

والثاني : صدر النهار ، قاله قتادة .

والثالث : أول ساعة من النهار إذا ترحّلت الشمس ، قاله السدي ، ومقاتل .

والرابع : النهار كلّه ، قاله الفراء .

وفي معنى « سجى » خمسة أقوال .

أحدها : أظلم .

والثاني : ذهب ، رويا عن ابن عباس .

والثالث : أقبل ، قاله سعيد بن جبير .

والرابع : سكن ، قاله عطاء ، وعكرمة ، وابن زيد . فعلى هذا : في معنى « سكن » قولان .

أحدهما : استقر ظلامه . قال الفراء : « سجى » بمعنى أظلم وركد في

طوله . كما يقال : بَحْرٌ سَاجٍ ، ولَيْل سَاجٍ : إذا ركد وأظلم . ومعنى : ركد : سكن . قال أبو عبيدة ، يقال : ليلة ساجية ، وساكنة ، وشاكرة . قال الحادي :

يَاحَبَّذا القَمْرَاءُ والليلُ الساجْ وطُرُقٌ مِثْلُ مُلاءِ النّساجْ [١]

قال ابن قتيبة : « سجى » بمعنى سكن ، وذلك عند تناهي ظلامه وركوده .

والثاني : سكن الخلق فيه ، ذكره الماوردي .

والخامس : امتد ظلامه ، قاله ابن الأعرابي [٢] .

قوله تعالى : (ما وَدَّعك ربك) وقرأ عمر بن الخطاب ، وأنس ، وعروة ، وأبو العالية ، وابن يعمر ، وابن أبي عبلة ، وأبو حاتم عن يعقوب « مَا وَدَعَكَ » بتخفيف الدال . وهذا جواب القسم . قال أبو عبيدة : « ماوَدَّعك » من التوديع كما يودع المفارق ، و « مَا وَدَعَكَ » مخففة من ودعه يدعه (وما قلى) أي : أبغض .

قوله تعالى : (وللآخرة خير لك من الأولى) قال عطاء ، خير لك من الدنيا . وقال غيره : الذي لك في الآخرة أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا .

قوله تعالى : (ولسوف يعطيك ربك) في الآخرة من الخير (فترضى) بما تُعطَى . قال علي والحسن : هو الشفاعة في أمته حتى يرضى . قال ابن عباس :

---

(١) الرجز في « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ، و « الكامل » ١٦١ و « الطبري » ٣٠/ ٢٣٠ ، و « القرطبي » ٢٠/٩١ و « اللسان » (سجى) .

(٢) قال الطبري : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي في ذلك قول من قال : معناه : والليل إذا سكن بأهله ، وثبت بظلامه ، كما يقال : بحر ساج : إذا كان ساكناً .

عُرِض على رسول الله ﷺ مايُفتَح على أُمته من بعده كَفْراً كَفْراً ، فَسُرَّ بذلك ، فأنزل الله عز وجل : « وللآخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى »[1] .

قوله تعالى : (ألم يجدك يتيماً فآوى) فيه قولان .

أحدهما : جعل لك مأوى إذ ضمَّك إلى عمك أبي طالب ، فكفاك المؤونة ، قاله مقاتل .

والثاني : جعل لك مأوى لنفسك أغناك عن كفالة أبي طالب ، قاله ابن السائب .

قوله تعالى : (ووجدك ضالاً فهدى) فيه ستة أقوال .

أحدها : ضالاً عن معالم النبوة ، وأحكام الشريعة ، فهداك إليها ، قاله الجمهور ، منهم الحسن ، والضحاك .

والثاني : أنه ضَلَّ وهو صبي صغير في شعاب مكة ، فردَّه الله إلى جده عبد المطلب ، رواه أبو الضحى عن ابن عباس .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري ٢٣٢/٣٠ من رواية الامام الأوزاعي عن اسماعيل بن عبيد الله ابن أبي المهاجر المخزومي عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عبد الله بن عباس ، ورواه ابن أبي حاتم من طريقه به . قال ابن كثير : وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ، ومثل هذا ما يقال عن توقيف . ورواه الواحدي في « أسباب النزول » ٣٣٨ والحاكم ٥٢٦/٢ ورواه الطبراني في « الكبير » . قال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٣٩/٧ : وإسناد الطبراني في « الكبير » حسن . وأورده السيوطي في « الدر » ٣٦١/٦ وزاد نسبته لعبد بن حميد ، والبيهقي وأبي نعيم كلاهما في « الدلائل » وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

والثالث : أنه لما خرج مع ميسرة غلام خديجة أخذ إبليس بزمام ناقته ، فعدل به عن الطريق ، فجاء جبريل ، فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة ، ورده إلى القافلة ، فمنَّ الله عليه بذلك ، قاله سعيد بن المسيب .

والرابع : أن المعنى : ووجدك في قوم ضُلاَّل ، فهداك للتوحيد والنبوة ، قاله ابن السائب .

والخامس : ووجدك نسياً ، فهداك إلى الذِّكر . ومثله : (أن تَضِلَّ إحداهما فتذكِّر إحداهما الأخرى) [البقرة : ٢٨٢] ، قاله ثعلب .

والسادس : ووجدك خاملاً لاتُذْكَر ولا تُعْرَف ، فهدى الناس إليك حتى عرفوك ، قاله عبد العزيز بن يحيى ، ومحمد بن علي الترمذي .

قوله تعالى : (ووجدك عائلاً) قال أبو عبيدة : أي : ذا فقر . وأنشد :

وَمَا يَدْرِي الفقيرُ مَتى غِنَاهُ وما يَدْرِي الغَنِيُّ مَتى يَعِيلُ [1]

أي : يفتقر . قال ابن قتيبة : العائل : الفقير ، كان له عيال ، أو لم يكن . يقال : عال الرجل : إذا افتقر . وأعال : إذا كثر عياله .

قوله تعالى : (فأغنى) قولان .

أحدهما : رَضَّاك بما أعطاك من الرزق ، قاله ابن السائب ، واختاره الفراء . وقال : لم يكن غناه عن كثرة المال ، ولكن الله رضَّاه بما آتاه .

(١) البيت لأحيحة بن الجلاح الأوسي وهو في « جمهرة أشعار العرب » : ١٢٥ ، و « معاني القرآن » للفراء ١ / ٢٥٥ ، و « الجمهرة » ٢/ ١٩٣ و « الطبري » ٧ / ٥٤٩ ، و « اللسان » عيل ، و « مجاز القرآن » ٢ / ٣٠٢ » والقرطبي » ٢٠/ ٩٩ .

والثاني : فأغناك بمال خديجة عن أبي طالب ، قاله جماعة من المفسرين[١] .

قوله تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر) فيه قولان .

أحدهما : لاتحقر ، قاله مجاهد .

والثاني : لاتقهره على ماله ، قاله الزجاج[٢] (وأما السائل) ففيه قولان .

أحدهما : سائل البر ، قاله الجمهور . والمعنى : إذا جاءك السائل ، فإما أن تعطيه ، وإما أن تردّه ردّاً ليناً . ومعنى (فلا تنهر) لا تنهره ، يقال : نهره وانتهره : إذا استقبله بكلام يزجره .

والثاني : أنه طالب العلم ، قاله يحيى بن آدم في آخرين .

قوله تعالى : (وأما بنعمة رَبِّك فَحَدِّثْ) في النعمة ثلاثة أقوال .

أحدها : النُبُوَّة .

والثاني : القرآن ، رويا عن مجاهد .

والثالث : أنها عامة في جميع الخيرات ، وهذا قول مقاتل . وقد روي عن مجاهد قال : قرأت على ابن عباس . فلما بلغت « والضحى » قال : كبِّر إذا

---

(١) روى البخاري ومسلم في « صحيحيهما » عن أبي هريرة رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » وروى مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه » .

(٢) وفي «صحيح البخاري» عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » ، وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما قليلاً . ورواه أيضاً بمعناه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي .

ختمت كل سورة حتى تختم . وقد قرأتُ على أُبيٍّ بن كعب فأمرني بذلك . قال علي بن أحمد النيسابوري : ويقال : إن الأصل في ذلك أن الوحي لما فتر عن رسول الله ﷺ ، وقال المشركون : قد هجره شيطانه وَوَدَّعَه ، اغتمّ لذلك ، فلما نزل « والضحى » كبَّر عند ذلك رسول الله ﷺ فرحاً بنزول الوحي ، فاتخذه الناس سُنَّةً [1] .

(١) قال عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير المفسر : روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزّة المقرىء ، قال : قرأت على عكرمة بن سليمان ، وأخبرني أنه قرأ على اسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد ، فلما بلغت : (والضحى) قالا لي : كبر حتى تختم مع كل خاتمة كل سورة ، فانا قرأنا على ابن كثير (يريد به عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة ، المتوفى سنة ١٢٠ هـ) فأمرنا بذلك ، وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك ، وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك ، وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبيّ بن كعب فأمره بذلك ، وأخبره أبيّ أنه قرأ على رسول الله ﷺ فأمره بذلك ، فهذه سُنّة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي من ولد القاسم بن أبي بزة ، وكان إماماً في القراءات ، فأما في الحديث ، فقد ضعفه أبو حاتم الرازي ، وقال : لا أحدث عنه ، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال : هو منكر الحديث ، لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في « شرح الشاطبية » عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة فقال : أحسنت وأصبت السنة . وهذا يقتضي صحة هذا الحديث . قال ابن كثير : ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفيته ، فقال بعضهم : يكبر من آخر (والليل إذا يغشى) وقال آخرون : من آخر (والضحى) وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول : الله أكبر ويقتصر ، ومنهم من يقول : الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر . قال ابن كثير : وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة (والضحى) أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وفتر تلك المدة ، ثم جاء الملك فأوحى إليه (والضحى والليل إذا سجى) السورة بتمامها ، كبر فرحاً وسروراً . قال : ولم يرد ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف ، فالله أعلم .

سورة الانشراح

مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ . الَّذي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً . فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ . وإِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾

قوله تعالى : (ألم نشرح لك صَدْرك) الشرح : الفتح بإذهاب ما يصد عن الإدراك . والله تعالى فتح صدر نبيه للهدى والمعرفة بإذهاب الشواغل التي تصدر عن إدراك الحق . ومعنى هذا الاستفهام : التقريرُ ، أي : قد فعلنا ذلك[1] (ووضعنا عنك وزرك) أي : حَطَطْنَا عنك إثمَكَ الذي سَلَفَ في الجاهلية ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ، والفراء ، وابن قتيبة في آخرين . وقال الزجاج : المعنى : أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال ابن قتيبة : وأصل

---

(١) قال ابن كثير : يقول الله تعالى : (ألم نشرح لك صدرك) يعني : إنا شرحنا لك صدرك ، أي نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً ، كقوله : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) وكما شرح الله صدره ، كذلك جعل شرعه فسيحاً واسعاً سمحاً سهلاً لاحرج فيه ولا إصر ولا ضيق .

الوِزْر : ما حمله الإنسان على ظهره ، فَشُبِّه بالحمل فجعل مكانه . ومعنى (أنقض ظهرك) أثقله حتى سمع نقيضه ، أي : صوته . وهذا مَثَلٌ ، يعني : أنه لو كان حملاً يحمل لَسُمِع نقيضُ الظهر منه . وذهب قوم إلى أن المراد بهذا تخفيف أعباء النبوة التي يُثْقِلُ القيامُ بها الظَّهْرَ ، فَسَهَّلَ الله له ذلك حتى تيَسرَّ عليه الأمر . وممن ذهب إلى هذا عبد العزيز بن يحيى .

قوله تعالى : (ورفعنا لك ذِكْرَك) فيه خمسة أقوال .

أحدها : ما روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية ، فقال : قال الله عز وجل : إذا ذُكِرْتُ [ذُكِرْتَ] [1] معي [2] . قال قتادة : فليس خطيب ، ولا مُتَشَهِّدٌ ، ولا صاحب صلاة إلا يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وهذا قول الجمهور

والثاني : رفعنا لك ذِكْرَك بالنبوة ، قاله يحيى بن سلام .

والثالث : رفعنا لك ذكرك في الآخرة كما رفعناه في الدنيا ، حكاه الماوردي .

---

(١) سقطت هذه الكلمة من الأصل ، واستدركناها من الطبري وغيره .

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٣٠/٢٣٥ من رواية يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ، ودراج ، وإن كان صدوقاً في حديثه فانه في روايته عن أبي الهيثم ضعيف ، كما قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » ومع ذلك فقد صححه ابن حبان . وقال ابن كثير : وكذا روى الحديث ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الأعلى به ، ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج . وأورده السيوطي في « الدر » ٦/٣٦٤ وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن مردويه ، وأبي نعيم في « الدلائل » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

والرابع : رفعنا لك ذكرك عند الملائكة في السماء .

والخامس : بأخذ الميثاق لك على الأنبياء ، وإلزامهم الإيمان بك ، والإقرار بفضلك ، حكاهما الثعلبي .

قوله تعالى : (فإن مع العسر يسراً) ضم سين «العُسُر» ، وسين « اليُسُر» أبو جعفر و «العسر » مذكور في الآيتين بلفظ التعريف . و «اليُسر » مذكور بلفظ التنكير ، فدل على أن العسر واحد ، واليسر اثنان . قال ابن مسعود ، وابن عباس في هذه [الآية][1] : لن يغلب عُسْر يسرين . قال الفراء : العرب إذا ذَكَرَتْ نَكِرَةً ثم أعادتها بنكرة صارت اثنتين ، كقولك : إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً ، فالثاني غير الأول ، وإذا أعادتها معرفة ، فهي كقولك : إذا كسبت درهماً فأنفق الدرهم ، فالثاني هو الأول . ونحو هذا قال الزجاج : ذَكَرَ العُسْر بالألف واللام ، ثم ثَنَّى ذِكْرَه ، فصار المعنى : إن مع العسر يسرين . وقال الحسين بن يحيى الجرجاني ـ ويقال له : صاحب النظم ـ : معنى الكلام : لايحزنك ما يُعَيِّرك به المشركون من الفقر « فإن مع العسر يسراً » [عاجلاً في الدنيا ، فأنجزه بما وعده ، بما فتح عليه ، ثم ابتدأ فصلاً آخر فقال : « إن مع العسر يسراً »][1] والدليل على ابتدائه تَعرِّيه من الفاء والواو ، وهو وعد لجميع المؤمنين أن مع عسر المؤمنين يسراً في الآخرة ، فمعنى قولهم : لن يغلب عسر يسرين : لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذي وعده الله المؤمنين في الدنيا ، فاليسر الذي وعدهم في الآخرة ،

---

(١) زيادة من النسخة الاستنبولية .

إنما يغلب أحدهما ، وهو يسر الدنيا. فأما يسر الآخرة ، فدائم لاينقطع ، كقوله [ﷺ] : «شهرا عيد لاينقصان»[1] ، أي : لا يجتمعان في النقص. وحكي عن العتبي قال :

---

(١) رواه البخاري ومسلم في « صحيحيهما » عن أبي بَكْرة رضي الله عنه ، واللفظ لمسلم ٢/٧٦٦ وهو بتمامه : « شهرا عيد لاينقصان : رمضان وذو الحجة » ولفظ البخاري ٤/١٠٨ : « شهران لاينقصان ، شهرا عيد : رمضان وذو الحجة » قال الإمام النووي في « شرح مسلم » : قوله ﷺ : « شهرا عيد لاينقصان : رمضان وذو الحجة » الأصح أن معناه : لاينقص أجرهما والثواب المرتب عليها وإن نقص عددهما . وقيل : معناه : لاينقصان جميعاً في سنة واحدة غالباً ، وقيل : لاينقص ثواب ذي الحجة عن ثواب رمضان ، لأن فيه المناسك ، حكاه الخطابي وهو ضعيف ، والأول هو الصواب المعتمد . ومعناه أن قوله ﷺ : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وقوله ﷺ : « من قام رمضان إيماناً واحتساباً ... » وغير ذلك ، فكل هذه الفضائل تحصل ، سواء تم عدد رمضان أم نقص ، والله أعلم .

وقال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٤/١٠٦ ما ملخصه : وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث ، فمنهم من حمله على ظاهره فقال : لايكون رمضان ولا ذو الحجة أبداً إلا ثلاثين ، وهذا قول مردود معاند للموجود المشاهد ، ويكفي في رده قوله ﷺ : « صوموا لرؤيته ، وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا العدة » فإنه لو كان رمضان أبداً ثلاثين لم يحتج إلى هذا ، قال : ومنهم من تأول له معنى لائقاً ، قال أبو الحسن : كان إسحاق بن راهويه يقول : لا ينقصان في الفضيلة إذا كانا تسعة وعشرين أو ثلاثين ، وقال البيهقي في « المعرفة » : إنما خصهما بالذكر لتعلق حكم الصوم والحج بهما . قال ابن حجر : والمعنى أن كل ماورد عنهما من الفضائل والأحكام حاصل سواء كان رمضان ثلاثين أو تسعاً وعشرين .

ثم قال : وفي الحديث حجة لمن قال : إن الثواب ليس مرتباً على وجود المشقة دائماً ، بل لله أن يتفضل بإلحاق الناقص بالتام في الثواب ، ثم قال : وهذا الحديث يقتضي أن التسوية في الثواب بين الشهر الذي يكون تسعاً وعشرين ، وبين الشهر الذي يكون ثلاثين ، إنما هو ـــ

كنت ذات ليلة في البادية بحالة من الغَمّ ، فأُلقِيَ في رَوعي بيت من الشعر ، فقلت :

أَرَى المَوْتَ لِمَنْ أَصْبَـ ح مَغْمُوماً لَهُ أَرْوَحْ

فلما جن الليل سمعت هاتفاً يهتف :

أَلاَ يا أَيُّهـا المرءُ الـ لَذِي الهمُّ بِـه بَرَّحْ

وَقَدْ أَنْشَدَ بَيْتـاً لَمْ يَزَلْ في فِكْرِهِ يَسْنَحْ

إذا اشتَدَّ بِـك العُسْرُ فَفَكِّرْ في « أَلَمْ نَشْرَحْ »

فَعُسْـرٌ بَيْنَ يُسْرَيْنِ إذا أَبْصَـرْتَهُ فَافْرَحْ

فحفظت الأبيات وفَرَّج الله غَمِّي .

قوله تعالى : (فإذا فرغت فانصب) أي : فادأبْ في العمـل ، وهو من النَّصَب ، والنَّصب : التعبُ ، الدُّؤوب في العمل .

وفي معنى الكلام خمسة أقوال .

أحدها : فإذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل ، قاله ابن مسعود .

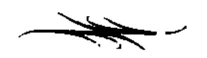
والثاني : فإذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء ، قاله ابن عباس ، والضحاك ، ومقاتل .

ـــ بالنظر إلى جعل الثواب متعلقاً بالشهر من حيث الجملة ، لا من حيث تفضيل الأيام . وأطلق على رمضان أنه شهر عيد لقربه من العيد ، ونظيره قوله ﷺ : « المغرب وتر النهار » أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر ، وصلاة المغرب ليلية جهرية ، وأطلق كونها وتر النهار لقربها منه ، وفيه إشارة أن وقتها يدخل أول ما تغرب الشمس .

والثالث : فإذا فرغت من أمر دنياك فانصب في عمل آخرتك ، قاله مجاهد .

والرابع : فإذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك ، قاله الشعبي ، والزهري .

والخامس : إذا صح بدنك فاجعل صحتك نَصباً في العبادة ، ذكره علي ابن أبي طلحة (وإلى ربك فارغب) قال الزجاج : اجعل رغبتك إلى الله عز وجل وحده[1] .



(١) قال ابن كثير : وقوله تعالى : (فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب) أي : إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها ، فانصب إلى العبادة ، وقم إليها نشيطاً فارغ البال ، وأخلص لربك النية والرغبة ، قال : ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته : « لاصلاة بحضرة طعـام ولا وهو يدافعه الأخبثان » وقوله ﷺ : « إذا أقيمت الصلاة وحضر العَشاء والعِشاء ، فابدؤوا بالعشاء » .

سورة التين

وفيها قولان :

أحدهما : مكية ، قاله الجمهور ، منهم الحسن ، وعطاء [١] .

والثاني : أنها مدنية ، حكاه الماوردي عن ابن عباس ، وقتادة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ . لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ . فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ . أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾

قوله تعالى : (والتين والزيتون) فيها سبعة أقوال .

أحدها : أنه التين المعروف ، والزيتون المعروف ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وعطاء ، ومجاهد ، وعكرمة ، وجابر بن زيد ، وإبراهيم . وذكر بعض المفسرين

(١) وهو الصواب .

أنه إنما أقسم بالتين لأنها فاكهة مُخَلَّصة من شائب التنغيص ، وهو يدل على قدرة من هيَّأه على تلك الصفة . وجعل الواحدة منه على مقدار اللقمة ، وإنما أقسم بالزيتون لكثرة الانتفاع به .

والثاني : أن التين : مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي . والزيتون : بيت المقدس ، رواه عطية عن ابن عباس [١] .

والثالث : التين : المسجد الحرام ، والزيتون : المسجد الأقصى ، قاله الضحاك .

والرابع : التين : مسجد دمشق ، والزيتون : بيت المقدس ، قاله كعب ، وقتادة ، وابن زيد .

والخامس : أنهما جبلان ، قاله عكرمة في رواية . وروي عن قتادة قال : التين : الجبل الذي عليه دمشق ، والزيتون : الجبل الذي عليه بيت المقدس .

والسادس : أن التين : مسجد أصحاب الكهف ، والزيتون : مسجد إيلياء ، قاله القرظي .

والسابع : أن التين : جبال ما بين حلوان إلى همذان ، والزيتون : جبال بالشام ، حكاه الفراء [٢] .

فأما (طور سينين) فالطور : جبل . وفيه قولان .

---

(١) وعطية ضعيف .

(٢) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال : التين ، هو التين الذي يؤكل ، والزيتون ، هو الذي يعصر منه الزيت ، لأن ذلك هو المعروف عند العرب .

أحدهما : أنه الجبل الذي كلم الله موسى عليه ، قاله كعب الأحبار في الأكثرين .

والثاني : أنه جبل بالشام ، قاله قتادة .

فأما « سينين » فهو لغة في سيناء . وقد قرأ علي ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو العالية ، وأبو مجلز « وطور سَيناء » ممدودة مهموزة ، مفتوحة السين . وقرأ ابن مسعود ، وأبو الدرداء ، وأبو حيوة « وطور سِيناء » مثلهم إلا أنهم كسروا السين . وقرأ أبو رجاء ، والجحدري « سينين » كما في المصحف ، لكنهما فتحا السين . وقال ابن الأنباري : « سينين » هو سيناء .

واختلفوا في معناه ، فقيل : معناه : الحسن . وقيل : المبارك . وقيل : إنه اسم للشجر الذي حوله . وقد شرحنا هذا في سورة [المؤمنين : ٢٠] قال الزجاج : وقد قرىء هاهنا « وطور سَيْناء » وهو أشبه لقوله تعالى :(وشجرةً تخرج من طُورِ سيناء) [المؤمنون : ٢٠] . وقال مقاتل : كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين ، وسيناء بلغة النبط [١] .

قوله تعالى : (وهذا البلد الأمين) يعني : مكة يأمن فيه الخائف في الجاهلية ،

---

(١) قال أبو جعفر الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : طور سينين ، جبل معروف ، لأن الطور هو الجبل ذو النبات ، فإضافته إلى سينين ، تعريف له ، ولو كان نعتاً للطور كما قال من قال : معناه : حسن أو مبارك ، لكان الطور منوناً ، وذلك أن الشيء لا يضاف إلى نعته لغير علة تدعو إلى ذلك .

والإسلام[١] . قال الفراء : ومعنى « الأمين » الآمن . والعرب تقول للأمين : آمن . قال الشاعر :

أَلَمْ تعلمي يا أَسْمَ وَيحكِ أَنَّني ... حَلَفْتُ يَميناً لا أَخُونُ أَمِيني[٢]

يريد آمني .

قوله تعالى : (لقد خلقنا الإنسان) هذا جواب القسم . وفي المراد بالإنسان هاهنا خمسة أقوال .

أحدها : أنه كَلَدَة بن أسيد ، قاله ابن عباس .

والثاني : الوليد بن المغيرة ، قاله عطاء .

والثالث : أبو جهل بن هشام .

والرابع : عتبة ، وشيبة ، حكاهما الماوردي .

---

(١) قال ابن كثير : وقال بعض الأئمة : هذه محال ثلاثة ، بعث الله في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار ، فالأول محلة التين والزيتون ، وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام ، والثاني : طور سينين ، وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران ، والثالث : مكة ، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً ، وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ ، قالوا : وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء — يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران — وأشرق من ساعير — يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى ، — واستعلن من جبال فاران — يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً ﷺ ، فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ، ولهذا أقسم بالأشرف ، ثم الأشرف منه ، ثم الأشرف منهما .

(٢) البيت من شواهد الفراء (٣٧١) ، وهو في الطبري ٢٤١/٣٠ ، والقرطبي ١١٣/٢٠ .

والخامس : أنه اسم جنس ، وهذا مذهب كثير من المفسرين [١] ، وهو معنى قول مقاتل .

قوله تعالى : (في أحسن تقويم) فيه أربعة أقوال .

أحدها : في أعدل خلق .

والثاني : منتصب القامة ، رويا عن ابن عباس .

والثالث : في أحسن صورة ، قاله أبو العالية .

والرابع : في شباب وقوة ، قاله عكرمة [٢] (ثم رددناه أسفل سافلين) فيه قولان .

أحدهما : إلى أرذل العُمُر ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قال عكرمة ، وإبراهيم ، وقتادة [٣] . وقال الضحاك : إلى الهرم بعد الشباب ، والضعف بعد القوّة . والسافلون : هم الضعفاء ، والزّمنى ، والأطفال ، والشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعاً . قال الفراء : وإنما قال : «سافلين» على الجمع ، لأن الإنسان في

---

(١) وهو الصواب .

(٢) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن معنى ذلك : لقد خلقنا الانسان في أحسن صورة وأعدلها ، لأن قوله : (أحسن تقويم) إنما هو نعت لمحذوف ، وهو في تقويم أحسن تقويم ، فكأنه قيل : لقد خلقناه في تقويم أحسن تقويم .

(٣) واختار هذا القول ابن جرير الطبري ، ورده ابن كثير ، فقال : ولو كان هذا هو المراد ، لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك ، لأن الهرم قد يصيب بعضهم ، وإنما المراد ماذكرناه (يعني القول الثاني : النار) كقوله تعالى : (والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) .

معنى جمع . تقول : هذا أفضل قائم ، ولا تقول : قائمين ، لأنك تريد واحداً ، فإذا لم ترد واحداً ذكرته بالتوحيد وبالجمع .

والثاني : إلى النار ، قاله الحسن ، وأبو العالية ، ومجاهد . والمعنى : إنا نفعل هذا بكثير من الناس . تقول العرب : أنفق فلان ماله على فلان ، وإنما أنفق بعضه ، ومثله قوله تعالى : (الذي يؤتي ماله يتزكى) [الليل : ١٨] لم يُرِدْ كُلَّ ماله . ثم استثنى من الإنسان فقال تعالى : (إلا الذين آمنوا) لأن معنى الإنسان الكثير .

وللمفسرين في معنى الاستثناء قولان .

أحدهما : إلا الذين آمنوا ، فإنهم لا يُرَدُّون إلى الخَرَف وأَرْذَل العُمُر وإن عُمِّروا طويلاً ، وهذا على القول الأول . قال ابن عباس : من قرأ القرآن لم يُرَدَّ إلى أرذل العمر . وقال النخعي : إذا بلغ المؤمن من الكِبَر مايعجز عن العمل كُتِبَ له ما كان يعمل ، وهو قوله تعالى : (فلهم أجر غير ممنون) وقال ابن قتيبة : المعنى : إلا الذين آمنوا في وقت القوّة والقدرة ، فإنهم حال الكِبَر غير منقوصين وإن عجزوا عن الطاعات ، لأن الله تعالى علم أنهم لو لم يسلبهم القوّة لم ينقطعوا عن أفعال الخير ، فهو يجري لهم أجر ذلك .

والثاني : إلا الذين آمنوا ، فإنهم لا يُرَدُّون إلى النار . وهذا على القول الثاني[1]. وقد شرحنا معنى « الممنون » في « ن » [آية : ٣] .

قوله تعالى : (فما يكذّبك بعد بالدين) فيه قولان .

---

(١) وهو الأقرب إلى معنى الآية ، كما قال ابن كثير .

أحدهما : فما يكذّبك أيها الإنسان بعد هذه الحجة « بالدّين » أي : ما الذي يجعلك مكذّباً بالجزاء ؟! ، وهذا توبيخ للكافر ، وهو معنى قول مقاتل . وزعم أنها نزلت في عدي بن ربيعة .

والثاني : فمن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعدما تبين له خلقُنا الإنسان على ما وصفنا ، قاله الفراء . فأما « الدّين » فهو الجزاء . والمشار بذكره إلى البعث ، كأنه استدل بتقليب الأحوال على البعث .

قوله تعالى : (أليس الله بأحكم الحاكمين) أي : بأقضى القاضين . قال مقاتل : يحكم بينك وبين مكذّبيك . وذكر بعض المفسرين : أن معنى هذه الآية تسليته في تركهم والإعراض عنهم . ثم نسخ هذا المعنى بآية السيف [1] .

* * *

---

(١) قال ابن كثير : وقوله تعالى : (أليس الله بأحكم الحاكمين) أي : أما هو أحكم الحاكمين الذي لايجور ولا يظلم أحداً ، ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه .

سورة العلق [1]

وتسمى : سورة القلم ، وسورة العلق ، وهي مكية بإجماعهم

وهي أول ما نزل من القرآن . وقيل : إنها نزلت عليه في أول الوحي خمس آيات منها ، ثم نزل باقيها في أبي جهل .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

قوله تعالى : (اقرأ) قرأ أبو جعفر بتخفيف الهمزة في الحرفين . قال أبو عبيدة : المعنى : (إقرأ باسم ربك) والباء زائدة .

وقال المفسرون : المعنى : اذكر اسمه مستفتحاً به قراءتك . وإنما قال تعالى : (الذي خلق) لأن الكفار كانوا يعلمون أنه الخالق دون أصنامهم . والإنسان هاهنا : ابن آدم . والعلق : جمع علقة ، وقد بيَّنَّاها في سورة « الحج » قال الفراء : لما كان الإنسان في معنى الجمع جمع العلق مع مشاكلة رؤوس الآيات .

---

(١) في الأصل : سورة إقرأ .

قوله تعالى : (اقرأ) تقرير للتأكيد . ثم استأنف فقال تعـالى : (وربُّك الأكرم) قال الخطابي : الأكرم : الذي لايوازيه كرم ، ولا يعادله في الكرم نظير . وقد يكون الأكرم بمعنى الكريم ، كما جاء الأعَزُّ والأطول بمعنى العزيز والطويل . وقد سبق تفسير الكريم .

قوله تعالى : (الذي علم بالقلم) أي : علم الإنسان الكتـــابة بالقلم (علم الإنسان ما لم يعلم)من الخط ، والصنائع ، وغير ذلك . وقيل : المراد بالإنسان هاهنا : محمد ﷺ .

﴿ كَلاَّ إنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى . أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى . إنَّ إلى رَبِّكَ الرُّجْعَى . أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى . عَبْدَاً إذَا صَلَّى . أَرَأَيْتَ إنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى . أَوْ أَمَـــرَ بِالتَّقْوَى . أَرَأَيتَ إنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى . أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى . كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَاً بِالنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ . فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾

قوله تعالى : (كلا) أي : حقاً . وقال مقاتل : (كَلاَّ) لايعلم أن الله علمه . ثم استأنف فقال تعالى : (إن الإنسان ليطغى) يعني : أبا جهل . وكان إذا أصاب مالاً أشر وبَطِرَ في ثيابه ، ومراكبه ، وطعـامه (أن رآه استغنى) قال ابن قتيبة : أي : أن رأى نفسه استغنى . و « الرُّجْعَى » المرجع .

قوله تعالى : (أرأيت الذي ينهى) معنى : أرأيت : تعجيبه المخاطب ، وإنما كررها للتأكيد والتعجيب . والمراد بالناهي هاهنا : أبو جهل . قال أبو هريرة :

قال أبو جهل : هل يعفِّر محمَّدٌ وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم . قال : فبالذي يحلف به[1] لئن رأيتُه لأطأنَّ على رقبته . فقيل له : هاهو ذاك يصلي . فانطلق لِيَطَأَ على رقبته ، فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه[2] ، ويتَّقي بيديه ، فأتَوْه ، فقالوا : مالك يا أبا الحكم ؟ فقال : إن بيني وبينه خندقاً من نار ، وهولاً وأجنِحَةً . وقال نبي الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً » ، فأنزل الله تعالى : (أرأيت الذي ينهى) إلى آخر السورة[3] . وقال ابن عباس : كان النبي ﷺ يصلي ، فجاء أبو جهل فقال : ألم أنهك عن هذا ؟! فانصرف إليه

(١) في « صحيح مسلم » والطبري : فقال : واللات والعزّى .

(٢) في الأصل : عقبه ، والتصحيح من مسلم والطبري .

(٣) رواه مسلم في « صحيحه » ٢١٥٤/٤ ، وابن جرير الطبري ٢٥٦/٣٠ ، ورواه أحمد ، والنسائي ، وابن أبي حاتم . وأورده السيوطي في « الدر » ٣٧٠/٦ وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي ، وأبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه البخاري في « صحيحه » ٥٥٧/٨ دون سبب النزول ، ولفظه : عن عكرمة قال ابن عباس : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن عنقه ، فبلغ النبي ﷺ فقال : « لو فعله لأخذته الملائكة » ورواه ابن جرير بنحوه بلفظ : « لو فعل لأخذتـه الملائكة عياناً » . ورواه بنحو رواية الطبري الترمذي في « سننه » ١٧٠/٢ وقال : هـذا حديث حسن غريب صحيح . وأورده السيوطي في « الدر » ٣٦٩/٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن مردويه ، وابن المنذر ، وأبي نعيم والبيهقي معاً في « الدلائل » عن ابن عباس رضي الله عنه .

النبي ﷺ فزَبَره[1] ، فقال أبو جهل : والله إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني ، فأنزل الله تعالى : (فليدع ناديه سندع الزبانية) قال ابن عباس : والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله[2] .

قال المفسرون : والمراد بالعبد هاهنا : محمد ﷺ . وقيل : كانت الصلاة صلاة الظهر .

قوله تعالى : (أرأيت إن كان على الهدى) يعني المنهي وهو النبي ﷺ .

قوله تعالى : (أرأيتَ إن كذّب وتولّى) يعني : الناهي ، وهو أبو جهل ، قال الفراء : والمعنى : أرأيتَ الذي ينهى عبداً إذا صلى ، وهو كاذب مُتَوَلٍّ عن الذِّكر ، فأي شيء أعجب من هذا ؟! وقال ابن الأنباري : تقديره : أرأيته مصيباً .

قوله تعالى : (ألم يعلم) يعني أبا جهل (بأنَّ الله يرى) ذلك فيجازيه (كلا) أي : لا يعلم ذلك (لئن لم ينته) عن تكذيب محمد وشتمه وإيذائه (لنسفعاً بالناصية) السفع : الأخذ ، والناصية : مُقَدَّم الرأس . قال أبو عبيدة : يقال : سفعتُ بيده ،

---

(١) أي : نهره وأغلظ له .

(٢) رواه الترمذي ٢/١٧١ وقال : هذا حديث حسن غريب صحيح . ورواه أحمد في « المسند » رقم (٢٣٢١) و (٣٠٤٥) وابن جرير الطبري ٣٠/٢٥٦ والواحدي في « أسباب النزول » ٣٣٩ وأورده السيوطي في « الدر » ٦/٣٦٩ وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، وابن المنذر ، والطبراني ، وابن مردويه ، وأبي نعيم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما .

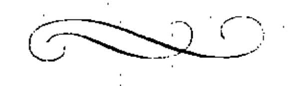
أي : أخذتُ بها . وقال الزجاج : يقال : سفعتُ الشيءَ : إذا قبضتَ عليه وجذبته جذباً شديداً . والمعنى : لَنَجُرَّنَّ ناصيته إلى النار .

قوله تعالى : (ناصيةٍ) قال أبو عبيدة : هي بدل ، فلذلك جرَّها . قال الزجاج : والمعنى : بناصية صاحبُها كاذبٌ خاطىءٌ ، كما يقال : نهارُه صائم ، وليلُه قائم ، أي : هو صائم في نهاره ، قائم في ليله (فليَدْعُ ناديه) أي : أهل ناديه ، وهم أهل مجلسه فليستنصرهم (سَنَدْعُ الزَّبانية) قال عطاء : هم الملائكة الغِلاظُ الشِّداد . وقال مقاتل : هم خَزَنَةُ جهنم . وقال قتادة : الزَّبانية في كلام العرب : الشُّرَط . قال الفراء : كان الكسائي يقول : لم أسمع للزَّبانية بواحد ، ثم قال بأخَرة : واحد الزبانية : زِبْنِيٌّ ، فلا أدري أقياساً منه أو سماعاً . وقال أبو عبيدة : واحد الزبانية : زِبْنِيَة ، وهو كل متمرِّد من إنس ، أو جان . يقال : فلان زِبْنِيَة عِفْرِيَة . قال ابن قتيبة : وهو مأخوذٌ من الزَّبْن ، وهو الدَّفْع ، كأنهم يدفعون أهل النار إليها . قال ابن دريد : الزَّبْن : الدفع . يقال : ناقة زبون : إذا زَبَنَتْ حالبها ، ودفعته برجلها . وتَزَابَنَ القوم : تدارؤوا . واشتقاق الزبانية من الزَّبْن . والله أعلم .

قوله تعالى : (كلا) أي : ليس الأمر على ما عليه أبو جهل (لا تُطعْهُ) في ترك الصلاة (واسجد) أي : صَلِّ لله (واقترب) إليه بالطاعة ، وهذا قول الجمهور أن قوله تعالى : (واقترب) خطاب للنبي ﷺ . وقد قيل : إنه خطاب لأبي جهل . ثم فيه قولان .

أحدهما : أن المعنى : اسجد أنت يا محمد ، واقترب أنت يا أبا جهل من النّار ، قاله زيد بن أسلم .

والثاني : واقترب يا أبا جهل تهَدُّداً له ، رواه أبو سليمان الدمشقي عن بعض القُدَماء . وهذا يشرحه حديث أبي هريرة الذي قدَّمناه . وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء »[1] .



(١) رواه مسلم في « صحيحه » ١/٣٥٠ .

سورة القـــدر

وفيها قولان .

أحدهما : أنها مكية ، رواه أبو صالح عن ابن عباس .

والثاني : مدنية ، قاله الضحاك ، ومقاتل . قال الماوردي : والأول قول الأكثرين [١] . وقال الثعلبي : الثاني قول الأكثرين .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ . لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . تَنَزَّلُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾

قوله تعالى : (إنا أنزلناه) يعني : القرآن (في ليلة القدر) وذلك أنه أنزل جملةً في تلك الليلة إلى بيت العزّة ، وهو بيت في السماء الدنيا . وقد ذكرنا هذا الحديث في أول كتابنا [٢] . والهاء في « إنا أنزلناه » كناية عن غير مذكور . وقال

(١) وهو الصواب .

(٢) انظر الجزء الاول صفحة (٥) .

الزجاج : قد جرى ذكره في قوله تعالى : (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) [الدخان : ٣]

فأما (ليلة القدر) في تسميتها بذلك خمسة أقوال .

أحدها : أن القَدْرَ : العظمةُ ، من قولك : لفلان قَدْر ، قاله الزهري . ويشهدله قوله تعالى : (وما قَدَرُوا الله حق قَدْرِه) [الأنعام : ٩١] و [الزمر : ٦٧] .

والثاني : أنه من الضيق ، أي : هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون ، قاله الخليل بن أحمد ، ويشهد له قوله تعالى : (وَمَنْ قُدِرَ عليه رِزْقُه) [الطلاق : ٧] .

والثالث : أن القَدْرَ : الحُكم كأن الأشياء تُقَدَّرُ فيها ، قاله ابن قتيبة .

والرابع : لأن من لم يكن له قَدْر صار بمراعاتها ذَا قَدْر ، قاله أبو بكر الورّاق .

والخامس : لأنه نزل فيها كتاب ذُو قَدْر ، وتنزل فيها رحمة ذات قَدْر ، وملائكةٌ ذَوو قَدْر ، حكاه شيخنا علي بن عبيد الله .

فصل

واختلف العلماء هل ليلة القدر باقية ، أم كانت في زمن النبي ﷺ خاصة ؟ والصحيح بقاؤها .

وهل هي في جميع السنة ، أم في رمضان ؟

فيه قولان .

أحدهما : في رمضان ، قاله الجمهور [١] .

والثاني : في جميع السنة ، قاله ابن مسعود .

واختلف القائلون بأنها في شهر رمضان هل تختص ببعضه دون بعض ؟ على قولين .

أحدهما : أنها في العشر الأواخر ، قاله الجمهور ، وأكثر الأحاديث الصحيحة تدل عليه .

وقد روى البخاري في أفراده من حديث ابن عباس ، عن النبي ﷺ أنه قال : « التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ، في تاسعةٍ تبقى ، أو سابعة تبقى ، أو في خامسة تبقى » [٢] . وفي حديث أبي بَكْرَة قال : ما أنا بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله ﷺ ، إلا في العشر الأواخر ، فإني سمعته يقول : « التمسوها في تسع يبقين ، أو سبع يبقين ، أو خمس يبقين ، أو ثلاث يبقين ، أو آخر ليلة » [٣] .

---

(١) وهو الصواب الذي تؤيده الأدلة الصحيحة عن رسول الله ﷺ ، وسيورد المصنف بعضها .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » ٤/٢٢٦ ولفظه : « التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ، ليلة القدر ، في تاسعة تبقى ، في سابعة تبقى ، في خامسة تبقى . قال ابن كثير بعدما ذكر حديث البخاري هذا : فسره كثيرون بليالي الأوتار ، وهو أظهر وأشهر .

(٣) رواه الترمذي في « سننه » ١/٩٨ من حديث عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكرة وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وقال الترمذي في آخر الحديث : وكان أبو بكرة يصلي في العشرين من رمضان كصلاته في سائر السنة ، فإذا دخل العشر (يعني الأخير) اجتهد . وقال الحافظ السيوطي في « الدر » ٦/٣٧٣ : أخرج الطيالسي ، وابن أبي شيبة ،

والقول الثاني : أنها في جميع رمضان ، قاله الحسن البصري .

واختلف القائلون بأنها في العشر الأواخر هل تختص ليالي الوتر دون الشفع ؟ على قولين .

أحدهما : أنها تختص الأفراد ، قاله الجمهور . والأحاديث الصحاح كلها تدل عليه . وقد أخرج البخاري ومسلم في « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال : ابتغوها في العشر الأواخر في الوتر منها[1] .

والثاني : أنها تكون في الشفع كما تكون في الوتر ، قاله الحسن . وروي عن الحسن ومالك بن أنس قالا : هي ليلة ثماني عشرة[2] .

واختلف القائلون بأنها في الأفراد في أخص الليالي بها على خمسة أقوال .

أحدها : أن الأخص بها ليلة إحدَى وعشرين . فروى البخاري ومسلم في

ـــ وأحمد ، وعبد بن حميد ، والترمذي وصححه ، وابن جرير والحاكم وصححه ، والبيهقي عن عبد الرحمن بن جوشن قال : ذكرت ليلة القدر عند أبي بكرة فقال : أما أنا فلست بلتمسها إلا في العشر الأواخر بعد حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول : « التمسوها في العشر الأواخر ، لتاسعة تبقى ، أو سابعة تبقى ، أو ثالثـــة تبقى ، أو آخر ليلة ، فكان أبو بكرة رضي الله عنه يصلي في عشرين من رمضان كما كان يصلي في سائر السنة ، فإذا دخل العشر اجتهد .

(١) رواه البخاري ٢٢٥/٤ وهو جزء من حديث طويل ، ولفظه « ... فابتغوهـــا في العشر الأواخر ، وابتغوها في كل وتر ... » وهو في مسلم ٨٢٤/٢ ، ٨٢٥ بمعناه .

(٢) قال الترمذي ٩٨/١ : وروي عن أبي قلابة أنه قـال : ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر . قال ابن كثير : وهذا الذي حكاه الترمذي عن أبي قلابة نص عليه مالك ، والثوري ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وأبو ثور ، والمزني ، وأبو بكر بن خزيمة ، وغيرهم ، قال : وهو محكيّ عن الشافعي ، نقله القاضي عنه ، وهو الأشبه ، والله أعلم .

« الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري قال : اعتكف رسول الله ﷺ العشر الوسط ، واعتكفنا معه ، فلما أصبحنا صبيحة عشرين رجع ، ورجعنا معه ، وأريَ ليلةَ القدر ، ثم أنسيها ، فقال : « إني رأيتُ ليلة القدر ، ثم أنسيتها وأراني أسجد في ماء وطين ، فمن اعتكف فليرجع إلى مُعتكفه ، وهاجت علينا السماء آخر تلك العشية ، وكان سَقْفُ المسجد عريشاً من جريد ، فوكف [المسجد][1] فوالذي هو أكرمه ، وأنزل عليه الكتاب لَرَأيْتُه يصلي ، بدأ المغرب ليلة إحدى وعشرين ، وإن جبهته وأرنبة أنفه لفي الماء والطين [2] ، وهذا مذهب الشافعي .

والثاني : أن الأخص بها ليلة ثلاث وعشرين . روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال ليلة ثلاث وعشرين : « اطلبوها الليلة » [3] .

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : من كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين » [4] .

---

(١) زيادة من البخاري ومسلم . ومعنى وكف : أي : قطر ماء المطر من سقفه .

(٢) رواه البخاري ٢٣٦/٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ومسلم ٨٢٤/٢ ، ٨٢٦ .

(٣) قال السيوطي في « الدر » ٣٧٢/٦ : أخرج ابن زنجويه ، وابن مردويه بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ذكرنا ليلة القدر عند رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « كم بقي من الشهر ؟ » قلنا : مضت اثنتان وعشرون ، وبقي ثمان ، فقال رسول الله ﷺ : « مضت اثنتان وعشرون ، وبقيت سبع ، التمسوها الليلة ، الشهر تسع وعشرون » .

(٤) هذا قطعة من حديث ذكره الطبرسي في « مجمع البيان » ١٩٣/٣٠ عن عبد الله بن عمرو بغير سند ولم يعزه لأحد ، ولفظه عنده بتمامه : عن عبد الله بن عمر قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله إني رأيت في النوم كأن ليلة القدر هي ليلة سابعة ــــ

وروى مسلم في أفراده من حديث عبد الله بن أُنَيْس ، أن رسول الله ﷺ قال : أُرِيتُ ليلةَ القدر ، ثم أُنسيتُها [١] ، وأُراني صُبْحَها [٢] أسجد في ماء وطين . قال : فمُطرنا ليلة ثلاث وعشرين ، فصلى بنا رسول الله ﷺ فانصرف [٣] وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه . قال : وكان عبد الله بن أُنَيْس يقول : ليلة ثلاث وعشرين [٤] .

والثالث : ليلة خمس وعشرين ، روى هذا المعنى أبو بكرة عن النبي ﷺ [٥] .

ـــ تبقى ، فمن كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئاً فليقم ليلة ثلاث وعشرين ، ولم نره عند غيره بهذا اللفظ ، نعم رواه البخاري ومسلم في « صحيحيهما » عن عبد الله بن عمر أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر ، فقال رسول الله ﷺ : « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر » . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٤/٢٢١ : والظاهر أن المراد به أواخر الشهر ، ثم قال : ولمسلم من طريق عقبة بن حريث عن ابن عمر : « التمسوها » في العشر الأواخر ، فإن ضعف أحدكم أو عجز ، فلا يغلبن على السبع البواقي ، قال : وهذا البيان يرجح الاحتمال في تفسير السبع .

(١) في الأصل : نسيتها .

(٢) في الأصل : صبيحتها .

(٣) في الأصل : فأبصرته .

(٤) رواه مسلم ٢/٨٢٧ . وقال الحافظ السيوطي في « الدر » ٦/٣٧٣ : أخرج مالك ، وابن سعد ، وابن أبي شيبة ، وأحمد ، ومسلم ، وابن زنجويه ، والطحاوي ، والبيهقي عن عبد الله بن أنيس أنه سئل عن ليلة القدر ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « التمسوها الليلة » وتلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين .

(٥) قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٤/٢٢٩ : حكاه ابن العربي في « العارضة » ، وعزاه ابن الجوزي في « المشكل » لأبي بكرة .

والرابع : ليلة سبع وعشرين ، روى مسلم في أفراده من حديث ابن عمر ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : من كان متحرياً فليتحرها ليلة سبع وعشرين ، يعني : ليلة القدر [1] ، وهذا مذهب عليّ وأُبَيّ بن كعب . وكان أُبَيٌّ يحلف لايستثني أنها ليلة سبع وعشرين [2] ، وبه قال ابن عباس ، وعائشة ، ومعاوية . واختاره أحمد رضي الله عنه .

وروي عن ابن عباس : أنه استدل على ذلك بشيئين .

---

(١) لفظ رواية مسلم ٢ / ٨٢٢ : « فمن كان متحرّيها فليتحرها في السبع الأواخر » . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٤/٢٢٩ : ولابن المنذر : « من كان متحريا فليتحرها ليلة سبع وعشرين » قال : وعن جابر بن سمرة نحوه ، أخرجه الطبراني في « أوسطه » وعن معاوية نحوه ، أخرجه أبو داود . وقال الحافظ السيوطي في « الدر » ٦/٣٧٥ : أخرج عبد بن حميد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « التمسوا ليلة القدر ليلة سبع وعشرين » .

(٢) روى مسلم في « صحيحه » ٢/٨٢٨ من رواية عبدة وعاصم بن أبي النجود سمعا زرّ بن حبيش يقول : سألت أُبيّ بن كعب رضي الله عنه فقلت : إن أخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر ، فقال رحمه الله : أراد أن لايتّكل الناس ، أما إنه قد علم أنها في رمضان ، وأنها في العشر الأواخر ، وأنها ليلة سبع وعشرين ، ثم حلف لايستثني أنها ليلة سبع وعشرين ، فقلت : بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر ؟ قال : بالعلامة ، أو بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها . والحديث ذكره السيوطي في « الدر » ٦/٣٧٤ وزاد نسبته لابن أبي شيبة ، وأحمد ، وابن زنجويه ، وعبد بن حميد ، والترمذي ، والنسائي ، وأبي داود ، وابن جرير ، وابن حبان ، وابن مردويه ، والبيهقي عن زرّ بن حبيش عن أبي رضي الله عنه .

أحدهما : أنه قال : إن الله تعالى خلق الإنسان على سبعة أصناف ، يشير إلى قوله تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة) [المؤمنون : ١٢] الآيات[١] . ثم جعل رزقه في سبعة أصنـاف يشير إلى قوله تعالى : (أنا صببنا الماء صباً) [عبس : ٢٥] [٢] ثم تصلى الجمعة على رأس سبعة أيام ، وجعل السموات سبعاً ، والأرضين سبعاً ، والمثاني سبعاً [٣] ، فلا أرى ليـــلة القدر إلا ليلة السابعة [وعشرين] [٤] .

والثاني : أنه قال : قوله تعالى : (سلام) هي الكلمة السابعة والعشرون ، فدل على أنها كذلك .

واحتج بعضهم فقال : ليلة القدر كُرِّرت في هـذه السورة ثلاث مرات ، وهي تسعة أحرف ، والتسعة إذا كُرِّرت ثلاثاً فهي سبع وعشرون ، وهذا تنبيه على ذلك .

والقول الخامس : أن الأولى طلبها في أول ليلة من رمضان ، قاله أبو رزين العقيـلي .

---

(١) نصها بتمامها (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنـا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسـونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) .

(٢) والآيات بتمامها : (فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنـــا الأرض شقاً ، فأنبتنا فيها حباً . وعنباً وقضباً . وزيتوناً ونخلاً . وحدائق غُلباً . وفاكهة وأباً . متاعاً لكم ولأنعامكم) .

(٣) وهي سورة الفاتحة سبع آيات ، سميت بالمثاني ، لأنها تثنى في كل ركعة ، أي تكرر .

(٤) كلمة « وعشرين » سقطت من الأصل ، واستدركناها من النسخة الاستنبولية .

وروى أيوب عن أبي قُلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر[1].

فأما الحكمة في إخفائها فليتحقق اجتهاد العباد في ليالي رمضان طَمعاً منهم في إدراكها ، كما أخفى ساعة الجمعة[2] ، وساعة

---

(١) انظر الصفحة (١٨٤) التعليق رقم (٢) .

(٢) روى البخاري ٢ / ٣٤٤ ومسلم ٢ / ٥٨٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : « فيه ساعة لايوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه » وأشار بيده يقللها . واللفظ للبخاري . وروى مسلم في « صحيحه » ٥٨٤/٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن في الجمعة لساعة لايوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه » قال : وهي ساعة خفيفة .

ورواه أحمد في « المسند » ٢٧٢/٢ وزاد فيه : « وهي بعد العصر » .

وروى مسلم في « صحيحه » ٥٨٤/٢ عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال : قال لي عبد الله بن عمر : أسمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة ؟ قال : قلت : نعم ، سمعته يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة » ورجح هذا القول النووي . وقال الترمذي في « سننه » ٣٦١/٢ بتحقيق أحمد شاكر : ورأى بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن الساعة التي ترجى فيها ، بعد العصر إلى أن تغرب الشمس ، قال : وبه يقول أحمد ، وإسحاق . قال : وقال أحمد : أكثر الأحاديث في الساعة التي ترجى فيها إجابة الدعوة أنها بعد صلاة العصر ، وترجى بعد زوال الشمس .

ومن شاء التفصيل فليرجع إلى « فتح الباري » ٣٤٥/٢ — ٣٥١ وشرح مسلم للنووي ١٤٠/٦ وانظر كلام أحمد شاكر على الترمذي ٣٦٣/٢ — ٣٦٤ .

وعلى كل فهي ساعة (أي لحظة) مخفية تمر على الانسان ، سواء أكانت مابين أن يجلس الامام إلى أن تقضى الصلاة ، أم بعد العصر ، وقد حثنا رسول الله ﷺ على التماسها لما فيها من الأجر العظيم والثواب الكبير .

الليل [١] ، واسمه الأعظم [٢] ، والصلاة الوسطى [٣] ، والوليُّ في الناس [٤] .

(١) روى مسلم في « صحيحه » ٥٢١/١ عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن في الليل لساعة لايوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة » . قال النووي في « شرح مسلم » ٣٦/٦ : فيه إثبات ساعة الإجابة في كل ليلة ، ويتضمن الحث على الدعاء في جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها .

(٢) روى البخاري في « صحيحه » ٢٦٢/٥ ومسلم ٢٠٦٣/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة » .

وفي رواية لمسلم : « من حفظها دخل الجنة » والمعنى : من حفظها متفكراً في مدلولاتها معتبراً بمعانيها ، عاملاً بمقتضاها ، مقدساً لمسماها ، دخل الجنة مع الأولين .

(٣) قال ابن كثير : اختلف السلف والخلف أي صلاة هي ، فقيل : إنها الصبح ، وذكر بعض الأدلة على ذلك . وقيل : إنها الظهر ، وذكر أيضاً بعض الأدلة على ذلك . وقيل : إنها العصر ، قال : قال الترمذي والبغوي رحمها الله تعالى : وهو قول أكثر علماء الصحابة وغيرهم . وقال القاضي الماوردي : هو قول جمهور التابعين ، وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر : هو قول أكثر أهل الأثر ، وقال أبو محمد بن عطية في تفسيره : وهو قول جمهور الناس . ثم ذكر أنه جاء التصريح بها في الأحاديث الصحيحة ، منها مارواه أحمد ومسلم عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قلوبهم وبيوتهم ناراً » . قال : وأخرجه الشيخان وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وغير واحد من أصحاب « المساند » و « السنن » والصحاح من طرق يطول ذكرها . وذكر أقوالاً أخرى كثيرة ، ثم قال : وقد ثبتت السنة بأنها العصر فتعين المصير إليها . اهـ . وهذا يدل على أن الصلاة الوسطى أصبحت معروفة وليست خفية كما ذكر المؤلف رحمه الله .

(٤) الولي لايعرف بعينه ، ولكن الله تعالى ذكر صفات الأولياء في كتابه فقال : (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون) فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً .

قوله تعالى : (وما أدراك ما ليلة القدر) هـذا على سبيل التعظـيم والتشوق إلى خيرها .

قوله تعالى : (ليلة القدر خير من ألف شهر) قال مجاهد : قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر وصيامها ليس فيها ليلة القدر ، وهذا قول قتادة ، واختيار الفراء ، وابن قتيبة ، والزجاج . وروى عطاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ ذُكِرَ له رجل من بني إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر ، فعجب رسول الله ﷺ لذلك ، وتمنّى أن يكون ذلك في أمته ، فأعطاه الله ليلة القدر ،

قال ابن كثير : ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين ، بدليل ماوراه الامام أحمد في « مسنده » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ حكمك ، عدل فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب الله حزنه وهمه ، وأبدله مكانه فرحاً ، فقيل : يارسول الله ، أفلا نتعلمها ؟ فقال : بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها » وقد أخرجه الإمام أبو حاتم بن حبان البستي بمثله ، قال : وذكر الفقيه الإمام أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتـــابه « الأحوذي في شرح الترمذي » أن بعضهم جمع من الكتاب والسنة من أسماء الله ألف اسم ، فالله أعلم .

قال الله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وهي كثيرة ، وقد اختلف العلماء في تعيين اسمه الأعظم . وقد روى أصحاب « السنن » عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله ، لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فقال : لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب » فالله أعلم أي الأسماء من هؤلاء الأعظم ، وكلها عظيمة .

وقال : هي خير من ألف شهر التي حمل فيها الاسرائيلي السلاح في سبيل الله [١] . وذكر بعض المفسرين أنه كان الرجل فيما مضى لايستحق أن يقال [٢] له : عابد حتى يعبد الله ألف شهر كانوا يعبدون فيها .

قوله تعالى : (تنَّزل الملائكة) قال أبو هريرة : الملائكة ليلة القدر في الأرض أكثر من عدد الحصى [٣] .

---

(١) روى هذا الحديث البغوي في « تفسيره » من رواية عطاء عن ابن عباس بغير سند ، وكذلك ذكره القرطبي في « تفسيره » ، وذكره ابن كثير في « التفسير » من رواية ابن أبي حاتم عن مجاهد عن النبي ﷺ ، وهو مقطوع ، وكذلك ذكره السيوطي في « الدر » ٣٧١/٦ وزاد نسبته لابن المنذر ، والبيهقي في « سننه » .

قال ابن كثير : وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد : ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في ذلك الشهر ليلة القدر ، قال : هكذا قال قتادة والشافعي وغير واحد ، قال : وقال عمرو ابن قيس الملائي : عمل فيها خير من عمل ألف شهر ، قال : وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، هو اختيار ابن جرير ، وهو الصواب ، لا ما عداه ، وهو كقوله ﷺ : « رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل » رواه أحمد ، وكما جاء في قاصد الجمعة بهيئة حسنة ونية صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها ، إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك . وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ : « قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم » ثم قال : ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ، ثبت في « الصحيحين » عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » .

(٢) في الأصل : يقول ، والتصحيح من النسخة الاستنبولية .

(٣) قال ابن كثير : أي يكثر تنزُّل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها ، قال : والملائكة يتنزّلون مع تنزّل البركة والرحمة ، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن ، ويحيطون بحلق الذّكر ، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق ، تعظيما له .

وفي « الروح » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه جبريل ، قالـه الأكثرون . وفي حديث أنس أن رسول الله ﷺ قال : إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلُّون ويسلِّمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل [1] .

والثاني : أن الروح : طائفة من الملائكة لاتراهم الملائكة إلا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر ، قاله كعب ، ومقاتل بن حيان .

والثالث : أنه ملَك عظيم يفي بخلق من الملائكة ، قاله الواقدي .

قوله تعالى : (فيها) أي : في ليلة القدر (بإذن ربهم) أي : بما أمر به وقضاه (من كل أمر) قال ابن قتيبة : أي : بكل أمر . قال المفسرون : يتنزَّلون بكل أمر قضاه الله في تلك السنة إلى قابل . وقرأ ابن عمر ، وابن عباس ، وأبو العالية ، وأبو عمران الجوني « من كل امرىء » بكسر الراء وبعدها همزة مكسورة منوَّنة . وبوصل اللام من غير همز . ولهذه القراءة وجهان .

أحدهما : من كل مَلَك سلام .

والثاني : أن تكون « من » بمعنى « على » تقديره : على كل أمر من المسلمين سلام من الملائكة ، كقوله تعالى : (ونصرناه من القوم الذين كذبوا) [الأنبياء : ٧٧] . والقراءة الموافقة لخط المصحف هي الصواب . ويكون تمام الكلام عند قوله تعالى :

---

(١) حديث أنس هذا ، ذكره السيوطي في « الدر » ٦ / ٣٧٧ وعزاه للبيهقي ، والكبكبة : الجماعة .

« من كل أمر » ثم ابتدأ فقال تعالى : (سلام هي) أي : ليلة القـدر سلام . وفي معنى السلام قولان .

أحدهما : أنه لايحدث فيها داء ولا يُرسَل فيها شيطان ، قاله مجاهد .

والثاني : أن معنى السلام : الخير والبركة ، قاله قتادة . وكان بعض العلماء يقول : الوقف على « سلام » على معنى تنزُّل الملائكة بالسلام .

قوله تعالى : (حتى مطلع الفجر) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحمزة « مطلَع » بفتح اللام . وقرأ الكسائي بكسرها . قال الفراء : والفتح أقوى في قياس العربية ، لأن المطلَع بالفتح : الطلوع ، وبالكسر : الموضع الذي يطلع منه ، إلا أن العرب تقول : طلعت الشمس مطلِعاً ، بالكسر ، وهم يريدون المصدر ، كما تقول : أكرمتك كرامة ، فتجتزىء بالاسم عن المصدر . وقد شرحنا هذا المعنى في « الكهف » عند قوله تعالى : (مطلع الشمس) [آية : ٩٠] شرحاً كافياً ، ولله الحمد .



سورة البيّنة [1]

وفيها قولان .

أحدهما : مدنية ، قاله الجمهور [2] .

والثاني : مكية ، قاله أبو صالح عن ابن عباس ، واختاره يحيى بن سلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ . رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً . فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ . وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ . وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ . جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾

---

(١) في الأصل : سورة لم يكن . وروى البخاري في «صحيحه» ٦/٩٠ ومسلم في « صحيحه » —

(٢) وهو الصواب .

قوله تعالى : (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والمشركين) أي : ومن المشركين ، وهم عبدة الأوثان (مُنْفَكِّينَ) أي : منفصلين وزائلين — يقال : فككت الشيء ، فانفك ، أي : انفصل — والمعنى : لم يكونوا زائلين عن كفرهم وشركهم (حتى تأتِيَهم) أي : حتى أتتهم ، فلفظه لفظ المستقبل ، ومعناه الماضي . و (البيِّنة) الرسول ، وهو محمد ﷺ ، وذلك أنه بيَّنَ لهم ضلالهم وجهلهم . وهذا بيان عن نعمة الله على من آمن من الفريقين إذ أنقذهم . وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى الآية : لم يختلفوا أن الله يبعث إليهم نبياً حتى بعث فافترقوا . وقال بعضهم : لم يكونوا ليتركوا منفكين عن حجج الله حتى أقيمت عليهم البَيِّنة . والوجه هو الأول . والرسول هاهنا محمد ﷺ . ومعنى (يتلو صحفاً) أي : ما تضمنته الصحف من المكتوب فيها ، وهو القرآن . ويدل على ذلك أنه كان يتلو القرآن عن ظهر قلبه لا من كتاب . ومعنى « مُطَهرة » أي : من الشرك والباطل . (فيها) أي : في الصحف (كُتُبٌ قَيِّمة) أي : عادلة مستقيمة تُبيِّن الحق من الباطل ، وهي الآيات . قال مقاتل : وإنما قيل لها : كتب لما جَمَعَتْ من أمورٍ شتّى .

— ٤/١٩١٥عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأُبيّ بن كعب : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا) » قال : وسماني ؟ قال : « نعم » فبكى ، ورواه أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وغيرهم . وتخصيص هذه السورة بالذكر يقتضي اختصاصها وامتيازها ، لما اشتملت عليه من التوحيد ، والرسالة ، والاخلاص ، والصحف والكتب المنزلة على الأنبياء ، وذكر الصلاة ، والزكاة ، والمعاد ، وبيان أهل الجنة والنار ، مع وجازتها .

قوله تعالى : (وما تَفَرَّق الذين أوتوا الكتـاب) يعني : من لم يؤمن منهم (إلا من بعد ما جاءتهم البَيِّنة) وفيها ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها محمد ﷺ . والمعنى : لم يزالوا مجتمعين على الإيمان به حتى بُعِث ، قاله الأكثرون .

والثاني : القرآن ، قاله أبو العالية .

والثالث : ما في كتبهم من بيان نُبُوَّتِهِ ، ذكره الماوردي . وقال الزجاج : وما تَفَرَّقوا في كفرهم بالنبيِّ إلا من بعد أن تَبَيَّنوا أنه الذي وُعِدُوا به في كُتُبِهم [1] .

---

(١) روى أبو داود في « سننه » رقم (٤٥٩٧) عن معاوية بن أبي سفيان أنه قـام فقال : ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال : « ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة » ورواه أحمد في « المسند » ١٠٢/٤ من حديث معاوية ، وأبو داود في « سننه » رقم (٤٥٩٦) من حديث أبي هريرة ، والترمذي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . وهو حديث صحيح لطرقه . وروى مسلم في « صحيحه » رقم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء ، فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه » .

وروى مسلم في « صحيحه » ١٩٧/١٧ بشرح النووي عن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من ـــ

قوله تعالى : (وما أُمروا) أي : في كتبهم (إلا ليعبدوا الله) أي : إلا أن يعبدوا الله . قال الفراء : والعرب تجعل اللام في موضع « أن » في الأمر والإرادة كثيراً ، كقوله تعالى : (يريد الله ليبين لكم) [النساء : ٢٦] ، و (يريدون ليطفئوا نور الله) [الصف : ٨] . وقال في الأمر (وأُمِرنا لنسلم) [الأنعام : ٧١].

— أهل الكتاب ... » الحديث قال النووي : المراد بهذا المقت والنظر : ماقبل بعثة رسول الله ﷺ ، والمراد ببقايا أهل الكتاب : الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل .

فمن أدرك من أهل الكتاب محمداً ﷺ خاتم النبيين وآمن به ، فذلك يؤتى أجره مرتين ، وقد روى مسلم في « صحيحه » رقم (١٥٤) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة يؤتَون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي (يعني نفسه ﷺ) فآمن به واتبعه وصدَّقه فله أجران ... » الحديث . ومن أدرك محمداً ﷺ من أهل الكتاب ولم يؤمن فهو كافر بلا شك ولا ريب ، لأن الانبياء المتقدمين عليه ﷺ كموسى وعيسى عليهما السلام أخذوا العهد والميثاق على أقوامهم إن أدركوا محمداً ﷺ أن يؤمنوا به ، وبشروا بمجيئه ، فمن أدركه ولم يؤمن به فقد كفر بمحمد وعيسى وموسى ، لأنه كذب أقوالهم . وقد روى مسلم في « صحيحه » رقم (١٥٣) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديّ ولانصرانيّ ثم يموت ولم يؤمن بي الا كان من أصحاب النار » . ولذلك قال تعالى في آخر هذه السورة (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية) أي الخليقة ، لكفرهم وعنادهم . وذكر عن الذين أدركوا محمداً ﷺ من أهل الكتاب والمشركين فآمنوا به وسلكوا شريعته أنهم خير البرية ، لأنهم آمنوا بخاتم الأنبياء والمرسلين ، وصدقوا الأنبياء المتقدمين .

قوله تعالى : (مخلصين له الدين) أي : موحِّدين لايعبدون سواه (حُنَفَاءَ) على دين إبراهيم [١] (ويقيموا الصلاة) المكتوبة في أوقاتها (ويؤتوا الزكاة) عند وجوبها (وذلك) الذي أُمروا به هو (دين القَيِّمة) قال الزجاج : أي دين الأمة القيِّمة بالحق . ويكون المعنى : ذلك الدِّينُ دِين الملة المستقيمة [٢] .

قوله تعالى : (أولئك هم خير البرية) قرأ نافع ، وابن ذكوان عن ابن عامر بالهمز بالكلمتين . وقرأ الباقون بغير همز فيهما . قال ابن قتيبة : البريّة : الخلق . وأكثر العرب والقراء على ترك همزها لكثرة ما جرت على الألسنة ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة . ومن الناس من يزعم أنها مأخوذة من بَرَيْتُ العود ، ومنهم من يزعم أنها من البَرَى وهو التراب [أي خلق من التراب ، وقالوا : لذلك لايهمز ، وقال الزجاج : لو كان من البَرَى وهو التراب] [٣] لما قرنت بالهمز ، وإنما اشتقاقها من بَرَأَ الله الخلق . وقال الخطابي : أصل البرِّية الهمز ، إلا أنهم اصطلحوا على ترك الهمز فيها . وما بعده ظاهر إلى قوله تعالى : (رضي الله عنهم) قال مقاتل : رضي الله عنهم بطاعتهم (ورضُوا عنه) بثوابه . وكان بعض السلف يقول : إذا كنت لا ترضى عن الله ، فكيف تسأله الرضى عنك ؟!

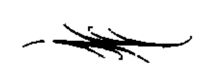
---

(١) قال القرطبي : أي : مائلين عن الأديان كلها إلى دين الاسلام .

(٢) قال ابن كثير : وقد استدل كثير من الأئمة ، كالزهري ، والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الايمان ، ولهذا قال : (وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .

(٣) زيادة سقطت من الأصل ، واستدركناها من النسخة الاستنبولية .

قوله تعالى : (ذلك لمن خشي ربه) أي : خافه في الدنيا ، وتناهى عن معاصيه [1] .



(١) قال ابن جرير الطبري : وقوله : (ذلك لمن خشي ربه) يقول تعالى ذكره : هذا الخير الذي وصفته ووعدته الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم القيامة (لمن خشي ربه) يقول : لمن خاف الله في الدنيا في سرّه وعلانيته ، بأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه .

وقال ابن كثير : وقوله تعالى : (ذلك لمن خشي ربه) أي هذا الجزاء حاصل لمن خشي الله واتقاه حق تقواه ، وعبده كأنه يراه ، وعلم أنه إن لم يره فإنه يراه .

سورة الزلزلة

وفيها قولان :

أحدهما : أنها مدنية ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، ومقاتل ، والجمهور .

والثاني : مكية ، قاله ابن مسعود ، وجابر ، وعطاء .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا . يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا . بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا . يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا . لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

قوله تعالى : (إذا زُلْزِلت الأرض زِلْزالها) أي : حُرِّكت حركةً شديدةً ، وذلك عند قيام الساعة . وقال مقاتل : تتزلزل من شدة صوت إسرافيل حتى يَنْكَسِرَ كلُّ ما عليها من شدة الزّلزلة ولا تسكن حتى تلقيَ ما على ظهرها من جبل ، أو بناء ، أو شجر ، ثم تتحرك وتضطرب ، فتُخْرِج ما في جوفها .

وفي وقت هذه الزلزلة قولان .

أحدهما : تكون في الدنيا ، وهي من أشراط الساعة ، قاله الأكثرون .

والثاني : أنها زلزلة يوم القيامة ، قاله خارجة بن زيد في آخرين . قال الفراء : حدثني محمد بن مروان ، قال : قلت للكلبي : أرأيتَ قول الله تعالى : (إذا زلزلت الأرض زلزالها) ؟ فقال : هذه بمنزلة قوله تعالى : (ويخرجكم إخراجاً) [نوح : ١٨] فأضيف المصدر إلى صاحبه ، وأنت قائل في الكلام : لَأُعطينَّكَ عَطِيَّتَكَ ، تريد عطية [١] . والزِّلزال بالكسر المصدر ، وبالفتح : الاسم . وقد قرأ أبو العالية ، وأبو عمران ، وأبو حيوة الجحدري « زَلزالها » بفتح الزاي .

قوله تعالى : (وأخرجت الأرض أثقالها) فيه قولان .

أحدهما : ما فيها من الموتى ، قاله ابن عباس [٢] .

والثاني : كنوزها ، قاله عطية . وجمع الفراء بين القولين ، فقال : لفظت ما فيها من ذهب ، أو فضة ، أو ميت

---

(١) الذي في القرطبي : أي : عطيتي لك .

(٢) قال ابن كثير : قاله غير واحد من السلف ، وهذه كقوله تعالى : (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) وكقوله : (وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت) . وروى مسلم في « صحيحه » رقم (١٠١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل فيقول : في هذا قَتَلْتُ ، ويجيء القاطع فيقول : في هذا قَطعتُ رحمي ، ويجيء السارق فيقول : في هذا قُطِعَتْ يدي ، ثم يَدَعُونَه فلا يأخذون منه شيئاً » .

قوله تعالى : (وقال الإنسان مالها) فيه قولان .

أحدهما : أنه اسم جنس يعم الكافر والمؤمن ، وهذا قول من جعلها من أشراط الساعة ، لأنها حين ابتدأت لم يعلم الكلُّ أنها من أشراط الساعة ، فسأل بعضهم بعضاً حتى أيقنوا .

والثاني : أنه الكافر خاصة ، وهذا قول من جعلها زلزلة القيامة ، لأن المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها ، والكافر جاحد لها لأنه لايؤمن بالبعث ، فلذلك يسأل .

قوله تعالى : (يومئذ تُحَدِّثُ أخبارها) قال الزجاج : « يومئذ » منصوب بقوله تعالى : (إذا زلزلت) (وأخرجت) ففي ذلك اليوم تحدِّث بأخبارها ،أي : تخبر بما عمل عليها . وفي حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول : عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا [1] .

قوله تعالى : (بأنَّ ربَّك أوحى لها) قال الفراء : تحدِّث أخبارها بوحي الله وإذنه لها . قال ابن عباس : أوحى لها ، أي : أوحى إليها ، وأذن لها أن

---

(١) رواه الترمذي في « سننه » ٢/١٧١ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وفي آخره « فهذه أخبارها » ورواه أحمد في « المسند » والحاكم في « المستدرك » ٢/٥٣٣ وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقد أورده السيوطي في « الدر » ٦/٣٨٠ وزاد نسبته لعبد بن حميد ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في « شعب الايمان » عن أبي هريرة رضي الله عنه . وللحديث شاهد عند الطبراني من رواية ربيعة الجرشي .

تخبر بما عمل عليها . وقال أبو عبيدة : «لها» بمعنى «إليها»[1] . قال العجَّاج :

وَحَى[2] لها القَرَارَ فاستَقَرَّتِ[3]

قوله تعالى : (يومئذ يَصْدُرُ النَّاس) أي : يرجعون عن موقف الحساب (أشتاتاً) أي : فِرَقاً . فأهل الإيمان على حدةٍ وأهل الكفر على حِدة (ليُرَوْا أعمالهم) وقرأ أبو بكر الصديق ، وعائشة ، والجحدري : «لِيَرَوا» بفتح الياء . قال ابن عباس : أي ليروا جزاء أعمالهم . فالمعنى : أنهم يرجعون عن الموقف فرقاً لينزلوا منازلهم من الجنة والنار . وقيل : في الكلام تقديم وتأخير ، تقديره : تُحَدِّث أخبارها بأن ربَّك أوحى لها ليروا أعمالهم يومئذ يصدر الناس اشتاتاً . فعلى هذا : يرون ما عملوا من خير أو شر في موقف العَرْضِ (فمن يعمل مثقال ذرة) قال المفسرون : من يعمل في الدنيا مثقال ذرة من الخير أو الشر يره[4] وقرأ أبان

---

(١) قال ابن كثير : قال البخاري : أوحى لها ، وأوحى إليها ، ووحى لها ، ووحى إليها ، واحدٌ .

(٢) كذا في القرطبي و «اللسان» ، وروايته في «مجاز القرآن» و «البحر» و «روح المعاني» أوحى ، وكلاهما صواب .

(٣) الرجز في «مجاز القرآن» ٢/٣٠٦ والقرطبي ٢٠/١٤٩ ، و «البحر» ٨/٥٠١ ، و «روح المعاني» ٣٠/١٠ ، و «اللسان» وحى .

(٤) روى البخاري في «صحيحه» ٨/٥٥٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل سِتْر ، وعلى رجل وِزْر ، فأما الذي له أجر ، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة ، فما أصابت في طيلها (أي حبلها الطويل) ذلك في المرج والروضة كان له حسنات ، ولو أنها قطعت في طيلها فاستنَّتْ —

عن عاصم « يُرَه » بضم الياء في الحرفين . وقد بَيَّنَّا معنى « الذَّرَّة » في سورة [النساء : ٤٠] وفي معنى هذه الرؤية قولان .

أحدهما : أنه يراه في كتابه .

والثاني: يرى جزاءه .وذكر مقاتل: أنها نزلت في رجلين كانا بالمدينة ، كان أحدهما يستقلُّ أن يعطيَ السائل الكِسْرة ، أو التمرة . وكان الآخر يتهاون بالذَّنب اليسير ، فأنزل الله عز وجل هذا يُرَغِّبُهم في القليل من الخير ، ويُحَذِّرهم اليسير من الشر[1] .

* * *

ـــ (عَدَتْ) شَرَفاً أو شرفين (شوطاً أو شوطين) كانت آثارها وأرواثها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي : كان ذلك حسنات له ، فهي لذلك الرجل أجر ، ورجل ربطها تغنّياً وتعففاً ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها ، فهي له سِتْر ، ورجل ربطها فخراً ورياء ، ونِواء (عداوة لأهل الاسلام) فهي على ذلك وِزْر ، فسئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر ، (أي عن صدقتها) قال : ماأنزل الله عليَّ فيها إلا هذه الآية الفاذَّة (المنفردة) الجامعة (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره) . ورواه مسلم في « صحيحه » بأطول منه ٢/٦٨٠ ، ٦٨١ .

(١) ذكر سبب النزول هذا الواحدي في « أسباب النزول » ٣٤٠ والبغوي في « التفسير » عن مقاتل بغير سند ، وذكره ابن كثير في التفسير من رواية ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير ، وابن لهيعة صدوق خلط بعد احتراق كتبه ، وعطاء بن دينار ، صدوق ، إلا أن روايته عن سعيد بن جبير من صحيفته ، وسعيد بن جبير أرسله .

سورة العاديات

وفيها قولان :

أحدهما : أنها مكية ، قاله ابن مسعود ، وعطاء ، وعكرمة ، وجابر .

والثاني : مدنية ، قاله ابن عباس ، وقتادة ، ومقاتل .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْعَادِيَاتِ ضَبْحاً . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً . فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً . فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً . إنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ . وَإِنَّهُ عَلَى ذٰلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ . أَفَلاَ يَعْلَمُ إذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَافِي ٱلصُّدُورِ . إنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ﴾

قوله تعالى : (والعاديات) فيه قولان :

أحدهما : أنها الإبل في الحج ، قاله علي ، وابن مسعود ، وعبيد بن عمير ، والقرظي ، والسدي . وروي عن علي أنه قال : « والعاديات ضبحاً » من عرفة إلى المزدلفة ، ومن المزدلفة إلى منى . وروي عن علي أنه قال هذا في صفة وقعة بدر . قال : وما كان معنا يومئذ إلا فرس . وفي بعض الحديث أنه كان معهم فرسان .

والثاني : أنها الخيل في سبيل الله ، قاله ابن عباس ، والحسن ، وعطاء ، ومجاهد ، وأبو العالية ، وعكرمة ، وقتادة ، وعطية ، والربيع ، واللغويون[١] .
وكان ابن عباس يذهب إلى أن هذا كان في سريّة ، فروى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث خيلاً ، فلم يأته خبرها شهراً ، فنزلت « والعاديات ضبحاً » ضبحت بمناخرها (فالموريات قدحاً) قدحت بحوافرها الحجارة فأورت ناراً (فالمغيرات صبحاً) صبحت القوم بغارة (فأثرن به نقعاً) أثارت بحوافرها التراب (فوسطن به جمعاً) قال : صبحت الحي جميعاً[٢] . وقال مقاتل : بعث رسول الله ﷺ سريّة إلى حَيَّيْن من كنانة واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصاري ، فأبطأ عنه خبرها ، فجعل اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ تناجَوْا ، فيظن الرجل أنه قد قُتِلَ أخوه أو أبوه ، أو عمه ، فيجد من ذلك حزناً ، فنزلت : « والعاديات ضبحاً » فأخبر الله كيف

---

(١) قال البغوي : هذا قول أكثر المفسرين . وقال القرطبي : كذا قال عامة المفسرين وأهل اللغة .

(٢) رواه الواحدي في « أسباب النزول » ٣٤١ ، وفي سنده حفص بن جميع ، وهو ضعيف . قال ابن كثير : وقد روى أبو بكر البزار هاهنا حديثاً غريباً جداً ... فذكره وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٤٢/٦ من رواية البزار ، وقال : فيه حفص بن جميع ، وهو ضعيف . وأورده السيوطي في « الدر » ٣٨٣/٦ وزاد نسبته لابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والدارقطني في « الأفراد » وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنها .

فعل بهم[١] . قال الفراء : الضبح : أصوات أنفاس الخيل إذا عدَوْنَ . وقال ابن قتيبة : الضبح : صوت حلوقها إذا عدَتْ . وقال الزجاج : ضبحها : صوت أجوافها إذا عدَتْ .

قوله تعالى : (فالموريات قَدْحاً) فيه خمسة أقوال

أحدها : أنها الخيل تُوري النار بحوافرها إذا جرت ، وهذا قول الجمهور[٢] . قال الزجاج : إذا عدت الخيل بالليل ، فأصابت بحوافرها الحجـــارة ، انقدحت منها النيران .

والثاني : أنها نيران المجاهدين إذا أوقدت ، روي عن ابن عباس .

والثالث : مَكْرُ الرجال في الحرب ، قاله مجاهد ، وزيد بن أسلم[٣] .

والرابع : نيران الحجيج بالمزدلفة ، قاله القرظي .

والخامس : أنها الألسنة إذا ظهرت بها الحجج وأقيمت بها الدلائل على الحق وفضح بها الباطل ، قاله عكرمة .

---

(١) هذا خبر منقطع ، ومقاتل توفي سنة ١٥٠ هـ . بينه وبين رسول الله ﷺ مفاوز ، والحديث ذكره الطبرسي في « مجمع البيان » مصدراً إياه بقوله : قيل : بعث رسول الله ﷺ سرية ... فذكره ، ولم يعزه لأحد ، وذكره القرطبي وصدره بقوله : وروي أن رسول الله ﷺ بعث سرية ... فذكره ، ولم يعزه لأحد . وكذلك الآلوسي في « روح المعاني » والله أعلم بصحته .

(٢) ورجحه الطبري .

(٣) تقول العرب إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه : أما والله لأورين لك بزند وارٍ ، ولأقدحنَّ لك .

قوله تعالى : (فالمغيرات صبحاً) هي التي تغير على العَدُوّ عند الصباح ، هذا قول الأكثرين . وقال ابن مسعود : فالمغيرات صبحاً حين يُفيضون من جمع .

قوله تعالى : (فأثَرْنَ به) قال الفراء : يريد بالوادي ولم يذكره قبل ذلك ، وهذا جائز ، لأن الغبار لايثار إلا من موضع . والنقع : الغبار ، ويقال : التراب . وقال الزجاج : المعنى : فأثرن بمكان عَدْوِهِنَّ ، ولم يتقدم ذكر المكان ، ولكن في الكلام دليل عليه (فوسطن به جمعاً) قال المفسرون : المعنى : توسطن جمعاً من العدو ، فأغارت عليهم . وقال ابن مسعود : فوسطن به جمعاً ، يعني مزدلفة .

قوله تعالى : (إن الإنسان لربه لكنود) هذا جواب القسم . والإنسان هاهنا : الكافر . قال الضحاك : نزلت في الوليد بن المغيرة ، وقال مقاتل : نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي .

وفي « الكَنُود » ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الذي يأكل وحده ، ويمنع رِفْده[1] ، ويضرب عبده ، رواه أبو أُمامة عن رسول الله ﷺ[2] .

---

(١) الرفد ، بكسر الراء : العطاء والصلة .

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٢٧٨/٣٠ وفي سنده جعفر بن الزبير ، وهو متروك الحديث ، وذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن الزبير ، وقال : هو متروك ، فهذا إسناد ضعيف . وقال الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٤٢/٦ : رواه —

والثاني : أنه الكفور ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك .

والثالث : لوّام لِرَبّه يَعُدُّ المصيبات[١] ، وينسى النِّعَم ، قاله الحسن . قال ابن قتيبة : والأرض الكنود : التي لاتُنْبِتُ شيئاً .

قوله تعالى : (وإنه على ذلك لشهيد) في هاء الكناية قولان .

أحدهما : أنها ترجع إلى الله عز وجل ، [تقديره][٢] : وإن الله على كفره لشهيد .

والثاني : أنها ترجع إلى الإنسان ، فتقديره : إن الإنسان شاهد على نفسه أنه كنود ، روي القولان عن ابن عاس .

قوله تعالى : (وإنه) يعني : الإنسان (لحبّ الخير) يعني : المال (لشديدٌ) .

وفي معنى الآية قولان .

أحدهما : وإنه من أجل[٣] حُبّ المال لبخيلٌ ، هذا قول الحسن ، وابن قتيبة ،

ــ الطبراني بإسنادين ، في أحدهما جعفر بن الزبير ، وهو ضعيف ، وفي الآخر من لاأعرفه . وقال السيوطي في « الدر » ٣٨٤/٦ : أخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وابن مردويه ، والبيهقي ، وابن عساكر ، بسند ضعيف عن أبي أمامة ... فذكره ، ورواه الطبري ٢٧٨/٣٠ من حديث حريز بن عثمان عن حمزة بن هانىء عن أبي أمامة موقوفاً عليه .

(١) وفي النسخة الاستنبولية ، والطبري ، والقرطبي : المصائب .

(٢) زيادة من النسخة الاستنبولية .

(٣) في الاصل : من أحب ، وهو خطأ ، والتصحيح من النسخة الاستنبولية ، ومن الطبري .

والزجاج . قال أبو عبيدة : ويقال للبخيل : شديد ، ومُتَشَدِّدٌ . قال طرفة :

أَرَى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ ويَصْطَفِي   عَقِيلَةَ مَالِ البَاخِلِ المُتَشَدِّدِ [1]

والثاني : وإنه للخير لشديد الحبِّ ، وهذا اختيار الفراء . قال : فكأن الكلمة لمَّا تقدم فيها الحب ، وكان موضعه أن يضاف إليه « شديد » ، حذف الحبّ من آخره لما جرى ذكره في أوله ، ولرؤوس الآي . ومثله (اشتدت به الريح في يوم عاصف) [إبراهيم : ١٨] فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم طرحت من آخره .

قوله تعالى : (أفلا يعلم) يعني : الإنسان المذكور (إذا بُعْثِرَ ما في القبور) أي : أُثير وأُخرج (وحُصِّل ما في الصدور) أي : مُيِّز واستُخرج . والتحصيل : تميز مايحصل . وقال ابن عباس : أُبرز ما فيها وقال ابن قتيبة : مُيِّزَ ما فيها من الخير والشر . وقال أبو سليمان الدمشقي : المعنى : لو علم الإنسان الكافر ما له في ذلك اليوم لزهد في الكفر ، وبادر إلى الإسلام . ثم ابتدأ فقال تعالى : (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) وقال غيره : إنما قرئت « إن » بالكسر لأجل اللام ، ولولاها كانت مفتوحة بوقوع العلم عليها .

---

(١) « مختار الشعر الجاهلي » ٣١٨/١ من «معلقته» ، و « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ٣٠٨/٢ ، والطبري ٢٧٩/٣٠ ، والقرطبي ١٦٢/٢٠ ، و « شواهد الكشاف » ٣٩ . ومعنى يعتام الكرام : أي يختارهم ، والعقيلة من كل شيء : أكرمه ، يقول : أرى الموت يختار كرام الناس وصفوة مال البخلاء ، أي : يأخذ النفيس الذي يضن به ، كما يأخذ الحقير فلا يبقي شيئاً .

فإن قيل : أليس الله خبيراً بهم في كل حال ، فلم خص ذلك اليوم ؟

فالجواب أن المعنى : أنه يجازيهم على أفعالهم يومئذ ، ومثله (أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم) [النساء : ٦٣] ، ومعناه : يجازيهم على ذلك ، ومثله : (يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء) [غافر : ١٦] .

* * *

سورة القارعة

وهي مكية بإجماعهم

قد ذكرنا تفسير فاتحتها في أول « الحاقة » .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْقَارِعَةُ . مَا ٱلْقَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ . فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ . وَمَا أَدْرَٰكَ مَاهِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾

قوله تعالى : (يومَ يكون النَّاس) اليوم منصوب على الظرف . المعنى : يكون يوم يكون الناس (كالفراش المبثوث) وفيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه غوغاء الجراد ، قاله الفراء . قال ابن قتيبة : غوغاء الجراد : صغاره ، ومنه قيل لعامة الناس : غوغاء [1] .

---

(١) قال في « اللسان » : أصل الغَوْغاء : الجراد حين يخف للطيران ، ثم استعير للسُّفلة من الناس والمتسرّعين إلى الشر ، ويجوز أن يكون الغوغاء : الصوت والجَلَبة ، لكثرة لغطهم وصياحهم .

والثاني : أنه طير ليس ببعوض ولا ذِبَّان ، قاله أبو عبيدة [١] .

والثالث : أنه ماتهافت في النار من البعوض ، قاله ابن قتيبة . وكذلك قال الزجاج : ما يُرى كصغار البَقّ يتهافت في النار . وشَبَّه الناس في وقت البعث به وبالجراد المنتشر ، لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم في بعض . وذكر الماوردي : أن هذا التشبيه للكفار ، فهم يتهافتون في النار يوم القيامة تَهَافُتَ الفراش [٢] .

فأما « المبثوث » فهو المنتشر والمتفرّق .

قوله تعالى : (وتكون الجبال كالعهن) وقد شرحناه في (سأل سائل : ٩) و « المنفوش » الذي قد ندف . قال مقاتل : وتصير الجبال كالصوف المندوف . فإذا رأيت الجبل قلت : هذا جبل : فإذا مسسته لم تر شيئاً ، وذلك من شِدَّة الهَوْل .

---

(١) في « مجاز القرآن » لأبي عبيدة : طير ، لا بعوض ولا ذُبّاب ، بالباء . ويجمع الذباب على ذِبّان ، قال في « التاج » : والذُّباب : معروف ، وهو الأسود الذي يكون في البيوت يسقط في الإناء والطعام ، وقال الدميري في « حياة الحيوان » سمي ذُباباً ، لكثرة حركته واضطرابه ، أو لأنه كلما ذُبّ آبَ ، والذُّباب أيضاً : النحل . والواحدة من ذباب الطعام : ذُبابة ، بهاء ، ولا تقل : ذِبّانة ، وقال في ذباب النحل ، لايقال : ذُبابة ، والصواب : ذُباب ، وهو واحد . وفي « التهذيب » واحد الذِّبّان : ذُباب بغير هاء ، قال : ولا يقال : ذبابة ، وفي التنزيل : (وإن يسلبهم الذباب شيئاً) فسروه للواحد . والجمع : أذبة ، مثل غراب وأغربة ، وذِبّان بالكسر مثل غِرْبان .

(٢) روى مسلم في « صحيحه » رقم (٢٢٨٥) عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً ، فجعل الجنادب (كالجراد) والفراش يَقَعْنَ فيها وهو يذُبهن عنها ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلّتون من يدي » .

قوله تعالى : (فأما من ثقلت موازينه) ، أي : رجحت بالحسنات ، وقد بيّنّا هـــذه الآية في أول (الأعراف : ٨) وبيّنّا معنى « عيشة راضية » في [الحاقة : ٢١] .

قوله تعالى : (فأُمُّه هاوية) ، وقرأ ابن مسعود ، وطلحة بن مصرف ، والجحدري « فإمه » بكسر الهمزة . وفيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أمُّ رأسه هاوية ، يعني : أنه يهوي في النار على رأســـه ، هذا قول عكرمة ، وأبي صالح .

والثاني : أنها كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قالوا : هَوَتْ أمُّه ، قاله قتادة .

والثالث : أن المعنى : فمسكنُه النار . وإنما قيل لمسكنه : أمُّه ، لأن الأصل السكون إلى الأُمَّهات . والنَّارُ لهذا كالأُمِّ ، إذ لا مأوى له غيرها ، هـذا قول ابن زيد ، والفراء ، وابن قتيبة ، والزجاج ، ويدل على صحة هذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : إذا مات العبـــد تلقى رُوحَه أرواحَ المؤمنين ، فتقول له [1] : ما فعل فلان ؟ فإذا قال : مات ، قالوا : ذُهِبَ به إلى أمِّه الهاوية ، فَبِئْسَتِ الأُمُّ ، وبِئستِ المربِّيَة [2] .

---

(١) في « الدر » ٦/٣٨٥ من رواية الحاكم : فيقولون له .

(٢) رواه بهذا اللفظ الحاكم في « المستدرك » ٢/٥٣٣ عن الحسن مرسلاً ، وأورده السيوطي في « الدر » ٦/٣٨٥ من رواية ابن مردويه عن أنس بن مالك مرفوعاً بنحوه ، وبأطول منه من رواية ابن مردويه أيضاً عن أبي أيوب الأنصاري مرفوعاً . والله أعلم بصحة سنده . وقد ذكره القرطبي بمعناه عن أبي هريرة مرفوعاً ، ولم يعزه لأحـــد . ورواه ابن جرير الطبري موقوفاً على الأشعث بن عبد الله الأعمى . وذكره السيوطي أيضاً في « الدر » ٦/٣٨٥ من رواية ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري موقوفاً عليه بأطول منه .

قوله تعالى : (وما أدراك ماهِيَهْ) يعني : الهاوية . قرأ حمزة ، ويعقوب « ماهي » بحذف الهاء الأخيرة في الوصل ، وإثباتها في الوقف . وقرأ الباقون بإثباتها في الحالين . قال الزجاج : الهاء في « هيه » دخلت في الوقف ، لتبيين فتحة الياء ، فالوقف « هيه » والوصل هي نار . والذي يجب اتباعُ المصحف . والهاء فيه ثابتة فتوقف عليها ، ولا توصل « نار حامية » أي : حارّة قد انتهى حرها [1] .

* * *

(١) روى البخاري في « صحيحه » ٦/٢٣٨ ومسلم في « صحيحه » رقم (٢٨٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ناركم هذه التي يُوقِد ابنُ آدم ، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، قالوا : والله إن كانت لكافيةً يارسول الله ، قال : « فإنها فُضِّلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلُّها مثل حرها » واللفظ لمسلم .

وروى البخاري ٦/٢٣٨ ومسلم رقم (٦١٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اشتكت النار إلى ربها ، فقالت : يارب أكل بعضي بعضاً ، فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف ، فهو أشد ماتجدون من الحر ، وأشد ماتجدون من الزمهرير » . واللفظ لمسلم . وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة ، فإن شدة الحر من فيح جهنم » واللفظ لمسلم . وفيح جهنم : سطوع حرها وانتشاره وغليانها .

سورة التكاثر

وفي سبب نزولها قولان .

أحدهما : أن اليهود قالوا : نحن أكثر من بني فلان ، وبنو فلان أكثر من بني فلان ، فألهاهم ذلك حتى ماتوا ضُلاَّلاً ، فنزلت هذه فيهم ، قاله قتادة[1] .

والثاني : أن حيين من قريش : بني عبد مناف ، وبني سهم كان بينهما لِحَاءٌ[2] ، فقال هؤلاء : نحن أكثرُ سيِّداً ، وأعزُّ نفراً . وقال أولئك مثل هذا ، فتعادُّوا السادةَ والأشراف أيهم أكثر ، فكثَّرهم بنو عبد مناف ، ثم قالوا : نعدُّ موتانا ، فزاروا القبور ، فعدُّوا موتاهم ، فكثَّرهم بنو سهم ،

---

(١) ذكر سبب النزول هذا الواحدي في « أسباب النزول » ٣٠١ عن قتادة بغير سند ، وكذا ذكره البغوي في التفسير، وذكره القرطبي عن مقاتل وقتادة بغير سند . ورواه الطبري ٢٨٣/٣٠ من طريق سعمر عن قتادة (ألهاكم التكاثر) قالوا : نحن أكثر من بني فلان ، وبنو فلان أكثر من بني فلان ، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً ، ولم يذكر أنهم اليهود . ورواه بنحوه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة . وأورده السيوطي في « الدر » ٣٨٧/٦ وزاد نسبته لعبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٢) أي منازعته . قال في « اللسان » : ولاحيتُه ملاحاةً ولِحَاءً : إذا نازعته ، قال : واللَّحاء ممدود : الملاحاة كالسِّباب ، ولاحى الرجلَ ملاحاةً ولِحَاءً : شاتمه ، وتلاحى الرجلان: تشاتما . ولاحى فلان فلاناً ملاحاة ولِحَاءً : إذا استقصى عليه . قال : واللَّحاء : اللعن ، واللحاء : العذل .

لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية ، فنزلت هذه فيهم قاله ابن السائب ، ومقاتل[١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلْهَـٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ . حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ . ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾

---

(١) ذكر سبب النزول هذا البغوي في التفسير عن مقاتل والكلبي بغير سند ، والكلبي هو محمد بن السائب النسابة المفسّر ، متهم بالكذب ، وقد ضعفه غير واحد ، وكذلك ذكره القرطبي وأبو حيان والآلوسي عن ابن عباس ومقاتل والكلبي بغير سند ، وأورده ابن كثير في التفسير من رواية ابن أبي حاتم من طريق صالح بن حيان عن ابن بريدة قال : نزلت في قبيلتين من الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا ، فقالت إحداهما : فيكم مثل فلان بن فلان وفلان ؟ وقال الآخرون مثل ذلك ، تفاخروا بالأحياء ، ثم قالوا : انطلقوا بنا إلى القبور ، فجعلت إحدى الطائفتين تقول : فيكم مثل فلان ؟ يشيرون إلى القبور ، ومثل فلان ، وفعل الآخرون مثل ذلك ، فأنزل الله : (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) . وصالح ابن حيان القرشي الكوفي ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر في « التقريب » . قال ابن كثير : والصحيح أن المراد بقوله : (زرتم المقابر) أي صرتم إليها ودفنتم فيها ، كما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ دخل على رجل من الأعراب يعوده فقال : « لابأس طهور إن شاء الله » فقال : قلتَ : « طهور » بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور ، قال : « فنعم إذن » . والآية عامة في كل من ألهته دنياه عن آخرته .

قوله تعالى : (ألهاكم) وقرأ أبو بكر الصِّدِّيق ، وابن عباس ، والشعبي ، وأبو العالية ، وأبو عمران ، وابن أبي عبلة : « أألهاكم » بهمزتين مقصورتين على الاستفهام . وقرأ معاوية ، وعائشة « آلهاكم » بهمزة واحدة ممدودة استفهاماً أيضاً . ومعنى ألهاكم : شغلكم عن طاعة الله وعبادته . وفي المراد بالتكاثر ثلاثة أقوال .

أحدها : التكاثر بالأموال والأولاد ، قاله الحسن .

والثاني : التفاخر بالقبائل والعشائر ، قاله قتادة .

والثالث : التشاغل بالمعاش والتجارة ، قاله الضحاك .

وفي قوله تعالى : (حتى زرتم المقابر) قولان .

أحدهما : حتى أدرككم الموت على تلك الحال ، حضرتم في المقابر زُوَّاراً ترجعون منها إلى منازلكم من الجنة أو النار ، كرجوع الزائر إلى منزله .

والثاني : حتى زرتم المقابر فعَدَدْتم من فيها من موتاكم [١] .

---

(١) روى مسلم في « صحيحه » رقم (٢٩٥٨) عن مطرف عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ (ألهاكم التكاثر) ، قال : « يقول ابن آدم : مالي ، مالي (قال) وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » . وروى مسلم أيضاً رقم (٢٩٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يقول العبد : مالي ، مالي ، إنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فاقتنى (ادخره لآخرته) وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس » . وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » .

قوله تعالى : (كلا) قال الزجاج : هي ردع وتنبيه . والمعنى : ليس الأمر الذي ينبغي أن يكونوا عليه التكاثر .

قوله تعالى : (سوف تعلمون) عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت . وقيل : العلم الأول : يقع عند نزول الموت . والثاني : عند نزول القبر .

قوله تعالى : (كلا لو تعلمون علم اليقين) المعنى : لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لَشغَلَكم ما تعلمون عن التكاثر ، والتفاخر . وجواب « لو » محذوف : وهو ما ذكرنا . ثم أوعدهم وعيداً آخر فقال تعالى : (لَتَرَوُنَّ الجحيم) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة « لتَرون » « ثم لتَرونها » بفتح التاء . وقرأ مجاهد ، وعكرمة ، وحميد ، وابن أبي عبلة « لتُرون » « لتُرونها » بضم التاء فيهما من غير همز (ثم لَتَرَوُنَّها عين اليقين) أي : مشاهدة ، فكان المراد بـ « عين اليقين » نفسه ، لأن عين الشيء : ذاته .

قوله تعالى : (ثم لتسألُنَّ يومئذ عن النعيم) اختلفوا ، هل هذا السؤال عام ، أم لا ؟ على قولين .

أحدهما : أنه خاص للكفار ، قاله الحسن .

والثاني : عام ، قاله قتادة [1] .

---

(١) والصحيح أن السؤال عام ، ولكن سؤال الكافر سؤال توبيخ ، لأنه ترك الشكر ، وسؤال المؤمن سؤال تشريف ، لأنه شكر . قال ابن جرير الطبري : (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) يقول : ثم ليسألنكم الله عز وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا : ماذا عملتم فيه ؟ ومن أين وصلتم إليه ؟ وفيم أصبتموه ؟ وماذا عملتم به ؟ . وقال ابن كثير : (ثم لتسألن ـــ

وللمفسرين في المراد بالنعيم عشرة أقوال .

أحدها : أنه الأمن والصحة ، رواه ابن مسعود عن النبي ﷺ [١] ، وتارة يأتي موقوفاً عليه [٢] ، وبه قال مجاهد والشعبي .

والثاني : أنه الماء البارد ، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ [٣] .

— يومئذ عن النعيم) أي : ثم لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك ، ما إذا قابلتم نعمه من شكره وعبادته . وروى الترمذي عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لاتزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيم فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه » ورواه الترمذي من حديث ابن مسعود وهو حديث حسن بشواهده .

(١) ذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم من طريق إبراهيم بن موسى عن محمد بن سليمان بن الأصبهاني عن ابن أبي ليلى أظنه عن عامر الشعبي عن ابن مسعود . ومحمد بن سليمان الأصبهاني ، صدوق يخطىء ، وابن أبي ليلى ، صدوق سيء الحفظ ، وعامر الشعبي يرسل عن ابن مسعود . فالحديث ضعيف ، وذكره السيوطي في « الدر » ٣٨٨/٦ وزاد نسبته لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ، وابن مردويه عن ابن مسعود .

(٢) رواه الطبري ٢٨٦/٣٠ من طريق خالد الزيات عن ابن أبي ليلى عن عامر الشعبي عن ابن مسعود موقوفاً عليه . وفي سنده ضعف ، وأورده السيوطي في « الدر » ٣٨٨/٦ وزاد نسبته لعبد بن حميد ، وهناد ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في « شعب الايمان » عن ابن مسعود .

(٣) رواه الترمذي ١٧١/٢ والطبري ٢٨٨/٣٠ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة — يعني العبد من النعيم — أن يقال له : ألم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد ؟ » وقال : هذا حديث غريب ، وأورده السيوطي في « الدر » ٣٨٨/٦ وزاد نسبته لأحمد في زوائد الزهد ، وعبد بن حميد ، وابن حبان ، وابن مردويه ، والبيهقي في « شعب الايمان » .

والثالث : أنه الخبز البُرّ والماء العَذْبُ ، قاله أبو أمامة .

والرابع : أنه ملاذ المأكول والمشروب ، قاله جابر بن عبد الله .

والخامس : أنه صحة الأبدان [١] ، والأسماع ، والأبصار ، قاله ابن عباس . وقال قتادة : هو العافية .

والسادس : أنه الغداء والعشاء ، قاله الحسن .

والسابع : الصحة والفراغ ، قاله عكرمة [٢] .

---

(١) روى ابن جرير الطبري عن ابن عباس قال : النعيم : صحة الأبدان ، والأسماع ، والأبصار ، قال : يسأل الله العباد فيم استعملوها ، وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله : (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) . وذكره السيوطي في « الدر » ٣٨٧/٦ وزاد نسبته لابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في « شعب الايمان » عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) روى البخاري في « صحيحه » ١٩٦/١١ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : « نعمتان مغبون فيها كثير من الناس : الصحة والفراغ » . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ١٩٧/١١ : وقوله في الحديث : « مغبون فيهما كثير من الناس » كقوله تعالى : (وقليل من عبادي الشكور) فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في الآية ، ونقل عن ابن بطال أن معنى الحديث : أن المرء لايكون فارغاً حتى يكون مكفياً صحيح البدن ، فمن حصل له ذلك ، فليحرص على أن لايغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه ، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، فمن فرط في ذلك فهو المغبون . قال ابن حجر : وأشار بقوله : « كثير من الناس » إلى أن الذي يوفق لذلك قليل . ونقل عن ابن الجوزي قوله : قد يكون الانسان صحيحاً ولا يكون متفرغاً لشغله بالمعاش ، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً ، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون ، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة ، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة ، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون ، لأن الفراغ يعقبه الشغل ، والصحة يعقبها السقم .

والثامن : كل شيء من لذة الدنيا ، قاله مجاهد [١] .

والتاسع : أنه إنعام الله على الخلق بإرسال محمد ﷺ ، قاله القرظي .

والعاشر : أنه صنوف النعم ، قاله مقاتل .

والصحيح أنه عام في كل نعيم ، وعام في جميع الخلق ، فالكافر يسأل توبيخاً إذا لم يشكر المنعم ، ولم يوحِّده . والمؤمن يسأل عن شكرها . وفي الحديث عن النبي ﷺ قال : يقول الله تعالى : « ثلاث لا أسأل عبدي عن شكرهن وأسأله عما سوى ذلك ، بيت يُكِنُّه ، وما يقيم به صلبه من الطعام ، وما يواري به عورته من اللباس » [٢] .

---

(١) وقول مجاهد هذا يشمل جميع الأقوال المتقدمة .

(٢) ذكره السيوطي في « الدر » ٦/٢٩١ من رواية عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ، عن الحسن مرسلاً ، وهو ضعيف في المرفوع ، ورواه الطبري في « تفسيره » ٣٠/٢٨٩ بنحوه عن الحسن وقتادة من كلامهما ، ولم يذكره في المرفوع . وروى مسلم في « صحيحه » رقم (٢٠٣٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال : « ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ » قالا : الجوع يارسول الله ، قال : « وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما ، قوموا » فقاموا معه ، فأتى رجلاً من الأنصار ، فإذا هو ليس في بيته ، فلما رأته المرأة قالت : مرحباً وأهلاً ، فقال لها رسول الله ﷺ : « أين فلان ؟ » قالت : ذهب يستعذب لنا من الماء ، إذ جاء الأنصاري ، فنظر إلى رسول الله وصاحبيه ثم قال : الحمد لله ما أحدٌ اليومَ أكرمَ أضيافاً مني ، قال : فانطلق فجاءهم بعذق (غصن) فيه بُسر وتمر ورُطَب ، فقال : كلوا من هذه ، وأخذ المُدية (السكين) فقال له رسول الله ﷺ : « إياك والحلوب ! » فذبح لهم . فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق ، وشربوا ، فلما أن شبعوا ورَوُوا ، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : « والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم » .

سورة العصر

وفيها قولان .

أحدهما : مكية ، قاله ابن عباس ، وابن الزبير ، والجمهور .

والثاني : مدنية ، قاله مجاهد ، وقتادة ، ومقاتل .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْعَصْرِ . إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ ﴾

قوله تعالى : (والعصر) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الدهر ، قاله ابن عباس ، وزيد بن أسلم ، والفراء ، وابن قتيبة . وإنما أقسم بالدهر لأن فيه عبرة للناظر من مرور الليل والنهار على تقدير لا ينخرم .

والثاني : أنه العشي ، وهو مابين زوال الشمس وغروبها ، قاله الحسن وقتادة .

والثالث : صلاة العصر ، قاله مقاتل [١] .

قوله تعالى : (إن الإنسان لفي خسر) قال الزجاج : هو جواب القسم . والإنسان هاهنا بمعنى الناس ، كما تقول : كثر الدرهم في أيدي الناس ، تريد الدراهم . والخسر والخسران في معنى واحد . قال أهل المعاني : الخسر : هلاك رأس المال أو نقصه . فالإنسان إذا لم يستعمل نفسه فيما يوجب له الربح الدائم ، فهو في خسران ، لأنه عمل في إهلاك نفسه ، وهما أكبر رأس ماله (إلا الذين آمنوا) أي : صدَّقوا الله ورسوله ، وعملوا بالطاعة (وتَواصَوْا بالحق) أي : بالتوحيد ، والقرآن ، واتباع الرسول (وتواصَوْا بالصبر) على طاعة الله ، والقيام بشريعته . وقال إبراهيم في تفسير هذه السورة : إن الإنسان إذا عُمِّر في الدنيا لفي نقص وضعف ، إلا المؤمنين ، فإنهم يكتب لهم أجور أعمالهم التي كانوا يعملون في شبابهم وصحَّتهم [٢] .

---

(١) أقسم سبحانه وتعالى بصلاة العصر لفضلها ، وهي الصلاة الوسطى عند الجمهور ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر » متفق عليه ، ولقوله ﷺ : « من فاتته صلاة العصر فكأنما وُتِر أهله وماله » رواه مسلم . والأعم من ذلك أن الله تعالى أقسم بالزمان الذي تقع فيه أعمال بني آدم من خير وشر قاله ابن كثير .

(٢) قال الإمام الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم. وذلك لما فيها من المراتب التي باستكمالها يحصل للشخص غاية كماله : إحداها : معرفة الحق ، والثانية : عمله به ، والثالثة : تعليمه من لا يحسنه ، والرابعة : صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه .

سورة الهمـــزة

وهي مكية بإجماعهم

قال هبة الله المفسر[١] : وقد قيل : إنها مدنية . واختلف المفسرون هل نزلت في حق شخص بعينه ، أم نزلت عامة ؟ على قولين .

أحدهما : نزلت في حق شخص بعينه .

ثم فيه ستة أقوال .

أحدها : الأخنس بن شريق ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال السدي ، وابن السائب .

والثاني : العاص بن وائل السهمي ، قاله عروة .

والثالث : جميل بن عامر ، قاله ابن أبي نجيح .

والرابع : الوليد بن المغيرة ، قاله ابن جريج ، ومقاتل .

والخامس : أمية بن خَلَف ، قاله ابن إسحاق .

والسادس : أُبَيْ بن خلف ، حكاه الماوردي .

---

(١) هو هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي أبو القاسم الضرير المفسّر ، من أهل بغداد ، وبها وفاته ، كانت له حلقة في جامع المنصور ، له مؤلفات ، منها « الناسخ والمنسوخ في القرآن » مطبوع ، توفي رحمه الله (سنة ٤١٠ هـ) .

والقول الثاني : أنها نزلت عامة لا في شخص بعينه ، قاله مجاهد[1] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ . الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ . يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ . كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ . وَمَا أَدْرٰكَ مَا الْحُطَمَةُ . نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ . الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ . إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ . فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾

قوله تعالى : (ويل لكل هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) اختلفوا في الهُمَزَة واللُّمَزَة هل هما بمعنى واحد ، أم مختلفان ؟ على قولين .

أحدهما : أنهما مختلفان . ثم فيهما سبعة أقوال .

أحدها : أن الهُمَزَة : المُغتَاب ، واللُّمَزَة : العيَّاب ، قاله ابن عباس .

والثاني : أن الهُمَزَة : الذي يهمز الإنسان في وجهه . واللُّمَزَة : يَلْمِزُه إذا أدبر عنه ، قاله الحسن ، وعطاء ، وأبو العالية .

والثالث : أن الهُمَزَة : الطعَّان في الناس ، واللُّمَزَة : الطعَّان في أنساب الناس ، قاله مجاهد .

---

(٢) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله عم بالقول كل همزة لمزة ، كل من كان بالصفة التي وصف هذا الموصوف بها ، سبيله سبيله كائناً من كان من الناس .

والرابع : أن الهُمَزَة : بالعين ، واللُّمَزَة : باللسان ، قاله قتادة .

والخامس : أن الهُمَزَة : الذي يهمز الناس بيده ويضربهم ، واللُّمَزَة : الذي يَلْمِزهم بلسانه ، قاله ابن زيد .

والسادس : أن الهُمَزَة : الذي يهمز بلسانه ، واللُّمَزَة : الذي يلمز بعينه ، قاله سفيان الثوري .

والسابع : أن الهُمَزَة : المغتاب ، واللُّمَزَة : الطاعن على الإنسان في وجهه ، قاله مقاتل .

والقول الثاني : أن الهُمَزَة : العَيَّاب الطعان ، واللُّمَزَة مثله . وأصل الهمز واللمز : الدفع ، قاله ابن قتيبة ، وكذلك قال الزجاج : الهُمَزَة اللُّمَزَة : الذي يغتاب الناس ويَغُضُّهم[1] . قال الشاعر :

إذا لَقِيتُكَ عَنْ كُرْهٍ تُكَاشِرُني وإن تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الهَامِزَ اللُّمَزَه[2]

قوله تعالى : (الذي جمع مالاً) قرأ أبو جعفر ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف ، وروح : « جَمَّع » بالتشديد . والباقون بالتخفيف .

قوله تعالى : (وعَدَّده) قرأ الجمهور بتشديد الدال . وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي ، والحسن ، وابن يعمر بتخفيفها[3] .

---

(١) في الأصل : وبعضهم ، والتصحيح من « اللسان » و « مجاز القرآن » ، والطبري ، والغض : الهمز والعيب .

(٢) تقدم البيت في الجزء الثالث ص ٤٥٥ ، ورواية الشطر الأول : إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة .

(٣) قال ابن جرير الطبري : وقد ذُكر عن بعض المتقدمين باسناد غير ثابت أنه قرأه —

وللمفسرين في معنى الكلام قولان .

أحدهما : أحصى عَدَدَه ، قاله السدي .

والثاني : أَعَدَّه لما يكفيه في السِّنين ، قاله عكرمة . قال الزجاج : من قرأ « عدَّده » بالتشديد ، فمعناه : عدَّده للدهور . ومن قرأ « عَدَدَه » بالتخفيف ، فمعناه : جمع مالاً وَعَدَداً . أي : وقوماً اتخذهم أنصاراً .

قوله تعالى : (يحسب أنَّ ماله أخلده) أخلده بمعنى يخلده ، والمعنى : يظن ماله مانعاً له من الموت ، فهو يعمل عمل من لايظن أنه يموت (كلا) أي : لايخلده ماله ولا يبقى له (لَيُنْبَذَنَّ) أي : لَيُطْرَحَنَّ (في الحطمة) وهو اسم من أسماء جهنم . سميت بذلك لأنها تحطم مايُلقى فيها ، أي: تكسره ، فهي تكسر العظم بعد أكلها اللحم . ويقال للرجل الأكول : إنه لَحُطَمَة . وقرأ أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبد الرحمن ، والحسن ، وابن أبي عبلة ، وابن محيصن : « لينبذانّ » بألف ممدودة ، وبكسر النون ، وتشديدها ، أي : هو وماله .

قوله تعالى : (التي تَطَّلع على الأفئدة) أي : تأكل اللحم والجلود حتى تقع على الأفئدة فتحرقها . قال الفراء : يبلغ ألمها الأفئدةَ . والاطِّلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى واحد ، والعرب تقول : متى طلعتَ أرضنا ؟ أي : بلغتَ . وقال ابن قتيبة : تَطَّلع على الأفئدة ، أي : توفي عليها وتشرف . وخص الأفئدة ،

– (جمع مالاً وَعَدَده) بتخفيف الدال ، بمعنى : جمع مالاً ، وجمع عشيرته وعدده ، قال : وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها ، بخلافها قراءة الأمصار ، وخروجها عما عليه الحجة مجمعة في ذلك .

لأن الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبه ، فأخبر أنهم في حال من يموت ، وهم لايموتون . وقد ذكرنا تفسير « المؤصدة » في سورة (البلد : ٢٠) .

قوله تعالى : (في عَمَدٍ) قرأ حمزة ، وخلف ، والكسائي ، وعاصم إلا حفصاً بضم العين ، وإسكان الميم . قال المفسرون : وهي أوتاد الأطباق التي تطبق على أهل النار . و « في » بمعنى الباء . والمعنى : مطبَقة بعُمُدٍ . قال قتادة : وكذلك هو في قراءة عبد الله . وقال مقاتل : أطبقت الأبواب عليهم ، ثم شُدَّت بأوتادٍ من حديد ، حتى يرجع عليهم غَمُّها وحرُّها . و « ممدَّدة » صفة العُمُد ، أي : أنها ممدودة مطوّلة ، وهي أرسخ من القصيرة . وقال قتادة : هي عُمُدٌ يعذَّبون بها في النار[1] . وقال أبو صالح : « في عَمَدٍ مُمَدَّدة » قال : القيود الطوال .



(١) واختار هذا القول الطبري في تفسيره .

سورة الفيل

مكية بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾

قوله تعالى : (ألم تر) فيه قولان .

أحدهما : ألم تُخبَرْ ، قاله الفراء .

والثاني : ألم تَعلَم ، قاله الزجاج . ومعنى الكلام معنى التعجب . وأصحاب الفيل هم الذين قصدوا تخريب الكعبة .

وفي سبب قصدهم لذلك قولان .

أحدهما : أن أبرهة بنى بيعةً[1] وقال : لست منتهياً حتى أضيف إليها حَجَّ العرب ، فسمع بذلك رجل من بني كنانة ، فخرج ، فدخلها ليلاً ، فأحدث فيها ، فبلغ ذلك أبرهة ، فحلف ليسيرنَّ إلى الكعبة فيهدِمَها ، قاله ابن عباس .

---

(١) البِيعة بكسر الباء : كنيسة النصارى ، وقيل : كنيسة اليهود ، والجمع : بِيَع .

والثاني : أن قوماً من قريش خرجوا في تجارة إلى أرض النجاشي فنزلوا في جنب بيعةٍ ، فأوقدوا ناراً ، وشَوَوْا لحماً ، فلما رَحَلُوا هبَّت الرِّيح ، فاضطرم المكان ناراً ، فغضب النجاشي لأجل البِيَعة ، فقال له كبراء أصحابه — منهم حجر بن شراحيل ، وأبو يكسوم — : لاتحزن ، فنحن نهدِم الكعبة ، قاله مقاتل . وقال ابن إسحاق : أبو يكسوم اسمه أبرهة بن الأشرم . وقيل : وزيره ، وحِجْر من قُوَّادِه .

ذكر الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أن أبرهة لما سار بجنوده إلى الكعبة ليهدِمها خرج معه بالفيل ، فلما دنا من مكة أمر أصحابه بالغارة على نَعَم الناس ، فأصابوا إبلاً لعبد المطلب ، وبعث بعض جنوده ، فقال : سل عن شريف مكة ، وأخبره أني لم آتِ لقتال ، وإنما جئت لأهدِم هذا البيت ، فانطلق حتى دخل مكة ، فلقيَ عبد المطلب بن هاشم ، فقال : إن الملك أرسلني إليك لأخبركَ أنه لم يأتِ لقتال إلا أن تقاتلوه ، إنما جاء لهدم هذا البيت ، ثم ينصرف عنكم ، فقال عبد المطلب : ماله عندنا قتال ، وما لنا به يد ، إنا سنخلي بينه وبين ما جاء له ، فإن هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ، فإن يمنعه ، فهو بيته وحرمه ، وإن يخلِّ بينه وبين ذلك ، فوالله ما لنا به قوة . قال : فانطلق معي إلى الملك ، فلما دخل عبد المطلب على أبرهة أعظمه ، وكرمه ، ثم قال لترجمانه : قل له : ما حاجتك إلى الملك ؟ فقال له الترجمان ، فقال : حاجتي أن يردَّ عليَّ مائتي بعير أصابها . فقال أبرهة لترجمانه :

قل له : لقد كنت أعجبتني حين رأيتك ، ولقد زهدت الآن فيك ، جئت إلى بيت هو دينك لأهدمه ، فلم تكلّمني فيه ، وكلّمتني لإبل أصبتُها . فقال عبد المطلب : أنا ربُّ هذه الإبل ، ولهذا البيت ربٌّ سيمنعه . فأمر بإبله فَرُدَّت عليه ، فخرج ، فأخبر قريشاً ، وأمرهم أن يتفرّقوا في الشعاب ورؤوس الجبال خوفاً من معَرَّة الجيش إذا دخل ، ففعلوا ، فأتى عبد المطلب الكعبة ، فأخذ بحلقة الباب ، وجعل يقول :

يَارَبِّ لا أَرْجُو لهم سِوَاكَا ... يَارَبِّ فَامْنَعْ مِنْهُمُ حِمَاكَا

إنَّ عَدُوَّ البيت مَنْ عَادَاكَا ... إمْنَعْهُمُ أنْ يُخرِبُوا قُرَاكَا

وقال أيضاً :

لَاهُمَّ[1] إنَّ المرْءَ يمْـ ... ـنَعُ رَحْلَه فامنع حِلَالَكْ[2]

لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... وَمِحَالُهم غَدْواً مِحَالَكْ[3]

---

(١) لاهم : أصلها : اللهم ، والعرب تحذف الألف واللام منها وتكتفي بما بقي ، كما تقول : لاه أبوك ، وهي تريد : لله أبوك ، وكما قالوا أيضاً : أجنك تفعل كذا وكذا ، أي : من أجل أنك تفعل كذا وكذا . والحِلال : بكسر الحاء جمع حلة ، وهي جماعة البيوت ، ويريد هنا : القوم الحلول ، والحِلال أيضاً : متاع البيت ، وجائز أن يكون هذا المعنى الثاني مراداً هنا .

(٢) البيت في الأصل :

لاهم إن المرء يمنع رحله وحلاله فامنع حلالك

وهو خطأ ، والتصحيح « من سيرة ابن هشام » وكتب التفسير .

(٣) غَدْواً ، أي غداً ، وهو اليوم الذي يأتي بعد يومك ، فحذفت لامه ، ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر . والمِحال بكسر الميم : القوة والشدة .

جَرُّوا جميعَ بلادهم والفيلَ كي يَسْبُوا عِيَالَكْ
عَمِدُوا حِمَاكَ بكيدِهِم جهلاً وما رَقَبُوا جَلاَلَكْ
إنْ كنتَ تاركهم وكَعْـ ـبَتَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكْ

ثم إن أبرهة أصبح متهيئاً للدخول ، فبرك الفيل ، فبعثوه فأبى ، فضربوه ، فأبى ، فوجَّهوه إلى اليمن راجعاً ، فقام يهرول ، ووجَّهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، وإلى المشرق ففعل مثل ذلك ، فوجَّهوه إلى الحرم ، فأبى ، فأرسل الله طيراً من البحر .

واختلفوا في صفتها ، فقال ابن عباس : كانت لهم خراطيم كخراطيم الطير ، وأكفّ كأكفّ الكلاب . وقال عكرمة : كانت لها رؤوس كرؤوس السباع . وقال ابن إسحاق : كانت أمثال الخطاطيف .

واختلفوا في ألوانها على ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها كانت خضراء ، قاله عكرمة ، وسعيد بن جبير .

والثاني : سوداء ، قاله عبيد بن عمير .

والثالث : بيضاء ، قاله قتادة . قال : وكان مع كل طير ثلاثة أحجار ، حَجَرانِ في رجليه ، وحجر في منقاره .

واختلفوا في صفة الحجارة فقال بعضهم : كانت كأمثال الحمص والعدس . وقال عبيد بن عمير : بل كان الحجر كرأس الرجل والجمل ، فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم ، فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك . وكان الحجر يقع على رأس الرجل ، فيخرج من دبره . وقيل : كان على كل حجر اسم الذي وقع عليه ،

فهلكوا ولم يدخلوا الحرم ، وبعث الله على أبرهـــة داء في جسده ، فتساقطت أنامله ، وانصدع صدره قطعتين عن قلبه ، فهلك ، ورأى أهل مكة الطير وقد أقبلت من ناحية البحر ، فقال عبد المطلب : إن هذه الطير غريبة . ثم إن عبد المطلب بعث ابنه عبد الله على فرس ينظر إلى القوم ، فرجع يركض ويقول : هلك القوم جميعاً ، فخرج عبد المطلب وأصحابه فغنموا أموالهم . وقيل : لم ينج من القوم إلا أبو يكسوم ، فسار ، وطائر يطير من فوقه ، ولا يشعر بـه حتى دخل على النجاشي ، فأخبره بما أصاب القوم ، فلما أتم كلامه رماه الطائر فمات ، فأرى الله تعالى النجاشي كيف كان هلاك أصحابه[1] .

واختلفوا كم كان بين مولد رسول الله ﷺ وبين هذه القصة على ثلاثة أقوال .

أحدها : أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل ، وهو الأصح[2] .

---

(١) ذكر الخبر بنحوه البغوي من رواية ابن اسحاق عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس . وفي سنده جهالة . ومن رواية الواقدي . والله أعلم .

قال ابن كثير : هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آنافهم وخيب سعيهم وأضل عملهم وردهم بشر خيبة ، وكانوا قوماً نصارى ، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان ، ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ ، فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ، ولسان حال القدر يقول : لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم ، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي محمد صلوات الله عليه وسلامه على خاتم الأنبياء .

(٢) قال ابن كثير : ولد في ذلك العام على أشهر الأقوال .

والثاني : كان بينهما ثلاث وعشرون سنة ، قاله أبو صالح عن ابن عباس .

والثالث : أربعون سنة ، حكاه مقاتل .

قوله تعالى : (ألم يجعل كيدهم) وهو ما أرادوا من تخريب الكعبة (في تضليل) أي : في ذهاب . والمعنى : أن كيدهم ضلّ عما قصدوا له ، فلم يصلوا إلى مرادهم (وأرسل عليهم طيراً أبابيل) .

وفي « الأبابيل » خمسة أقوال .

أحدها : أنها المتفرّقة من هاهنا وهاهنا ، قاله ابن مسعود ، والأخفش .

والثاني : أنها المتابعة التي يتبع بعضها بعضاً ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، ومقاتل .

والثالث : الكثيرة ، قاله الحسن ، وطاووس .

والرابع : أنها الجمع بعد الجمع ، قاله عطاء ، وأبو صالح ، وكذلك قال أبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والزجاج : « الأبابيل » : جماعات في تفرقة .

والخامس : المختلفة الألوان ، قاله زيد بن أسلم . قال الفراء ، وأبو عبيدة : « الأبابيل » لا واحد لها .

قوله تعالى : (ترميهم) قرأ أبو عبد الرحمن السلمي « يرميهم » بالياء . وقد بينا معنى « سجّيل » في (هود : ٨٢) ومعنى « العصف » في سورة (الرحمن : ١٢) عز وجل .

وفي معنى « مأكول » ثلاثة أقوال .

أحدها : أن يكون أراد أنه أخذ ما فيه من الحب فأكل ، وبقي هو لا حب فيه .

والثاني : أن يكون أراد أن العصف مأكول البهائم ، كما يقال للحنطة : هذا المأكول ولمَّا يؤكل . وللماء : هذا المشروب ولمَّا يشرب ، يريد أنهما مما يؤكل ويشرب ، ذكرهما ابن قتيبة .

والثالث : أن المأكول هاهنا : الذي وقع فيه الأُكال . فالمعنى : جعلهم كَوَرَقِ الزَّرْعِ الذي جَفَّ وأكل : أي : وقع فيه الأُكال ، قاله الزجاج .



سورة قريش

ويقال لها : سورة لإيلاف

وفيها قولان .

أحدهما : مكية ، قاله الجمهور .

والثاني : مدنية ، قاله الضحاك ، وابن السائب .

واختلف القراء في « لإيلاف » فقرأ ابن عامر « لإلاف » بغير ياء بعد الهمزة ، مثل : لعلاف . وقرأ أبو جعفر بياء ساكنة من غير همز . وروى حماد بن أحمد عن الشموني بهمزتين مخففتين ، الأولى : مكسورة ، والثانية : ساكنة على وزن لعِعْلاف . وقرأ الباقون بهمزة بعدها ياء ساكنة ، مثل لعيلاف [1] .

وفي لام « لإيلاف » ثلاثة أقوال .

أحدها : موصولة بما قبلها ، المعنى : فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش ، أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش . وماقد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف [هذا قول الفراء والجمهور .

---

(١) قال ابن جرير الطبري : والصواب من القراءة في ذلك عندي من قرأه (لإيلاف قريش إيلافهم) باثبات الياء فيها بعد الهمزة من آلفت الشيء أولفه إيلافاً ، لاجماع الحجة من القراء عليه .

والثاني : أنها لام التعجُّب ، كأن المعنى : اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف][1] ، وتركهم عبادة رب هذا البيت، قاله الأعمش ، والكسائي.

والثالث : أن معناها متصل بما بعدها . المعنى : فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، لأنهم كانوا في الرحلتين آمنين ، فإذا عَرَض لهم عارض قالوا : نحن أهل حرم الله فلا يُتَعرَّض لهم ، قال الزجاج : وهذا الوجه قول النحويين الذين ترتضى أقوالهم . وقال ابن قتيبة : بعض الناس يذهب إلى أن هذه السورة وسورة الفيل واحدة ، وأكثر الناس على أنهما سورتان ، وإن كانتا متصلتي الألفاظ[2] . والمعنى : ان قريشاً كانت بالحرم آمنة من الأعداء . والحرم وادٍ جديب لا زرع فيه ولا شجر ، وإنما كانت قريش تعيش فيه بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة ، رحلة في الشتاء ، ورحلة في الصيف إلى الشام . ولولا هاتان الرحلتان لم يكن به مقام . ولولا أنهم بمجاورة البيت لم يقدروا على التصرف ، فلما قصد أصحاب الفيل هدم الكعبة أهلكهم الله لتقيم قريش بالحرم ، فذكَّرهم الله نعمته بالسورتين . والمعنى : أنه أهلك أُولئك ليؤلِّف قريشاً هاتين

---

(١) زيادة سقطت من الأصل ، واستدركناها من النسخة الاستنبولية . وصوب ابن جرير هذا القول ، وقال : ذلك لاجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان .

(٢) قال ابن كثير : هذه السورة منفصلة عن التي قبلها في المصحف الامام ، كتبوا بينهما سطر « بسم الله الرحمن الرحيم » وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن اسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، لأن المعنى عندهما : حبسنا عن مكة الفيل ، وأهلكنا أهله لإيلاف قريش ، أي لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين .

الرحلتين اللتين بها[1] معاشهم ، ومقامهم بمكة . تقول : ألفت موضع كذا : إذا لزمته ، وألفنيه الله ، كما تقول : لزمت موضع كذا وكذا ، وألزمنيه الله ، وكرر « لايلاف » للتوكيد ، كما تقول : أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانة عن كل الناس . قال الزجاج : يقال : ألفت المكان الفاً ، وآلفته إيلافاً بمعنى واحد .

وأما قريش فهم ولد النضر بن كنانة ، وكل من لم يلده النضر فليس بقرشي. وقيل : هم من ولد فهر بن مالك بن النضر ، فمن لم يلده فهر فليس بقرشي . وإنما سموا قريشاً لتجارتهم وجمعهم المال . والقرش : الكسب . يقال : هو يقرش لعياله ، ويقترش ، أي : يكتسب . وقد سأل معاوية ابن عباس رضي الله عنهم : لم سميت قريش قريشاً ؟ فقال ابن عباس : بدابة تكون في البحر يقال لها : القريش لاتمر بشيء من الغثّ[2] والسمين إلا أكلته . وأنشد :

وقريش هي التي تَسْكُنُ البحـ ـرَ بها سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشَا[3]

وقال ابن الأنباري : قال قوم : سُمُّوا قريشاً بالاقتراش ، وهو وقوع الرِّماح بعضها على بعض . قال الشاعر :

ولما دَنَا الرَّاياتُ واقْتَرَشَ القَنَا وَطَارَ مَعَ القَوْمِ القُلُوبُ الرَّوَاجِفُ

---

(١) في الأصل : التي بها .

(٢) الغثّ : الرديء من كل شيء .

(٣) البيت في البغوي ٧ / ٢٤٧ استشهد به ابن عباس ونسبه للجمحي ، وهو في « الدر المنثور » ٦/٣٩٨ وروح البيان ٣٠/٢٣٩ ، وأورده القرطبي ونسبه إلى تبع .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلافِ قُرَيْشٍ . إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَاءِ وَٱلصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾

قوله تعالى : (إيلافهم) قرأ أبو جعفر وابن فليح عن ابن كثير ، والوليد ابن عتبة عن ابن عامر ، والتغلبي عن ابن ذكوان ، عنه « إلافهم » بهمزة مكسورة من غير ياء بعدها ، مثل : علافهم . وروى الخزاعي عن ابن فليح ، وأبان ابن تغلب عن عاصم « إلفهم » بسكون اللام أيضاً . ورواه الشموني إلا حماداً بهمزتين مكسورتين بعدهما ياء ساكنة ، ورواه حماد كذلك إلا أنه حذف الياء . وقرأ الباقون بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة مثل « عيلافهم » . وجمهور العلماء على أن الرّحلتين كانتا للتجارة ، وكانوا يخرجون إلى الشام في الصيف ، وإلى اليمن في الشتاء لشدة برد الشام . وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانوا يشتون بمكة ، ويصيفون بالطائف . قال الفراء : والرحلة منصوبة بإيقاع الفعل عليها .

قوله تعالى : (فليعبدوا ربّ هذا البيت) أي : ليوحِّدوه (الذي أطعمهم من جوع) أي : بعد الجوع ، كما تقول : كسوتك من عُرْي ، وذلك أن الله تعالى آمَنَهم بالحرم ، فلم يُتعرَّض لهم في رحلتهم ، فكان ذلك سبباً لإطعامهم

بعدما كانوا فيه من الجوع . وروى عطاء عن ابن عباس قال : كانوا في ضُرٍّ ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرّحلتين ، فكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى استغنَوْا .

قوله تعالى : (وآمنهم من خوف) وذلك أنهم كانوا آمنين بالحرم ، إن حضروا حماهم ، وإن سافروا قيل : هؤلاء أهل الحرم ، فلا يَعْرِضُ لهم أحد[1] .

* * *

(١) قال ابن كثير : ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال : (فليعبدوا رب هذا البيت) أي : فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً ، كما قال تعالى : (قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين) وقوله تعالى : (الذي أطعمهم من جوع) أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع (وآمنهم من خوف) أي : تفضل عليهم بالأمن والرخص ، فليفردوه بالعبادة وحده لاشريك له ، ولا يعبدوا من دونه صنماً ولا نداً ولا وثناً ، قال : ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ، ومن عصاه سلبها منه ، كما قال تعالى : (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) .

سورة الماعون

ويقال لها : سورة أرأيت

وفيها قولان .

أحدهما : مكية ، قاله الجمهور .

والثاني : مدنية ، روي عن ابن عباس ، وقتادة . وقال هبة الله المفسِّر : نزل نصفها بمكة في العاص بن وائل ، ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أُبيّ المنافق .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ . فَذٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ . وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ . وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾

قوله تعالى : (أرأيت الذي يكذب بالدين) اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على ستة أقوال .

أحدها : نزلت في رجل من المنافقين ، قاله ابن عباس .

والثاني : نزلت في عمرو بن عائذ ، قاله الضحاك .

والثالث : في الوليد بن المغيرة ، قاله السدي .

والرابع : في العاص بن وائل ، قاله ابن السائب .

والخامس : في أبي سفيان بن حرب ، قاله ابن جريج .

والسادس : في أبي جهل ، حكاه الماوردي .

وفي « الدين » أربعة أقوال .

أحدها : أنه حكم الله عز وجل ، قاله ابن عباس .

والثاني : الحساب ، قاله مجاهد ، وعكرمة .

والثالث : الجزاء ، حكاه الماوردي .

والرابع : القرآن ، حكاه بعض المفسرين . و « يَدُعُّ » بمعنى يدفع . وقد ذكرناه في قوله تعالى : (يوم يُدَعُّون إلى نار جهنم) [الطور : ١٣] . والمعنى : أنه يدفع اليتيم عن حقه دفعاً عنيفاً ليأخذ ماله . وقد بينا فيما سبق أنهم كانوا لا يورِّثون الصغير ، وقيل : يدفع اليتيم إبعاداً له ، لأنه لا يرجو ثواب إطعامه (ولا يحض على طعام المسكين) أي : لا يطعمه ، ولا يأمر بإطعامه لأنه مكذِّب بالجزاء .

قوله تعالى : (فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون) نزل هذا في المنافقين الذين لا يرجون لصلاتهم ثواباً ، ولا يخافون على تركها عقاباً . فإن كانوا مع النبي ﷺ صلوا رياء ، وإن لم يكونوا معه لم يصلوا ، فذلك قوله تعالى : (الذين هم يراؤون) وقال ابن مسعود : والله ما تركوها البتَّة ولو تركوها البتة كانوا كفاراً ، ولكن تركوا المحافظة على أوقاتها . وقال ابن عباس : يؤخِّرونها عن وقتها . ونقل عن

أبي العالية أنه قال : هو الذي لايدري عن كم انصرف ، عن شفع ، أو عن وتر . وردّ هذا بعض العلماء فقال : هذا ليس بشيء ، لأن رسول الله ﷺ قد سها في صلاته ، ولأنه قال تعالى : (عن صلاتهم) ولم يقل : في صلاتهم ، ولأن ذلك لايكاد يدخل تحت طوق ابن آدم .

قال الشيخ رحمه الله : قلت : ولا أظن أبا العالية أراد السهو النادر ، وإنما أراد السهو الدائم ، وذلك ينبئنا عن التفات القلب عن احترام الصلاة ، فيتوجّه الذمّ إلى ذلك لا إلى السهو [١] .

وفي « الماعون » ستة أقوال .

أحدها : أنه الإبرة ، والماء ، والنار ، والفأس ، وما يكون في البيت من هذا النحو ، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ [٢] ، وإلى نحوه ذهب ابن مسعود [٣] وابن عباس في رواية . وروى عنه أبو صالح أنه قال : الماعون : المعروف كلّه

---

(١) قال ابن كثير : (فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون) إما عن فعلها بالكلية ، كما قاله ابن عباس ، وإما عن فعلها في الوقت المقدر لها شرعاً فيخرجها عن وقتها بالكلية ، كما قاله مسروق وأبو الضحى ، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً ، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل ذلك كله ، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية .

(٢) قال السيوطي في « الدر » ٦/٤٠٠ : أخرج أبو نعيم ، والديلمي ، وابن عساكر ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله : (ويمنعون الماعون) قال : مايتعاوره الناس بينهم : الفأس ، والقدر ، والدلو وأشباهه .

(٣) قال السيوطي في « الدر » ٦/٤٠٠ : أخرج سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وأبو داود ، والنسائي ، والبزار ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني في « الأوسط » ، وابن مردويه ، والبيهقي في « سننه » من طرق عن ابن مسعود قال : كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عاريّة الدلو ، والقدر ، والفأس ، والميزان وما تتعاطون بينكم .

حتى ذَكَرَ القِدر ، والقصعة ، والفأس . وقال عكرمة : ليس الويل لمن منع هذا ، إنما الويل لمن جمعهن ، فراءى في صلاته ، وسها عنها [١] ، ومنع هذا . قال الزجاج : والماعون في الجاهلية : كل ما كان فيه منفعة كالفأس ، والقدر ، والدلو ، والقداحة ، ونحو ذلك ، وفي الإسلام أيضاً .

والثاني : أنه الزكاة ، قاله علي ، وابن يعمر ، والحسن ، وعكرمة ، وقتادة .

والثالث : أنه الطاعة ، قاله ابن عباس في رواية .

والرابع : المال ، قاله سعيد بن المسيب ، والزهري .

والخامس : المعروف ، قاله محمد بن كعب .

والسادس : الماء ، ذكره الفراء عن بعض العرب [٢] قال : وأنشدني :

يمج صَبيرُهُ الماعونَ صَبّاً [٣]

والصبير : السحاب .

---

(١) في الأصل : وسها هذا ، والتصحيح من النسخة الاستنبولية .

(٢) قال ابن كثير : وقال عكرمة : رأس الماعون : زكاة المال ، وأدناه : المنخل ، والدلو ، والإبرة . رواه ابن أبي احاتم ، قال ابن كثير : وهذا الذي قاله عكرمة حسن ، فإنه يشمل الأقوال كلها ، وترجع كلها إلى شيء واحد ، وهو : ترك المعاونة بمال أو بمنفعة .

(٣) ذكره القرطبي ٢١٤/٢٠ .

سورة الكوثر

وفيها قولان .

أحدهما : مكية ، قاله ابن عباس ، والجمهور .

والثاني : مدنية ، قاله الحسن ، وعكرمة ، وقتادة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾

وفي « الكوثر » ستة أقوال .

أحدها : أنه نهر في الجنة . روى البخاري في أفراده من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : بينا أنا أسير في الجنة [1] إذا بنهر حافتاه قباب

(١) أي ليلة الإسراء ، كما في رواية البخاري في التفسير ٥٦٢/٨ : عن أنس رضي الله عنه قال : لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال : « أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف ، فقلت : ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر » .

الدُّرُّ المُجوَّف . قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك عز وجل ، فإذا طِينُه ، أو طيبه مسك أذفر[١] .

وروى مسلم أيضاً في أفراده من حديث أنس أيضاً قال : أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة[٢] ، ثم رفع رأسه متبسِّماً إما قال لهم ، وإما قالوا له : لِمَ ضَحِكْتَ ؟ فقال : « إنه أُنزل عليَّ الآنَ آنفاً[٣] سورة » فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر) حتى ختمها . وقال : « هل تدرون ما الكوثر ؟ » فقالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير تَرِدُ عليه أُمتي يوم القيامة آنيته عدد كواكب السماء ، يختلج العبد منهم ، فأقول : يارب إنه من أمتي ، فيقال لي : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك[٤] .

والثاني : أن الكوثر : الخير الكثير الذي أُعْطِيَ نبيُّنا ﷺ ، قاله ابن عباس .

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » بهذا اللفظ في كتاب الرقاق ، باب الحوض ٤١٢/١١ وشك الراوي في آخره ، وهو (هدبة بن خالد) في رواية ، « فإذا طينه أو طيبه » قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ٤١٢/١١ : أراد بذلك أن أبا الوليد لم يشك في روايته ، أنه بالنون ، وهو المعتمد . قال : وتقدم في تفسير سورة الكوثر من طريق شيبان عن قتادة : فأهوى الملك بيده فاستخرج من طينه مسكاً أذفر . والأذفر : طيب الريح .

(٢) أي : نام نومة .

(٣) أي : قريباً .

(٤) رواه مسلم في « صحيحه » ٣٠٠/١ ، واللفظ الذي أورده المصنف هنا لفظ أحمد في « المسند » ، ورواية مسلم تختلف يسيراً عن رواية أحمد . قال ابن كثير : وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية ، وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة ، وأنها منزلة معها .

والثالث : العلم والقرآن ، قاله الحسن .

والرابع : النبوة ، قاله عكرمة .

والخامس : أنه حوض رسول الله ﷺ الذي يكثر الناس عليه ، قاله عطاء .

والسادس : أنه كثرة أتباعه ، وأمته ، قاله أبو بكر بن عياش .

قوله تعالى : (فصل لربك) في هذه الصلاة ثلاثة أقوال .

أحدها : صلاة العيد . وقال قتادة : صلاة الأضحى .

والثاني : صلاة الصبح بالمزدلفة ، قاله مجاهد .

والثالث : الصلوات الخمس ، قاله مقاتل .

وفي قوله تعالى : (وانحر) خمسة أقوال .

أحدها : اذبح يوم النحر ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وبه قال عطاء ومجاهد والجمهور .

والثاني : وضع اليمين على اليسرى عند النحر في الصلاة .

والثالث : أنه رفع اليدين بالتكبير إلى النحر ، قاله أبو جعفر محمد بن علي .

والرابع : أن المعنى : صل لله ، وانحر لله ، فإن ناساً يصلون لغيره ، وينحرون لغيره ، قاله القرظي [1] .

---

(١) قال ابن كثير : أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته ، فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة ، ونحرك ، فاعبده وحده لاشريك له ، وانحر على اسمه وحده لاشريك له ، كما قال تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) قال ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، يعني بذلك نحر البدن ونحوها . وكذا قال قتادة ، ومحمد بن —

والخامس : أنه استقبال القبلة بالنحر ، حكاه الفراء [(١)] .

قوله تعالى : (إن شانئك) اختلفوا فيمن عنى بذلك على خمسة أقوال .

أحدها : أنه العاص بن وائل السهمي . قاله ابن عباس : نزلت في العاص ابن وائل ، لقي رسول الله ﷺ على باب المسجد فوقف يحدثه حتى دخل العاص المسجد ، وفيه أناس من صناديد قريش ، فقالوا له : مَن الذي كنتَ تُحَدِّث ؟ قال : ذاك الأبتر ، يعني النبي ﷺ ، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله ﷺ ، وكانوا يسمون من ليس له ابن : أبتر ، فأنزل الله عز وجل هذه السورة . وممن ذهب إلى أنها نزلت في العاص سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وقتادة .

والثاني : أنه أبو جهل ، روي عن ابن عباس أيضاً .

والثالث : أبو لهب ، قاله عطاء .

والرابع : عقبة بن أبي معيط ، قاله شمر بن عطية .

ـ كعب القرظي ، والضحاك ، والربيع ، وعطاء الخراساني ، والحكم ، وسعيد بن أبي خالد ، وغير واحد من السلف ، وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير الله ، والذبح على غير اسمه ، كما قال تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ...) الآية .

(١) قال ابن جرير الطبري : وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال : معنى ذلك : فاجعل صلاتك كلّها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة ، وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان ، شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفء له ، وخصك به من إعطائه إياك الكوثر . قال ابن كثير : وهذا الذي قاله ابن جرير في غاية الحسن ، وقد سبقه إلى هذا المعنى ، محمد بن كعب القرظي ، وعطاء .

والخامس : أنه عنى به جماعة من قريش ، قاله عكرمة [1] . والشانىء : المبغض ، والأبتر : المنقطع عن الخير [2] .



(١) قال ابن كثير : قال البزار : حدثنا زياد بن يحيى الحساني ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش : أنت سيدهم ، ألا ترى إلى الصنبر المنبتر من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة ، وأهل السقاية ، فقال : أنتم خير منه ، فنزلت (إن شانئك هو الأبتر) . قال ابن كثير : هكذا رواه البزار ، وهو إسناد صحيح . وجاء في « اللسان » مادة (صنبر) أصل الصنبور : سعفة تنبت في جذع النخلة ، لا في الارض ، قال أبو عبيدة : الصنبور : النخلة تبقى منفردة ويدق أسفلها وينقشر ، يقال : صنبر أسفل النخلة . .ومراد كفار قريش : أنه إذا قلع انقطع ذِكره كما يذهب أصل الصنبور لأنه لاعقب له . وقال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذِكره أخبر أن مبغض رسول الله ﷺ هو الأقل الأذل المنقطع عقبه ، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس ، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه .

(٢) قال ابن كثير : قال السدي : كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا : بتر ، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا : بتر محمد ، فأنزل الله (إن شانئك هو الأبتر) قال : وهذا يرجع إلى ماقلناه من أن الأبتر : الذي إذا مات ، انقطع ذِكره ، فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذِكره ، وحاشا وكلا ، بل قد أبقى ذِكره على رؤوس الأشهاد ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمراً على دوام الآباد ، إلى يوم الحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد .

سورة الكافرون (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ . لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَاعَبَدْتُمْ . وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

وفيها قولان .

أحدهما : مكية ، قاله ابن مسعود ، والحسن ، والجمهور .

والثاني : مدنية ، روي عن قتادة .

ذكر سبب نزولها . اختلفوا على ثلاثة أقوال .

أحدها : أن رهطاً من قريش منهم الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود بن عبد يغوث لقوا العباس بن عبد المطلب ، فقالوا : يا أبا الفضل : لو أن ابن أخيك أسلم بعض آلهتنا لصدقناه بما يقول ولآمنا بالاهه ، فأتاه العباس فأخبره ، فنزلت هذه السورة ، رواه أبو صالح عن ابن عباس .

(١) ويقال لها أيضاً : المقشقشة ، أي : المبرئة من النفاق .

والثاني : أن عتبة بن ربيعة ، وأميّة بن خلَف لقيا رسول الله ﷺ فقالا يا محمد : لاندعك حتى تتبع ديننا ، ونتبع دينك ، فإن كان أمرنا رشداً كنتَ قد أخذتَ بحظّك منه ، وإن كان أمرك رشداً كنا قد أخذنا بحظنا منه ، فنزلت هذه السورة ، قاله عبيد بن عمير .

والثالث : أن قريشاً قالوا للنبي ﷺ : إن سَرَّك أن نتبع دينك عاماً ، وترجع إلى ديننا عاماً ، فنزلت هذه السورة ، قاله وهب . قال مقاتل في آخرين : نزلت هذه السورة في أبي جهل وفي المستهزئين ، ولم يبق[1] من الذين نزلت فيهم أحد[2] . وأما قوله تعالى : (لا أَعْبُدُ) فهو في موضع « مَنْ » ولكنه جعل مقابلاً لقوله تعالى : (ما تعبدون) وهي الأصنام . وفي تكرار الكلام قولان .

أحدهما : لتأكيد الأمر ، وحسم أطماعهم فيه ، قاله الفراء . وقد أنعمنا[3] شرح هذا في سورة [الرحمن : ١٣] .

---

(١) في النسخة الاستنبولية : ولم يؤمن .

(٢) قال ابن كثير : هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون ، وهي آمرة بالإخلاص فيه ، فقوله تعالى : (قل يا أيها الكافرون) يشمل كل كافر على وجه الأرض ، ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش . وقيل : إنهم من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة ، ويعبدون معبوده سنة ، فأنزل الله هذه السورة ، وأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية .

(٣) أي : زدنا ، يقال : أنعم أن يحسن أو يسيء ، أي : زاد ، وأنعم فيه : بالغ وفعل كذا ، وأنعم أي : زاد . ويقال : أنعم النظر في الشيء : إذا أطال الفكرة فيه .

والثاني : أن المعنى : (لا أعبد ما تعبدون) في حالي هذه (ولا أنتم) في حالكم هذه (عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم) فيما أستقبل ، وكذلك أنتم ، فنفى عنه وعنهم ذلك في الحال والاستقبال ، وهذا في قوم بأعيانهم ، أعلمه الله عز وجل أنهم لايؤمنون ، كما ذكرنا عن مقاتل ، فلا يكون حينئذ تكراراً ، هذا قول ثعلب ، والزجاج [1] . وقوله تعالى : (لكم دينكم ولي دين) فتح ياء « وليَ » نافع ، وحفص ، وأبان عن عاصم . وأثبت ياء « ديني » في الحالين يعقوب . وهذا منسوخ عند المفسرين بآية السيف [2] .

---

(١) قال ابن كثير : وثَمّ قول نصره أبو العباس ابن تيمية في بعض كتبه ، وهو أن المراد بقوله : (لا أعبد ماتعبدون) نفي الفعل ، لأنها جملة فعلية (ولا أنتم عابدون ما أعبد) نفي قبوله لذلك بالكلية ، لأن النفي بالجملة الاسمية آكد ، فكأنه نفى الفعل وكونه قابلًا لذلك ، ومعناه : نفي الوقوع ، ونفي الامكان الشرعي أيضاً ، قال ابن كثير : وهو قول حسن أيضاً ، والله أعلم .

(٢) قال ابن كثير : إن العابد لابد له من معبود يعبده ، وعبادة يسلكها إليه ، فالرسول ﷺ وأتباعه يعبدون الله بما شرعه ، ولهذا كان كلمة الاسلام : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أي لامعبود إلا الله ، ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول ﷺ ، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ، ولهذا قال لهم الرسول ﷺ : (لكم دينكم ولي دين) كما قال تعالى : (وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) وقال : (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) .

وقد ثبت في « صحيح مسلم » عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة و (قل هو الله أحد) في ركعتي الطواف ، وفي « صحيح مسلم » أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قرأ بها في ركعتي الفجر (أي في سنة الفجر) .

سورة النصر

وهي مدنية بإجماعهم

وفي أفراد مسلم من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت جميعاً [١] .

---

(١) روى مسلم في « صحيحه » رقم (٣٠٢٤) عن عبيد الله بن عتبة ، قال : قال لي ابن عباس : تعلم (وقال هارون : تدري) آخر سورة نزلت من القرآن ، نزلت جميعاً ؟

قلت : نعم (إذا جاء نصر الله والفتح) قال : صدقت . قال مسلم : وفي رواية ابن أبي شيبة (أحد الرواة) : تعلم أي سورة ، ولم يقل : آخر . قال الحافظ في « الفتح » ٨/٥٦٤ : وأخرج النسائي من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت من القرآن . قال : وقد تقدم في تفسير (براءة) أنها آخر سورة نزلت ، قال : والجمع بينها أن آخرية سورة النصر ، نزولها كاملة ، بخلاف (براءة) ، فالمراد نزول بعضها أو معظمها ، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية ، وأوضح من ذلك أن أول (براءة) نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر ، وقد نزل (اليوم أكملت لكم دينكم) وهي في (المائدة) في حجة الوداع سنة عشر ، فالظاهر أن المراد معظمها ، ولا شك أن غالبها نزل في غزوة تبوك ، وهي آخر غزوات النبي ﷺ .

هذا بالنسبة للسورة ، وأما بالنسبة لآخر آية نزلت ، فقد روى البخاري عن ابن عباس : آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا وفي «الفتح» : وجاء عن ابن عباس أيضاً من وجه آخر : « آخر آية نزلت على النبي ﷺ : (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) أخرجه الطبري من طرق . قال الحافظ : وطريق الجمع بن هذين القولين أن هذه الآية ختام الآيات المنزلة في الربا ، وهي معطوفة عليهن ، ثم قال : وأما ماسيأتي في آخر سورة (النساء) من حديث البراء : آخر آية نزلت (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) فيجمع بينه وبين قول ابن عباس ، بأن الآيتين نزلتا جميعاً ، فيصدق أن —

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾

قوله تعالى : (إذا جاء نصر الله) أي : معونته على الأعداء . والفتح : فتح مكة . قال الحسن : لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب : أما إذ ظفر محمد بأهل الحرم ، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل ، فليس لكم به يدان[1] فدخلوا في دين الله أفواجاً . قال أبو عبيدة : والأفواج : جماعات في تفرقة .

قوله تعالى : (فسبح بحمد ربك) فيه قولان .

أحدهما : أنه الصلاة ، قاله ابن عباس .

— كلاً منها آخر بالنسبة لما عداها . قال : ويحتمل أن تكون الآخرية في آية (النساء) مقيدة بما يتعلق بالمواريث مثلاً ، بخلاف آية (البقرة) ، ويحتمل عكسه ، والأول أرجح لما في آية (البقرة) من الاشارة الى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول . قال : وأصح الأقوال في آخرية الآية قوله تعالى : (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) ونقل ابن عبد السلام : آخر آية نزلت آية الكلالة ، فعاش بعدها خمسين يوماً ، ثم نزلت آية البقرة (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) وحكى ابن عبد السلام أن النبي ﷺ عاش بعد نزول هذه الآيه (يعني آية البقرة) أحداً وعشرين يوماً . والله أعلم .

(١) أي طاقة .

والثاني : التسبيح المعروف ، قاله جماعة من المفسرين . قال المفسرون : نُعِيَتْ إليه نفسُهُ بنزول هـذه السورة ، وأُعْلِمَ أنه قد اقترب أجله [١] ، فأمر بالتسبيح والاستغفار ليختم له عمره بالزيادة في العمل الصالح [٢] . قال ابن عباس : إذا جاء نصر الله والفتح : داعٍ من الله ، وَوَدَاع من الدنيا . قال قتادة : وعاش بعد نزول هذه السورة سنتين .

---

(١) روى البخاري في « صحيحه » ٨/٥٦٥ : عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأنَّ بعضهم وَجَد في نفسه ، فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ ! فقال عمر : إنه من حيث علمتم ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم ، فما رئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريَهم ، قال : ماتقولون في قول الله تعالى : (إذا جاء نصر الله والفتح) ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال : (إذا جاء نصر الله والفتح) وذلك علامة أجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : وفي الحديث فضيلة ظاهرة لابن عباس ، وتأثير لإجابة دعوة النبي ﷺ أن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين ، وفيه جواز تحديث المرء عن نفسه بمثل هذا ، لإظهار نعمة الله عليه ، وإعلام من لايعرف قدره لينزله منزلته ، وغير ذلك من المقاصد الصالحة ، لا للمفاخرة والمباهاة ، وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الاشارات ، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم ، ولهذا قال علي رضي الله عنه : أو فهماً يؤتيه الله رجلاً في القرآن .

(٢) روى البخاري في « صحيحه » ٨/٥٦٤ ، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه (إذا جاء نصر الله والفتح) إلا يقول فيها : سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي .

سورة تبت

وهي مكية بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾

وسبب نزولها ما روى البخاري ومسلم في « الصحيحين » من حديث سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : لما نزل (وأنذر عشيرتك الأقربين) [الشعراء : ٢١٤] صَعِدَ رسول الله ﷺ على الصفا فقال : « يا صباحاه » . فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا : مالك ؟ فقال : أرأيتُكم إن أخبرتُكم أن العدوّ مصبِّحكم ، أو ممسِّيكم ، أما كنتم تصدقوني ؟ » قالوا : بلى . قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » . قال أبو لهب : تباً لك ، ألهذا دعوتنا ؟ فأنزل الله تعالى : (تبت يدا أبي لهب)[1]

---

(١) رواه البخاري ٨/٥٦٧ ورواه مسلم ١/١٩٤ بمعناه . وقوله : ياصباحاه : كلمة يعتادونها عند وقوع أمر عظيم ، فيقولونها ليجتمعوا ويتأهبوا له . ورواه ابن جرير الطبري ٣٠/ ٣٣٦ وأورده السيوطي في « الدر » ٦/٤٠٨ وزاد نسبته لسعيد بن منصور ، وابن المنذر ، —

ومعنى : تبت : خسرت يدا أبي لهب (وتب) أي : وخسر هو . قال الفراء : الأول : دعاء ، والثاني : خبر ، كما يقول الرجل : أهلكك الله وقد أهلكك ، وجعلك الله صالحاً وقد جعلك . وقيل : ذكر يديه ، والمراد نفسه ، ولكن هذا عادة العرب يعبّرون ببعض الشيء عن جميعه ، كقوله تعالى : (ذلك بما قدّمت يداك) [الحج : ١٠] . وقال مجاهد : « تبت يدا أبي لهب وتب » ولد أبي لهب . فأما أبو لهب فهو عم رسول الله ﷺ . وقيل : إن اسمه عبد العزى . وقرأ ابن كثير وحدهُ « أبي لَهْبٍ » بإسكان الهاء . قال أبو علي : يشبه أن يكون لغة كالشَّمْعِ ، والشَّمَعِ[1] والنَّهْرِ ، والنَّهَرِ .

فإن قيل : كيف كناه الله عز وجل ، وفي الكنية نوع تعظيم ؟

فعنه جوابان .

أحدهما : أنه إن صح أن اسمه عبد العُزّى ، فكيف يذكره الله بهذا الاسم وفيه معنى الشرك ؟ !

والثاني : أن كثيراً من الناس اشتهروا بكناهم ، ولم يعرف لهم أسماء . قال ابن قتيبة : خبرّني غير واحد عن الأصمعي أن أبا عمرو بن العلاء ، وأبا سفيان

— وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في « الدلائل » عن عبد الله بن عباس رضي الله عنها . وإنما كني بأبي لهب لإشراق وجهه ، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له ، والازدراء به ، والتنقص له ولدينه .

(١) في الأصل : كالشمع والسمع ، والتصحيح من « اللسان » .

ابن العلاء أسماؤهما كناهما ، فإن كان اسم أبي لهب كنيته ، فإنما ذكره بما لايعرف إلا به .

قوله تعالى : (ما أغنى عنه ماله) قال ابن مسعود : لما دعا رسول الله ﷺ أقربيه إلى الله عز وجل قال أبو لهب : إن كان مايقول ابن أخي حقاً ، فإني أفتدي بمالي ، وولدي ، فقال الله عز وجل : (ما أغنى عنه ماله وماكسب) [1] قال الزجاج : و « ما » في موضع رفع . المعنى : ما أغنى عنه ماله وكسبه أي : ولده . وكذلك قال المفسرون : المراد بكسبه هاهنا : ولده . و « أغنى » بمعنى يغني (سيصلى ناراً ذات لهب) أي : تلتهب عليه من غير دخان (وامرأته) أي : ستصلى امرأته ، وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان . وفي هذا دلالة على صحة نُبُوة نبينا عليه الصلاة والسلام ، لأنه أخبر بهذا المعنى أنه وزوجته يموتان على الكفر ، فكان كذلك . إذ لو قالا بألسنتهما : قد أسلمنا ، لوجد الكفار متعلقاً في الرد على رسول الله ﷺ ، غير أن الله علم أنهما لايسلمان باطناً ولا ظاهراً ، فأخبره بذلك .

قوله تعالى : (حمَّالة الحطب) فيه أربعة أقوال .

أحدها : أنها كانت تمشي بالنميمة ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي ،

---

(١) ذكره البغوي وكثير من المفسرين عن ابن مسعود بغير سند ، وذكره القرطبي عن ابن عباس أيضاً بغير سند ، والله أعلم .

والفراء . وقال ابن قتيبة : فشبهوا النميمة بالحطب ، والعداوة والشحناء بالنار ، لأنهما يقعان بالنميمة ، كما تلتهب النار بالحطب .

والثاني : أنها كانت تحتطب الشوك ، فتلقيه في طريق رسول الله ﷺ ليلاً ، رواه عطية عن ابن عباس . وبه قال الضحاك ، وابن زيد[1] .

والثالث : أن المراد بالحطب : الخطايا ، قاله سعيد بن جبير .

والرابع : أنها كانت تُعيِّرُ رسول الله ﷺ بالفقـــر ، وكانت تحتطب فَعُيِّرتْ بذلك ، قاله قتادة . وليس بالقوي ، لأن الله تعالى وصفه بالمال[2] .

وقرأ عاصم وحده (حمالةَ الحطب) بالنصب .

قال الزجاج : من نصب « حمـالةَ » فعلى الذّم . والمعنى : أعني : حمالةَ

---

(١) ورجحه الطبري .

(٢) قال ابن كثير : (وامرأته حمالة الحطب) كانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده ، فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم ، ولهذا قال تعالى : (حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) يعني تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على ماهو فيه وهي مهيـــأة لذلك مستعدة له . قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا إبراهيم ابن سعيد ، وأحمد بن إسحاق ، قالا : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا عبد السلام بن حرب ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزلت (تبت يدا أبي لهب) جاءت امرأة أبي لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر ، فقال له أبو بكر : لو تنحّيت لاتؤذيك بشيء ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنه سيحال بيني وبينها » فأقبلت حتى وقفت على —

الحطب . والجيد : العُنُق . والمَسَدُ في لغة العرب : الحَبْل إذا كان من ليف المُقْل . وقد يقال لما كان من أوبار الإبل من الحبال : المَسَد . قال الشاعر :

وَمَسَدٍ أُمِرَّ مِنْ أَيَانُقِ [صُهْبٍ عِتاقٍ ذاتِ مُخٍّ زَاهِقِ] (١)

وقال ابن قتيبة : المَسَد عند كثير من الناس : اللِّيف دون غيره ، وليس كذلك ، إنما المسد : كُلُّ ما ضُفِرَ وفُتِلَ من اللِّيف وغيره .

واختلف المفسرون في المراد بهذا الحبل على ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها حبال كانت تكون بمكة ، رواه العوفي عن ابن عباس . وقال الضحاك : حبل من شجر كانت تحتطب به .

والثاني : أنه قلادة من وَدَع ، قاله قتادة .

والثالث : أنه سلسلة من حديد ذَرْعُها سبعون ذراعاً ، قاله عروة بن

- أبي بكر وقالت : يا أبا بكر هجانا صاحبك ، فقال أبو بكر : لا وربِّ هذه البنية ، ماينطق بالشعر ولا يتفوه به ، فقالت : إنه لمصدّق ، فلما ولّت ، قال أبو بكر : مارأتك ، قال : « لا مازال ملك يسترني حتى ولت » ثم قال البزار : لانعلمه يروى بأحسن من هذا الاسناد عن أبي بكر رضي الله عنه . وحسن إسناده أيضاً الحافظ في « الفتح » ٥٦٧/٨ .

(١) الرجز لعمارة بن طارق ، وقال أبو عبيده : لعقبة الهجيمي ، وهو في « مجاز القرآن » ٣١٥/٢ ، والطبري ٣٤١/٣٠ ، والقرطبي ٢٤٢/٢٠ ، و « اللسان » : مسد . وقوله « أُمِرَّ » أي فتل فتلاً شديداً ، والأيانق ، جمع ناقة ، والصهب ، جمع الأصهب ، وهو بعير ليس بشديد البياض ، والعتاق جمع عتيق ، وهو الكريم . وزهق المخ : إذا اكتنز (اجتمع) لحمه ، فهو زاهق .

الزبير . وقال غيره : المراد بهذا الحبل : السلسلة التي ذكرها الله تعالى في النار ، طولها سبعون ذراعاً . والمعنى : أن تلك السلسلة قد فتلت فتلاً مُحْكَماً ، [فهي] في عنقها تعذّب بها في النار .(١)



(١) قال ابن جرير الطبري : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال : هو حبل جمع من أنواع مختلفة . قال ابن كثير : وقال بعض أهل العلم في قوله تعالى : (في جيدها حبل من مسد) في عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها ، ثم كذلك دائماً .

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾

وفيها قولان .

أحدهما : أنها مكية ، قاله ابن مسعود ، والحسن ، وعطاء ، وعكرمة ، وجابر .

والثاني : مدنية ، روي عن ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك . وقد روى البخاري في أفراده من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : والذي نفسي بيده إنها لَتَعْدِل ثُلُثَ القرآن [١] . وروى مسلم في أفراده من حديث أبي هريرة

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » ٦/١٠٥ باب فضل (قل هو الله أحد) ولفظه بتمامه : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقرأ (قل هو الله أحد) يردّدها ، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، وكان الرجل يتقالُّها ، فقال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن » .

أن النبي ﷺ قال : إنها تعدل ثلث القرآن [١] .

وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال .

أحدها : أن المشركين قالوا : يا محمد انسب لنا ربك ، فنزلت هذه السورة ، قاله أُبيّ بن كعب [٢] .

---

(١) رواه مسلم في « صحيحه » ٥٥٧/١ ولفظه بتمامه : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « احشدوا (اجتمعوا) فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، فحَشَدَ من حَشَدَ ، ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ (قل هو الله أحد) ثم دخل ، فقال بعضنا لبعض : إني أُرَى هذا خَبَرٌ جاء من السماء ، فذاك الذي أدخله ، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال : « إني قلت لكم : سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا إنها تعدل ثلث القرآن » .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ١٣٣/٥ ، والترمذي ١٧٢/٢ ، والطبري ٣٤٢/٣٠ ، والواحدي في « أسباب النزول » ٣٤٦ من حديث أبي سعد الصغاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب وفي سنده ضعف . ورواه الحاكم في « المستدرك » ٥٤٠/٣ أيضاً من حديث أبي سعد الصغاني به ، وصححه ، ووافقه الذهبي . وأورده السيوطي في « الدر » ٤٠٩/٦ وزاد نسبته للبخاري في « تاريخه » ، وابن خزيمة ، وابن أبي حاتم في « السنة » والبغوي في « معجمه » ، وابن المنذر في « العظمة » ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » عن أبي بن كعب رضي الله عنه . ورواه الترمذي ١٧٢/٢ عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية فذكره مرسلاً ، ولم يذكر فيه عن أبي بن كعب ، وقال : وهذا أصح من حديث أبي سعد الصغاني . ورواه الطبري عن محمد بن عوف عن شريح عن إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبي عن جابر . وذكره ابن كثير من رواية أبي يعلى الموصلي من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي عن جابر ، وأورده الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٤٦/٧ من رواية الطبراني في « الأوسط » —

والثاني : أن عامر بن الطفيل قال لرسول الله ﷺ : إلام تدعونا يا محمد ؟ قال : إلى الله عز وجل . قال : صفه لي ، أمن ذهب هو ، أو من فضة ، أو من حديد ، فنزلت هذه السورة ، قاله ابن عباس [١] .

والثالث : أن الذين قالوا هذا ، قوم من أحبار اليهود قالوا : من أي جنس هو ، وممن ورث الدنيا ، ولمن يورّثها ؟ فنزلت هذه السورة ، قاله قتادة ، والضحاك [٢] . قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي « أَحدٌ اللهُ » وقرأ أبو عمرو « أحدُ اللهُ » بضم الدال ، ووصلها باسم الله . قال الزجاج : هو كناية عن ذكر الله عز وجل . والمعنى : الذي سألتم تبيين نسبته هو الله . و « أحد » مرفوع على معنى : هو أحد ، فالمعنى : هو الله ، وهو أحد . وقرئت « أحدٌ اللهُ الصمد » بتنوين أحد . وقرئت « أحدُ الله » بترك التنوين ، وقرئت

—— وأبي يعلى . قال ابن كثير : وقد أرسله غير واحد من السلف ، قال : وروى عبيد بن إسحاق العطار عن قيس بن الربيع عن أبي عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود قال : قالت قريش لرسول الله ﷺ : انسب لنا ربك ، فنزلت هذه السورة (قل هو الله أحد) قال : قال الطبراني : ورواه الفريابي وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسلاً ، قال : ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطرائفي عن الوازع بن مانع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لكل شيء نسبة ، ونسبة الله : قل هو الله أحد . اهـ فهذه الروايات كلها شواهد لحديث أبي رضي الله عنه .

(١) ذكره البغوي والخازن عن ابن عباس بغير سند .

(٢) رواه الطبري ٣٤٣/٣٠ عن قتادة مرسلاً ، وذكره السيوطي في « الدر » ٤١٠/٦ من رواية الطبراني في « السنة » عن الضحاك مرسلاً .

بإسكان الدال « أحدْ اللهُ » وأجودها الرفع بإثبات التنوين ، وكَسْرَ التنوين لسكونه وسكون اللام في « الله » ، ومن حذف التنوين ، فلالتقاء الساكنين أيضاً ، ومن أسكن أراد الوقف ثم ابتدأ « اللهُ الصمد » وهو أردؤها .

فأما « الأحد » فقال ابن عباس ، وأبو عبيدة : هو الواحد . وفرّق قوم بينهما . وقال أبو سليمان الخطابي : [الواحد] : هو المنفرد بالذات ، فلا يضاهيه أحد .

والأحد : هو المنفرد بالمعنى ، فلا يشاركه فيه أحد . وأصل « الأحد » عند النحويين » : الوحد ، ثم أبدلوا من الواو الهمزة .

وفي « الصمد » أربعة أقوال .

أحدها : أنه السيِّد الذي يُصْمَدُ إليه في الحوائج ، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ [1] . وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : الصمد : السيد الذي قد كمل في سؤْدُدِه [2] . قال أبو عبيدة : هو السيد الذي ليس فوقه

(١) ذكره الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٣٠٨/٦ من تفسير ابن عباس موقوفاً عليه ، وهو جزء من حديث طويل في باب: كيف يفسر القرآن بالقرآن ، قال الحافظ الهيثمي : رواه الطبراني وفي إسناده جويبر ، وهو متروك .

(٢) وهو في الطبري ٣٤٦/٣٠ بلفظ : الصمد : السيد الذي قد كمل في سُؤْدُده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والغني الذي قد كمل في غناه ، والجبار الذي قد كمل في جبروته ، والعالم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه ، هذه صفته لاتنبغي إلا له .

أحد . والعرب تسمي أشرافها : الصَّمد . قال الأسدي :

لَقَدْ بَكَّرَ النَّاعي بِخَيْرَيْ بَني أَسَدْ بعمرو بن مَسْعودٍ وبالسَّيدِ الصَّمَدْ[1]

وقال الزجاج : هو الذي ينتهي إليه السُّؤدُد ، فقد صمد له كل شيء قصد قصده . وتأويل صمود كل شيء له : أن في كل شيء أثر صُنْعه . وقال ابن الأنباري : لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد : السيد الذي ليس فوقه أحد يصمد إليه الناس في أمورهم وحوائجهم .

والثاني : أنه الذي لاجوف له ، قاله ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وابن جبير ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي . وقال ابن قتيبة : فكأن الدال من هذا التفسير مبدلة من تاء ، والمصمت من هذا .

والثالث : أنه الدائم .

والرابع : الباقي بعد فناء الخلق ، حكاهما الخطابي وقال : أصح الوجوه الأول ، لأن الاشتقاق يشهد له ، فإن أصل الصمد : القصد . يقال : اصمد صمد فلان ، أي اقصد قصده . فالصمد : السيد الذي يصمد إليه في الأمور ، ويقصد في الحوائج .

قوله تعالى : (لم يلد) قال مقاتل : لم يلد فيورَّث (ولم يولد) فيشارَك ،

---

(١) البيت لسبرة بن عمرو الأسدي ، وهو في « مجاز القرآن » ٢/٣١٦ ، و « تهذيب الألفاظ » ٢٧٠ ، و « السمط » ٩٣٣ ، والطبري ٣٠/٣٤٧ والقرطبي ٢٠/٢٤٥ و « اللسان » صمد .

وذلك أن مشركي العرب قالوا : الملائكة بناتُ الرحمن . وقالت اليهود : عزير ابن الله ، وقالت النصارى : المسيح ابن الله ، فبرّأ نفسه من ذلك .

قوله تعالى : (ولم يكن له كُفُواً أحد) قرأ الأكثرون بالتثقيل والهمز . ورواه حفص بالتثقيل وقلب الهمز واواً . وقرأ حمزة بسكون الفاء . والكفء : المثل المكافىء . وفيه تقديم وتأخير ، تقديره : ولم يكن له أحد كُفُواً ، فقدَّم وأخَّر لتتفق رؤوس الآيات .

* * *

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَاخَلَقَ . وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِنْ شَرِّ ٱلنَّفَّاثَاتِ فِي ٱلْعُقَدِ . وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

وفيها قولان .

أحدهما : مدنية ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال قتادة في آخرين .

والثاني : مكية ، رواه كريب عن ابن عباس ، وبه قال الحسن ، وعطاء ، وعكرمة ، وجابر . والأول أصح ، ويدل عليه أن رسول الله ﷺ سحر وهو مع عائشة ، فنزلت عليه المعوذتان .

فذكر أهل التفسير في نزولها : أن غلاماً من اليهود كان يخدم رسول الله ﷺ ، فلم يزل به اليهود حتى أخذ مُشَاطة رأس رسول الله ﷺ ، وعِدَّة أسنانٍ من مُشْطه ، فأعطاها اليهود فسحروه فيها . وكان الذي تولَّى ذلك لبيد بن أعصم اليهودي . ثم دسَّها في بئر لبني زريق ، يقال لها : بئر ذروان . ويقال : ذي أروان[1] ،

(١) في الأصل : ويقال : أروان ، والتصحيح من القرطبي . وهي بئر بالمدينة في بستان بني زريق .

فمرض رسول الله ﷺ ، وانتشر شعر رأســـه ، وكان يرى أنه يأتي النساء وما يأتيهن ، ويخيَّل إليه أنه يفعل الشيء ، وما يفعله ، فبينا هو ذات يوم نائم أتاه مَلَكان ، فقعد أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجليه ، فقال أحدهمـــا للآخر : ما بال الرجل ؟ قال : طُبَّ . قال : وما طُبَّ ؟ قال : سُحِر . قال : ومن سَحَره ؟ قال : لبيد بن أعصم . قال : وبم طَبَّه ؟ قال : بمُشْط ومُشَاطة . قال : وأين هو ؟ قال في جُفَّ طلعةٍ[1] تحت راعوفة في بئر ذروان — والجف : قشر الطلع . والراعوفة : صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت[2] . فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقّي عليها ، فانتبه رسول الله ﷺ فقال : ياعائشة أما شعرتِ أن الله أخبرني بدائي ، ثم بعث علياً ، والزبير ، وعمار بن ياسر ، فنزحوا مـاء تلك البئر ، ثم رفعوا الصخرة ، وأخرجوا الجُفَّ ، وإذا فيه مُشَاطة رأسه ، وأسنان مشطه ، وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة [مغروزة بالإبرة ، فأنزل الله تعالى المعوذتين ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة][3] . ووجد رسول الله ﷺ خِفَّة حين انحلت العُقْدَةُ الأخيرة ، وجعل جبريل عليه السلام يقول : بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، ومن حاسد وعين ، والله يشفيك . فقالوا : يارسول الله

---

(١) الجف بضم الجيم وتشديد الفاء : الغشاء الذي يكون على الطلع .

(٢) في النسخة الاستنبولية : إذا احتفرت .

(٣) زيادة سقطت من الأصل ، واستدركناها من النسخة الاستنبولية .

أفلا نأخذ الخبيث فنقتله ؟ فقال : « أما أنا فقد شفاني الله ، وأكره أن أثير على الناس شراً »[١] .

وقد أخرج البخاري ومسلم في « الصحيحين » من حديث عائشة حديث سحر رسول الله ﷺ[٢] . وقد بينا معنى « أعوذ » في أول كتابنا[٣] .

وفي « الفلق » ستة أقوال .

أحدها : أنه الصبح ، رواه العوفي عن ابن عباس ، وبه قـال الحسن ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وقتادة ، والقرظي ، وابن زيد ، واللغويون قالوا : ويقال : هذا أبين من فَلَقِ الصبح وَفَرَقَ الصبح .

---

(١) ذكره ابن كثير بنحوه من رواية الثعلبي في تفسيره بلا إسناد ، قال : وفيه غرابة ، وفي بعضه نكارة شديدة ، ولبعضه شواهد ، والله أعلم . ويغني عن هذه الرواية رواية الصحيحين التي بعدها .

(٢) رواه البخاري في « صحيحه » ١٠/١٩٢ — ١٩٩ ومسلم ٤/١٧١٩ عن عائشة رضي الله عنها ، وهو حديث ثابت عند أهل العـلم بالحديث ، متلقى بالقبول بينهم ، وقد رواه أيضاً أحمد في « المسند » عن زيد بن أرقم وعائشة رضي الله عنها ، ورواه النسائي عن زيد بن أرقم ، وابن ماجة عن عائشة ، وابن مردويه والبيهقي عن عائشة ، وابن مردويه عن ابن عباس ، وغيرهم .

وانظر أقوال العلماء مفصلة في سحر رسول الله ﷺ في تعليقنا على هذا الكتاب ج ٥ صفحة ٣٠٢ — ٣٠٥ .

(٣) ج ١ / صفحة ٧ .

والثاني : أنه الخَلْق ، رواه الوالبي عن ابن عباس . وكذلك قال الضحاك : الفَلَق : الخَلْق كلُّه .

والثالث : سِجْن في جهنم ، روي عن ابن عباس أيضاً . وقال وهب والسدي : جُبٌّ في جهنم . وقال ابن السائب : وادٍ في جهنم .

والرابع : شجرة في النار ، قاله عبد الله بن عمرو[١] .

والخامس : أنه كُلُّ ما انفلق عن شيء كالصبح ، والحَبِّ ، والنَّوى ، وغير ذلك ، قاله الحسن . قال الزجاج : وإذا تأملت الخلق بَانَ لك أن أكثره عن انفلاق ، كالأرض بالنبات ، والسحاب بالمطر .

والسادس : أنه اسم من أسماء جهنم ، قاله أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد الحبلي[٢] .

قوله تعالى : (من شر ماخلق) وقرأ ابن السميفع ، وابن يعمر : « خُلِق » بضم الخاء ، وكسر اللام . وفيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه عام ، وهو الأظهر .

والثاني : أن شر ما خُلِق : إبليسُ وذُريته ، قاله الحسن .

والثالث : جهنم ، حكاه الماوردي .

---

(١) في النسخة الاستنبولية « عبد الله بن عمر » وهو كذلك في القرطبي .

(٢) قال ابن جرير : والصواب القول الأول : أنه فلق الصبح . وقال ابن كثير : وهذا هو الصحيح ، وهو اختيار البخاري في « صحيحه » رحمه الله تعالى .

وفي « الغاسق » أربعة أقوال .

أحدها : أنه القمر ، روت عائشة قالت : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ، فقال : استعيذي بالله من شره فإنه الغاسق إذا وقب ، رواه الترمذي ، والنسائي في كتابيها[1] . قال ابن قتيبة : ويقال : الغاسق : القمر إذا كسف فاسودّ . ومعنى « وقب » دخل في الكسوف .

والثاني : أنه النجم ، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ[2] .

والثالث : أنه الليل ، قاله ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، والقرظي ، والفراء ، وأبو عبيد ، وابن قتيبة ، والزجاج . قال اللغويون : ومعنى « وقب » دخل في كل شيء فأظلم . و « الغسق » الظلمة . وقال الزجاج : الغاسق : البارد ، فقيل لِلّيل : غاسق ، لأنه أبرد من النهار .

والرابع : أنه الثريا إذا سقطت ، وكانت الأسقام ، والطواعين تكثر عند

(١) الترمذي ١٧٢/٢ وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه أحمد في « المسند » ٦١/٦ ، وابن جرير الطبري ٣٥٢/٣٠ ، والحاكم في « المستدرك » ٥٤١/٢ وصححه ، ووافقه الذهبي . وأورده السيوطي في « الدر » ٤١٨/٦ وزاد نسبته لابن المنذر ، وأبي الشيخ في « العظمة » ، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه ابن جرير الطبري ٣٥٢/٣٠ من رواية محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن ابن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة . قال ابن كثير : وهذا الحديث لايصح رفعه إلى النبي ﷺ .

وقوعها ، وترتفع عند طلوعها ، قاله ابن زيد[١] .

فأما (النفاثات) فقال ابن قتيبة : هن السواحر ينفثن ، أي : يَتْفُلن إذا سحرن ، ورَقَيْن . قال الزجاج : يَتْفُلْنَ بلا ريق ، كأنه نفخ . وقال ابن الأنباري : قال اللغويون : تفسير نَفَثَ : نَفَخَ نفخاً ليس معه ريق ، ومعنى تفل : نفـــخ نفخاً معه ريق . قال ذو الرُّمَّة :

ومن جَوْفِ ماءٍ عَرْمَضُ الحَوْلِ فَوْقَهُ   متى يَحْسُ منه مائِحُ القومِ يَتْفُلِ[٢]

وقد روى ابن أبي سُرَيج[٣] « النافثات » بألف قبل الفاء مع كسر الفاء وتخفيفها[٤] . وقال بعض المفسرين : المراد بالنَّفَّاثات هاهنا : بنات لبيد بن أعصم اليهودي سحرن رسول الله ﷺ .

(١) قال الشوكاني في « فتح القدير » : وهذا محتاج إلى نقلٍ عن العرب أنهم يصفون الثريا بالغسوق .

(٢) ديوانه طبع المكتب الاسلامي صفحة (٦٠٠) والجوف : المطمئن من الأرض ، والعرمض : الخضرة التي تعلو الماء ، وهي الرمض ، والعلق ، والطحلب ، والشبا . والمائح : الذي ينزل البئر فيملأ الدلو . والماتح : الذي يجذب الدلو . وفي « الأساس » وذاق مـاء البحر فتفله ، أي : مجه كراهةً له .

(٣) ابن أبي سريج ، هو أحمد بن الصباح ، أبو جعفر الرازي ، الثقة الثبت ، وهو شيخ البخاري ، وأحد أصحاب الشافعي ، قرأ على الكسائي .

(٤) قال القرطبي : وقرأ عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن سابط ، وعيسى بن عمر ، ورويس عن يعقوب « النافثات » في وزن « فاعلات » ورويت عن عبد الله بن القاسم مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

(ومن شر حاسد) يعني : اليهود حسدوا رسول الله ﷺ . وقد ذكرنا حدَّ الحسد في (البقرة : ١٠٩) . والحسد : أخس الطبائع . وأولُ معصية عُصِيَ الله بها في السماء حَسَدُ إبليس لآدم ، وفي الأرض حَسَدُ قابيلَ هَابيلَ [١] .



(١) وانظروا قصتها في سورة المائدة : ٢٧

سورة الناس

وفيها قولان .

أحدهما : أنها مدنية ، رواه أبو صالح عن ابن عباس .

والثاني : أنها مكية ، رواه أبو كريب عن ابن عباس .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ . مَلِكِ ٱلنَّاسِ . إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ . مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ . ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ . مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾

فإن قيل : لم خص الناس هاهنا بأنه ربُّهم ، وهو ربُّ كل شيء ؟

فعنه جوابان .

أحدهما : لأنهم معظَّمون متميزون على غيرهم .

والثاني : لأنه لما أمر بالاستعاذة من شرِّهم أعلم أنه ربهم ، ليعلم أنه هو الذي يعيذ من شرهم . ولما كان في الناس ملوك قال تعالى : (ملك الناس) ولما كان فيهم

من يعبد غيره قال تعالى : (إله الناس)[1] .

و (الوسواس) الشيطان ، وهو (الخناس) يوسوس في الصدور ، فإذا ذُكِرَ اللهُ ، خَنَس ، أي : كفَّ وأقصر . قال الزجاج : الوسواس هنا : ذو الوسواس.

---

(١) قال ابن كثير : هذه ثلاث صفات من صفات الرَّبّ عز وجل : الربوبية ، والملك ، والإلهية ، فهو رب كل شيء ، ومليكه ، وإلهه ، فجميع الأشياء مخلوقة له ، مملوكة ، عبيد له ، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات ، من شر الوسواس الخناس ، وهو الشيطان الموكل بالانسان ، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش ، ولا يألوه جهداً في الخبال ، والمعصوم من عصمه الله . وروى مسلم في « صحيحه » ٢١٦٧/٤ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن » قالوا : وإياك يارسول الله ؟ قال : « وإياي ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير » .

وقوله : « فأسلمُ » برفع الميم وفتحها ، وهما روايتان مشهورتان ، فمن رفع قال : معناه : أسلم أنا من شره وفتنته ، ومن فتح قال : إن القرين أسلم من الاسلام ، وصار مؤمناً لايأمرني إلا بخير . قال القاضي عياض : واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه ، وفي هذا الحديث إشارة إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه ، فأعلمنا بأنه معنا ، لنحترز منه بحسب الامكان .

وثبت في « الصحيحين » عن أنس في قصة زيارة صفية للنبي ﷺ وهو معتكف وخروجه معها ليلاً ليردّها إلى منزلها ، فلقيه رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا ، فقال رسول الله ﷺ : « على رسلكما إنها صفية بنت حيي » فقالا : سبحان الله يارسول الله ، فقال ﷺ : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً — أوقال : شراً — » .

وقال ابن قتيبة : الصدور هاهنا : القلوب . قال ابن عباس : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل ، وسوس ، فإذا ذَكَرَ الله ، خَنَسَ .

قوله تعالى : (من الجِنَّة والناس) الجِنَّة : الجن . وفي معنى الآية قولان .

أحدهما : يوسوس في صدور الناس جِنَّتهم وناسهم ، فسمى الجن هاهنا ناساً ، كما سمَّاهم رجالاً في قوله تعالى : (يعوذُون برجال من الجن) [الجن : ٦] وسماهم نفراً بقوله تعالى : (استَمَعَ نفر من الجن) [الجن : ١] ، هذا قول الفراء . وعلى هذا القول يكون الوسواس موسوساً للجن ، كما يوسوس للإنس .

والثاني : أن الوسواس : الذي يوسوس في صدور الناس ، هو من الجِنَّة ، وهم من الجن . والمعنى : من شر الوسواس الذي هو من الجن . ثم عطف قوله تعالى : « والناس » على «الوسواس» . والمعنى : من شر الوسواس ، ومن شر الناس ، كأنه أمر أن يستعيذ من الجن والإنس ، هذا قول الزجاج[1] .

(١) روى مسلم في « صحيحه » ١/١١٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تجاوز لأمتي ماحدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا .

قال الشيخ رحمه الله :

فهذا آخر « زاد المسير » ، والحمد لله على الإنعام الغزير ، وإذ قد بلغنا بحمد الله مرادنا بما أملنا ، فلا يعتقدَنَّ من رأى اختصارنا أنَّا أقللنا ، فإنا قد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا ودللنا ، فليكن الناظر في كتابنا متيقظاً لما أغفلنا ، فإنا ضمنا الاختصار مع نيل المراد ، وقد فعلنا . ومن أراد زيادة بسط في التفسير ، فعليه بكتابنا « المغني » في التفسير . فإن أراد مختصراً ، فعليه بكتابنا المسمى بـ « تذكرة الأريب في تفسير الغريب » . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى أبيه آدم ، وذريته الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

تم بعون الله تعالى وتوفيقه طبع هذا التفسير القيم
وقد قام بمقابلة أصوله الخطية ، وتصحيحه
وتفصيله وترقيمه ، وتخريج نصوصه ،
والتعليق عليه ، والاشراف على طبعه
الأساتذة
محمد زهير الشاويش وشعيب الارنؤوط وعبد القادر الارنؤوط

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دمشق الأربعاء ١٧ رجب الفرد ١٣٨٨ هـ
الموافق ٩ تشرين الأول ١٩٦٨ م

فهرس السور

فهرس الأحاديث

مرتباً على الحروف الهجائية

حرف الكاف

حرف الميم

حرف الواو

« حرف لا »

حرف الياء

فهرس الشعر

(١) وهو في « ديوانه » : ٣٤ ، « ومجاز القرآن » ١/٣٣ ، « والطبري » ١/٣٣٣ .

(٢) وهو في « الكتـاب » ٢/٤٢٠ و « الطبري » ١/٣٣٣ و ٤٤٥ ، و « أمالي ابن —

— الشجري » ٢/٢٠ ، و « القرطبي » ٩/١٨٣ ، وشرح « شواهد الشافية » : ٢٨٧ و « الصحاح » و « اللسان » و « التاج » : صوب .

(١) وهو في « الكامل » للمبرد ٤٦، ٤٧، و « أمالي المرتضى » ١/١٨٦، و « اللسان » ٢/٩ ونسبه في « الحيوان » ٣/٩٣ ، و « الشعر والشعراء » ٢/٢٩٢ للقيط بن زرارة .

حرف الدال

(١) وهو في مجاز القرآن ١٣٢/٢ ، وغريب القرآن : ٣٤٦ .

صدر البيت	القافية	الشاعر	الصفحة
ولكنها نفس ...	اللئام قذورُ		٤٦٩/٤
وصاحب صدق ...	عامداً أجرُ[1]		٦٧/١
أخو رغائب ...	النوفلُ الزُفرُ	أعشى باهلة	٢٥٣/٧
تكفيه حزة ...	شربه الغمر	« «	١٤٥/٨
إن امرءاً ...	لمغرورُ		٣٥٦/١
لايغمز الساق ...	شرسوفه الصقرُ	أعشى باهلة	٣٢٩/١
الله يعلم ...	إلى جيراننا صُورُ		٣١٤/١
لولا ابن جعدة ...	ينفخُ الصورُ		٦٩/٣
نغالي اللحم ...	نضج القدورُ		١٤٨/١و٢٩٨/٣و٩١/٤
فقلنا أسلموا ...	الإحنِ الصدورُ	العباس بن مرداس	٢٨٦/٢و٥٥/٤
فيوم علينا ...	ويوم نسرُ	النمر بن تولب	٢٨٦/٢
ما ضر جاراً ...	لبابه سترُ	مسكين الدارمي[2]	٤١/١
أعمى إذا ما ...	جارتي الخدرُ	« «	٤١/١
وتصم عما ...	كأنه وقرُ	« «	٤١/١
يا رسول المليك ...	إذ أنا بورُ	عبد الله بن الزبعرى	٦٩/٦
وقد رابني ...	وبسورُها	توبة	٤٠٧/٨

(١) البيت غير منسوب في « مجالس ثعلب » ٨٥/١ واللسان ٢٦٨/١٥ .

(٢) الأبيات الثلاثة في « الشعر والشعراء » ٥٣٠/١ و«معجم الأدباء» ٢٠٦/٤ ، « وأمالي المرتضى » ١٢٠/٢، ١٢٣ ، و « لباب الآداب » : ٢٦٥ .

(١) البيتان غير منسوبين في الطبري ٣٦٤/١ ، وأمالي ابن الشجري ٥١/١ .

(١) البيت في « مجالس ثعلب » ١/٥١٥ ، وقد أفسده المحقق فرواه : يذمون لي الدنيا .

(١) البيت في مجاز القرآن ٣١٩/١ .

(١) البيت غير منسوب في مشكل القرآن : ٥ ، واللسان ١٨/١٤ ، وهو في أمالي اليزيدي من أبيات لبعض المتقدمين ، وفي عيون الأخبار ٩١/١ لأبي القمقام الأسدي ، وفي العقد الفريد لهشام الرقاشي ، وفي البيـــان والتبين لهمام الرقاشي ٣١٦/٢ و ٢٠٢/٣ و٨٥/٤

حرف الهـاء

(١) وهو في ديوانه ٢/٦٦ .

حرف الألف المقصورة